

عبد الحليم أبو شقة

تحرير المرأة في عصر الرسالة

دراسة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصححي البخاري ومسلم

الجزء السادس
الثقافة الجنسية للزوجين



عبد الحليم محمد أبو شقة

تحرير المرأة

في عصر الرسالة

دراسة عن المرأة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحاح البخاري ومسلم

الجزء السادس

الثقافة الجنسية للزوجين



حقوق الطبع محفوظة
الطبعة السابعة
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

رقم الأيداع ١٥٩٢ / ٢٠٠٩ م

Email: daralkalamca@gmail.com

دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت
شارع السور - عمارة السور - للطابق الأول
هاتف : ٢٤٥٧٤٠٧ - ٢٤٥٨٤٧٨ - يرقيا : توزيعكو
ص.ب : ٢٠١٤٦ للصفاة 13062 للكويت



دار القلم للنشر والتوزيع بالقاهرة
٣٦ شارع للقصر العيني - للدور الثاني - شقة ٤
تليفون وفاكس : ٧٩٥١١٠٥
ص.ب : ٦٥ مجلس الشعب - القاهرة
محمول : ٠١٠١٤٦٩٠٤٥ - ٠١٠٥١٣٧٧١٩

ملتزم التوزيع



القاهرة

المؤلف : تليفون : ٥٠٨١٤٤١ - ٥٠٨١٤٨٢

فهرس الموضوعات

الموضوع

الصفحة

١١	الفصل الأول : مقدمات
١٣	التصور الإسلامى للحياة الإنسانية الفاضلة
١٨	الزواج هو المدخل إلى الثقافة الجنسية
٢٣	الزواج إطار اجتماعى للمتعة الجنسية
٢٧	المتعة الجنسية من طبيات الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة
٣٢	بعض توصيات للآباء والأمهات (حول توجيه أبنائهم فى أمور جنسية)
٣٥	هوامش الفصل الأول

الفصل الثانى : الثقافة الجنسية والحياء

٣٩	لمحة عن الحياء المسرف فى واقعنا
٤٠	الحياء السوى على هدى الكتاب والسنة
٤٣	نموذج من القرآن عن الحياء السوى
٤٣	نماذج من السنة عن الحياء السوى
٤٦	لا حياء فى تقديم أو طلب الثقافة الجنسية المشروعة
٤٨	نصوص من القرآن توفر قدرا من الثقافة الجنسية
٤٨	- آيات تشير إلى خلق الإنسان
٤٩	- آيات تشير إلى الميل الفطرى بين الرجال والنساء
٥١	- آيات تشير إلى الأعضاء الجنسية وما يعرض لها من ظواهر
٥٤	- آيات تشير إلى ممارسة المتعة الجنسية
٥٩	نصوص من السنة توفر قدرا من الثقافة الجنسية
٥٩	- نصوص تشير إلى الأعضاء الجنسية
٦١	- نصوص تشير إلى بعض خصوصيات النساء

٦٢ - نصوص تشير إلى المباشرة الزوجية
٦٤ - استفتاء النساء الرجال في أمور جنسية
٦٥ - استفتاء الرجال النساء في أمور جنسية
٦٨ الحرص على بيان شرع الله أكمل بيان ومغالبة الحياء
٧١ مواقف نادرة تتعلق بالمباشرة الزوجية
٧٩ هوامش الفصل الثاني

الفصل الثالث : تقرير الشريعة قوة الشهوة الجنسية

٨٧ قوة الشهوة الجنسية وفتنتها البالغة
٩٠ قوة الشهوة واشتهاء الزوجات
٩١ قوة الشهوة والوقوع في الحرام
٩٩ هوامش الفصل الثالث

الفصل الرابع : تيسير الشريعة مجالات ممارسة المتعة الجنسية

١٠٣ نصوص تحض كلا من الزوجين على أداء حق صاحبه في المتعة
١٠٦ صور من تيسير ممارسة المتعة الجنسية
١٠٦ - اباحة الاستمتاع مع اجتناب الحمل
١٠٦ - اباحة الاستمتاع مع المستحاضة
١٠٧ - اباحة الاستمتاع مع الحائض (فيما دون الجماع)
١٠٩ - اباحة قدر من الاستمتاع مع بعض شعائر العبادة
١١٤ - تخفيف الطهارة الواجبة إثر الاستمتاع
١١٧ - صحة أداء العبادات مع بعض آثار المباشرة الزوجية
١١٧ - تقصير فترة الإحداد على غير الزوج
١١٨ - تقصير فترة الاغتراب
١١٨ - اباحة الطلاق للرجل والخلع للمرأة
١١٩ - سرعة زواج المطلقات (فور انتهاء العدة)
١١٩ - سرعة زواج الأراامل (فور انتهاء العدة)
١٢١ هوامش الفصل الرابع

الفصل الخامس : الآداب الواجبة المتعلقة بالمتعة الجنسية

- آداب لممارسة المتعة الحلال ١٢٧
- اجتناب المباشرة الكاملة مع شعائر العبادات ١٢٧
- اجتناب المباشرة الكاملة فترة الحيض ١٢٨
- اجتناب المباشرة الكاملة في الدُّبُر ١٢٨
- كتمان أسرار المباشرة الزوجية ١٢٩
- الغيرة على العرض ١٣٠
- آداب تعين على اجتناب المتعة الحرام
- اجتناب ذكر تفاصيل جمال المرأة ١٣١
- صيانة العورة فلا يسمح برؤيتها ولا بلمسها ١٣١
- اجتناب إرسال النظر إلى الجنس الآخر ١٣٣
- اجتناب المصافحة بين الجنسين في عامة الأحوال ١٣٣
- اجتناب لقاء الجنسين في مجال اللهو واللعب ١٣٤
- اجتناب المزاحمة بين الجنسين في الطرق والمجالس ١٣٤
- اجتناب الخلوة بالجنس الآخر ١٣٥
- اجتناب النساء إثارة شهوة الرجال ١٣٥
- آداب تراعى إثر الوقوع في متعة حرام
- الستر على النفس وعلى الغير ١٣٦
- اجتناب المجاهرة ١٣٩
- اجتناب القذف إلا بعد توافر أربعة شهداء ١٤٠
- اجتناب ترديد الشائعة ١٤٠
- هوامش الفصل الخامس ١٤١

الفصل السادس : الشريعة وفنون الاستمتاع

- مقدمات : ١٤٥
- أولا : أوهام باطلة تحاصر الاستمتاع الطيب ١٤٥
- الوهم الأول : المباشرة الزوجية لطلب الولد فحسب ١٤٥

- الوهم الثاني : التعفف عن أية مباشرة للمرأة الحائض ١٤٧
- الوهم الثالث : ممارسة المباشرة الزوجية على استحياء ١٤٨
- الوهم الرابع : وجوب ختان البنات ١٥٠
- ثانيا : فنون الاستمتاع عمل صالح يثاب عليه المسلم والمسلمة ١٥١
- ثالثا : التفاعل والتكامل بين عاطفة الحب وبين فنون المتعة الجنسية ١٥٣
- عوامل مساعدة على كمال الاستمتاع ١٥٤
- العامل الأول : الاستفتاح بالدعاء وتسمية الله ١٥٤
- العامل الثاني : تجمل كل من الزوجين لصاحبه ١٥٥
- العامل الثالث : إزالة الشعر الداخلى ١٥٩
- العامل الرابع : رعاية الأجزاء الحساسة عند كل من الرجل والمرأة ١٦٠
- العامل الخامس : الغسل أو الوضوء لمن أراد العود ١٦١

صور من فنون الاستمتاع :

- المستوى الأول : الائتناس بالصحبة الزوجية ١٦٢
- الملاعبة والمضاحكة – الملاطفة – المقاربة الحميمة
- المستوى الثاني : المتعة الجنسية الخفيفة ١٦٧
- القبلة – المعانقة – اللمس باليد
- المستوى الثالث : المباشرة دون الجماع ١٦٧
- مص اللسان ورشف الشفتين – التزام الصدر – مص الثدي
- المستوى الرابع : الجماع ١٦٩
- الجماع من كل اتجاه – رؤية البدن عاريا تماما ولمسه – الاغتسال معا
- هوامش الفصل السادس ١٧٣

الفصل السابع : هدى النبي ﷺ في الزواج والاستمتاع

- تمهيد : لماذا الحساسية المفرطة لإزاء المتعة الجنسية في حياة الرسول ﷺ ؟ ١٨١
- التوازن بين الزواج والاستمتاع وبين الطموح إلى معالى الأمور (ل حياة الرسول ﷺ) ١٨٥
- نماذج من طموحه لمعالي الأمور عند اختيار الزوجات ١٨٧
- نماذج من طموحه إلى المعالى خلال صحبة الزوجات ١٨٩
- نماذج من طموحه ﷺ في مجال العبادة ١٩١

١٩٥	نماذج من طموحه إلى الكمال في مجال الزهد وخشونة العيش
٢٠٠	الخصوصيات للأنبياء سنة ماضية ومعجزة
٢٠٢	شواهد تبين ما خص الله به رسوله في مجال الزواج والمتعة الجنسية
٢٠٢	— اصطفاء الله تعالى بعض الزوجات لرسوله
٢٠٤	— التوسعة في عدد الزوجات مع الإعفاء من بعض الشروط
٢٠٨	— التوسعة بالحرية في القسم بين الزوجات
٢٠٩	— تكريم الله تعالى لرسوله بفرض الحجاب على زوجاته
٢٠٩	— تكريم الله تعالى لرسوله بقصر زوجاته عليه
٢٠٩	— رعاية الله تعالى ل دوام التوسعة على رسوله
٢١٢	— الصحابة رضوان الله عليهم يعون ما خص الله به نبيه
٢١٥	صور من ممارسة الرسول ﷺ للمتعة الجنسية
٢٢٣	هوامش الفصل السابع

الفصل الثامن : نماذج من أقوال الفقهاء في الثقافة الجنسية

٢٣١	من فوائد الجماع : لابن القيم
٢٣٢	حق المرأة في المباشرة والاستمتاع : لابن حزم ، وابن تيمية ، والغزالي
٢٣٤	من صور الاستمتاع : للإمام الشافعي ، وابن العرفي ، والقرطبي ، والغزالي
٢٣٦	حول الاستمنا باليد : للغزالي ، وابن تيمية ، وابن حجر
٢٣٧	حول الإتيان في الدُّبُر ومساوئه : لابن القيم
٢٣٨	الآثار المترتبة على العجز عن أداء حق الاستمتاع : للإمام مالك
٢٤١	هوامش الفصل الثامن

الفصل الأول

مقدمات

التصور الإسلامى للحياة الإنسانية الفاضلة

(لا تعارض بين السمو الروحى وبين تناول متع الحياة)

(بل بينهما تفاعل وتكامل وتوازن)

إن السمو الروحى فى نظر الإسلام ، وكذلك الهبوط الروحى ، يرتبطان ارتباطا وثيقا بأعمال الإنسان ، سواء أكانت تلك الأعمال روحية أم مادية . أى سواء كانت الأعمال شعائر كالصلاة والصيام والحج ، أم كانت معروفا يقدم للناس مثل عيادة المريض وبذل النصيحة وتفريج الكرب ، أم كانت ممارسة لمتع الحياة الدنيا كالأكل والشرب والمباشرة الجنسية . إذا يقرر الإسلام ضرورة التفاعل والتكامل والتوازن ، بين طاعة الله عز وجل فى أداء شعائر العبادة ، وبين طاعته سبحانه فى عمل الخير والمعروف ، وبين طاعته سبحانه فى تحرى الحلال من متع الحياة . ويتحقق السمو إذا توافر لتلك الأعمال أمران :

أولهما : نية صالحة عند التوجه إليها .

وثانيهما : تحرى ما شرع الله فى أدائها .

ويحصل الهبوط إذا انتفى هذان الأمران ، ولو كان العمل روحيا . ويجب أن نؤكد أن هذين الأمرين هما بمثابة شرطين أساسيين لمشروعية أية عبادة ، ومشروعية أية شهوة سواء بسواء ، فلا يقبل الله عبادة يقيمها المؤمنون ولا يثيبهم عليها دون توافر هذين الشرطين . ولا يرضى الله عن شهوة يأتياها المؤمنون ، ولا يثيبهم عليها دون توافر هذين الشرطين . أى إن الأعمال فى نظر الإسلام لا تتفاضل بمظهرها الخارجى روحيا كان أم ماديا ، ولكنها تتفاضل بما يصحبها من نية صالحة ومن تحرى الوجه المشروع فى أدائها . وهكذا يصبح الروحى والمادى سواء فى نظر الشارع من هذه الناحية . ويتكاملان وتعمر بهما معا الحياة الفاضلة ، ويثاب عليهما المؤمن والمؤمنة كما يثابان على جميع القربات . وصدق رسول الله ﷺ « وفى بُضْع^(١) أحدكم صدقة » .

[رواه مسلم]^(١)

(١) بضع : المقصود هنا جماع الرجل أهله .

إن الإسلام فضلا عن حرصه على التوازن والتكامل بين المادى والروحي من شؤون الحياة ، نراه يخطط دائما لتوفير عناصر روحية وأخرى مادية ، وذلك خلال كل شأن من شؤون الحياة ، سواء أكان هذا الشأن روحيا أم ماديا . وينتج عن وجود تلك العناصر أن يكون للشؤون الروحية ثمرات مادية طيبة ، ويكون للشؤون المادية ثمرات روحية طيبة ، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة :

● فمن الأعمال الروحية « الصلاة » وهى ذكر لله ودعاء ، يصحبها ويمزجها طهارة المكان والبدن واللباس وتحرى القبلة ، هذا فضلا عن حركات البدن المنتظمة . وفى حال صلاة الجماعة يضاف السعى إلى المسجد ، والاجتماع بالمسلمين ، والانتظام فى صفوف متراسة ، وتكون صفوف الرجال فى المقدمة تليها صفوف النساء . ويتبع الجميع الإمام فى حركته وسكونه ولا يسبقونه ولا يخالفونه ...

وبهذا يكون للصلاة - إلى جوار ثمراتها الروحية - ثمرات مادية ، كتنظافة البدن ونشاطه . وتزيد الثمرات فى حال صلاة الجماعة ، حيث يقوى التضامن الجماعى ، وتنمو العلاقات الاجتماعية ، ويتم التدريب على الطاعة والنظام .

● ومن الأعمال الروحية « الصيام » وهو امتثال لأمر الله بالامتناع عن الطعام والشراب ، وعن المباشرة الزوجية الكاملة ، يصحبه تعجيل الفطر وتأخير السحور ، وأداء صلاة التراويح . ومن ثمرات الصيام المادية كسر حدة الشهوة ، وتحسن صحة البدن .

● ثم يأتى « الحج » وهو أكثر العبادات امتزاجا بأعمال بدنية ومادية ، تبدأ بتوفير المال للزاد والراحلة ، ثم تكون الرحلة إلى بيت الله الحرام ، تتبعها الحركة المستمرة لأداء المناسك : من الطواف إلى السعى بين الصفا والمروة ، إلى الوقوف بعرفة إلى المبيت بمزدلفة ، إلى الرمي والنحر وطواف الإفاضة والمبيت بمنى ، وآخرها طواف الوداع . ومن ثمرات الحج المادية : السياحة والتعرف على

- بلاد الله وعلى شعوب الأرض ، مع البيع والشراء وابتغاء الفضل من الله .
- ومن الأعمال المادية « تناول الطعام والشراب » ، يصحبه ويلازمه تحرى الحلال فى مصدره والاعتدال فى تناوله ، ثم تكون التسمية فى أوله وحمد الله فى آخره . ومن الثمرات الروحية هنا العون على طاعة الله وذكره وامثال أوامره فى السعى والجهاد ، هذا فضلا عن الاحساس بنعمة الله وشكره عليها .
 - ومن الأعمال المادية أيضا « المباشرة الجنسية » يصحبها تحرى الحلال فى اختيار الرفيق ، ثم تحرى آداب الممارسة مع الحرص على أن تقضى المرأة وطرها كما يقضى الرجل وطره . وينتج عن المتعة الجنسية من الثمرات الروحية ، العون على غض البصر وتحصين النفس ، وتوفير نوع من السكينة .
 - ثم يأتى « العمل لكسب المال » ، وهو أكبر الأعمال المادية امتزاجا بالروحانيات ، فيلازمه تحرى الحلال ، وبذل الجهد لإحسان العمل ، ويصاحبه الصدق والأمانة والنصح للمسلمين . ثم ينتج العمل ثمرات روحية كثيرة : فمن إعزاز النفس وإغنائها عن السؤال ، إلى إعالة أطفال صغار ، إلى البذل مما رزق الله فى سبيل الله .

وهكذا يتضح أن الجانبين المادى والروحى ليسا خطين متقابلين ، ولا متوازيين ، إنما هما خططان متداخلان متعانقان تعانق فرعى الضفيرة ، أو هما حلقات فى سلسلة واحدة تشد كل حلقة أختها وتساندها ، وتقوى السلسلة بالحلقات جميعا . أو هما حبات فى عقد واحد وإن اختلف اللون ، إلا أنها فى مجموعها تكون عقدا منسجما الألوان . هى حياة واحدة فيها ساعات العبادة تدعم ساعات العمل والحركة والمتعة الحلال ، وساعات العمل والحركة والمتعة الحلال تدعم ساعات العبادة . ومن هنا يتبين لنا أن السمو الروحى فى نظر الإسلام لا يعتمد على شعائر العبادة وحدها ، كما لا يرتبط قوة وضعفا بالحرمان من لذائذ الحياة ، ولا بتعذيب النفس ، بل يرتبط بقصد وجه الله تعالى ، وتحرى طاعته فى كل عمل سواء أكان العمل ماديا أم روحيا ، وصدق رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » . أى إن العبرة فى الثواب بالنية الصادقة فى مرضاة الله ، فالعمل المادى أحيانا قد يرجع فى ميزان الطاعات العمل الروحى بقدر ما يستحضر الإنسان عند القيام به من نية صالحة ، وقصد خالص لمرضاة الله تعالى . وبتعبير آخر إن العمل المادى الخالص لوجه الله ليعرج بالمسلم فى معارج السمو الروحى ،

ويقربه إلى الله تعالى درجات ودرجات ، قد تتضاءل إزاءها - أحيانا - درجات أداء شعائر العبادة ، وذلك بحسب النية ، والقصد الصادق إلى مرضاة الله في كل منها .

إذا كان الأمر كذلك فيمكن القول إن سعادة المسلم وتلذذه بممارسة المتعة الجنسية الحلال ، يمكن أن يسهم في زيادة الحسنات في كفة ميزانه . أى في الكفة نفسها التي يوضع فيها صالح أعماله من عبادات وقربات ، وإن اختلف ثقل كل منها في الميزان . الله وحده هو الذى يعلم قدر ثقل عمل المسلم في ميزانه إذا هو قصد وجه الله ، وتحرى الحلال وتحرى السنة في كل خطواته نحو الاستمتاع الجنسي ، بدءا من ساعة اختيار المرأة ذات الدين ، إلى ساعة ملاطفة الزوجة وملاعبتها ، إلى ساعة المباشرة الجنسية . وصدق رسول الله ﷺ :

— فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك ^(١) » .

[رواه البخارى ومسلم] [٣، ٢]

قال الحافظ ابن حجر : « لأن المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة ، وقد نبه على ذلك بأقل الحظوظ الدنيوية العادية ، وهو وضع اللقمة في فم الزوجة ، إذ لا يكون ذلك غالبا إلا عند الملاعبة والممازحة ، ومع ذلك فيؤجر فاعله إذا قصد به قصدا صحيحا فكيف بما هو فوق ذلك » [٤] .

— وعن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال : « وفى بُضْع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر » .

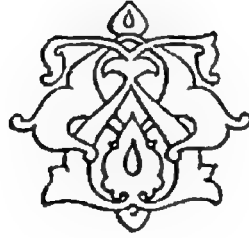
[رواه مسلم] [٥]

ثم إن المسلم إذا مارس المتعة الجنسية الحلال وشكر الله على أنعمه، أثابه الله تعالى على شكره النعمة . وإذا أصاب المسلم حرمان من المتعة الجنسية لعجز عن الزواج مثلا ثم صبر على ما قضى الله وقدر ، أثابه الله تعالى على الرضا بقضاء الله وقدره . وصدق رسول الله ﷺ :

(١) فى امرأتك : فم امرأتك .

- فعن صهيب قال قال رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له . » [رواه مسلم]

أما أى الموقفين أعظم ثواباً عند الله ، شكر المسلم على النعمة أم صبره على المصيبة ، فهذا ما نكله إلى الله سبحانه فهو وحده جل وعلا أعلم بشئون عباده ، وهو أحكم الحاكمين . وهذه النظرة التكاملية للسلوك الإنساني - التي لا تقسم الحياة إلى جوانب مادية يجب الابتعاد عنها ما أمكن ، وجوانب روحية يجب التفرغ لها ما استطاع المرء - تمنح رحلة الحياة والسعى لبناء الحضارة معنى جديداً ، فكل ما يطالب به المسلم أن ينهج في سلوكه نهجاً مستقيماً ، أى إخلاصاً في النية وإحساناً في الأداء ، بغض النظر عن نوعية ما يمارسه من سلوك وفق التقسيمات السابقة ، فقد تكون العبادة إمالة أذى عن طريق ، أو بناء جدار ليتيمين في المدينة ، أو إحسان صنعة ، كما قد تكون أداء ركعات خاشعة في جوف الليل ، أو بكاء عين ضارعة من خشية الله .



الزواج هو المدخل إلى الثقافة الجنسية

إن الزواج - بمقاصده وأحكامه وآدابه - هو المدخل إلى الثقافة الجنسية الإسلامية ، لذا نحيل القارئ الكريم إلى مراجعة أمور الزواج في الجزء الخامس من هذا الكتاب ، فقد مضى هناك بحث هذه الأمور بالتفصيل . ونكتفى هنا - تمهيدا لمبحث الثقافة الجنسية - بعرض كلمات لعالم جليل في فضل الزواج :

قال الإمام أبو حامد الغزالي :

(إن النكاح معين على الدين ، ومهين للشياطين ، وحسن دون عدو الله حصين ، وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين ، فما أحراه بأن تتحرى أسبابه ، وتحفظ سنته وآدابه ، وتشرح مقاصده وآرابه ... ومن بدائع ألطاف الله أن خلق من الماء بشرا ، فجعله نسبا وصهرا ، وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الخراثة جبرا ، واستبقى بها نسلهم إقهارا وقسرا ، ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرا ، فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقييده ردعا وزجرا ، وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمرأ إمرا ، وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرأ ...) .

(قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى ^(١) مِنْكُمْ ﴾ وهذا أمر ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُمْ ^(٢) أَنْ يَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ ﴾ وهذا منع من العضل ، ونهى عنه ... وقال ﷺ : « من رغب عن سنتي ^(٣) فليس مني » ^[٧] ، النكاح سنتي فمن أحب فطرني فليستن بسنتي ^[٨] .

وقال عمر رضي الله عنه : « لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور » .

(١) الأيتمى : جمع أيم وهي من ليس لها زوج - بكرا أو ثيا - ومن ليس له زوجة .

(٢) فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن : لا تمنعهن من الزواج ثانية من طلقوهن .

(٣) رغب عن سنتي : أعرض عن طريقي وأخذ بطريقة غيرها .

(وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج » .
وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده لحاجة إن
طرقته ، فقال له رسول الله ﷺ : ألا تتزوج ؟ فقال : يا رسول الله إني فقير
لا شيء لي ، وأنقطع عن خدمتك . فسكت ثم عاد ثانيا ، فأعاد الجواب . ثم
تفكر الصحابي وقال : والله لرسول الله ﷺ أعلم - بما يصلحني في دنياي
وآخري ، وما يقربني إلى الله - مني ، ولكن قال لي الثالثة لأفعلن . فقال له الثالثة :
ألا تتزوج ؟ قال فقلت يا رسول الله زوجني ، قال اذهب إلى بني فلان ، فقل :
إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجوني فتاتكم . قال فقلت : يا رسول الله لا شيء
لي ، فقال لأصحابه « اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب » فجمعوا له فذهبوا به
إلى القوم فأنكحوه^(١) ، فقال له : « أولم » . وجمعوا له من الأصحاب شاة
للوليمة)^[٩] .

(فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء ... وفي النكاح فوائد
خمسة : الولد ، وكسر الشهوة ، وتدير المنزل ، وكثرة العشرة ، ومجاهدة
النفس) .
الفائدة الأولى :

(الولد : وهو الأصل ، وله وُضِعَ النكاح والمقصود إبقاء النسل ، وأن
لا يخلو العالم من جنس الإنس ، وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة ... وفي
التوصل إلى الولد قرينة من أربعة أوجه ...

أما الوجه الأول : فهو أدق الوجوه ... وهو أحقها وأقواها عند ذوى
البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه ... والله تعالى خلق
الزوجين ، وخلق الذكر والأنثى وخلق النطفة في الفقار ، وهياً لها في الأنثيين^(٢)
عروقا ومجارى ، وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة ، وسلط متقاضى الشهوة

(١) فأنكحوه : أى فزوجوه ، ونكح تزوج ، وتأنى أحيانا بمعنى وطىء (أى جامع) . وهذا المعنى
نزلت الآية الكريمة : ﴿ الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ﴾ وبه
أيضا ورد الحديث الشريف : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » وهو الحديث المتعلق بمباشرة الحائض .
(٢) الأنثيين : الخصيتين .

على كل واحد من الذكر والأنثى . فهذه الأفعال والآلات ، تشهد بلسان ذلق في الإعراب عن مراد خالقها ، وتنادى أرباب الألباب بتعريف ما أعدت له .

الوجه الثاني : السعى في محبة رسول الله ﷺ ورضاه ، بتكثير مابه مباهاته ، إذ قد صرح رسول الله ﷺ بذلك : « تزوجوا الودود الولود ، فإنى مكاثركم بكم » [١٩، ب] .

الوجه الثالث : أن يُتقى بعده ولدا صالحا يدعو له ، كما ورد في الخبر : إن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح [٢٠، ج] ... وبالجمله دعاء المؤمن لأبويه مفيد ، برا كان أو فاجرا ، فهو مثاب على دعوته وحسناته فإنه من كسبه ، وغير مؤاخذ بسيئاته ، فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى .

الوجه الرابع : أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا . فعن رسول الله ﷺ أنه قال (*) :

« لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم » .

[رواه البخارى ومسلم] [١٠]

— وفى رواية عند أحمد من طريق محمود بن أسد عن جابر « قلنا : يا رسول الله واثنان ؟ قال : واثنان » قال محمود : فقلت لجابر : أراكم لو قلتم : وواحد ؟ لقال : وواحد . قال : وأنا والله أظن ذلك [١١] .

— « صغارهم دعاميص الجنة ^(١) يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده كما أخذ أنا بصيفة ^(٢) ثوبك هذا ... فلا ينتهى حتى يدخله الله وأباه الجنة » . [رواه مسلم] [١٢] .

(*) لم نلتزم فى أحاديث الوجه الرابع بما أورده الإمام الغزالى ، فإن فيها الصحيح والضعيف ، وحرصنا على تسجيل مجموعة من الأحاديث معظمها من الصحيحين .

(١) صغارهم دعاميص الجنة : أى صغار أهلها والمفرد دعموص ، والدعموص دوية تكون فى الماء لا تفارقه . أى أن هذا الصغير فى الجنة لا يفارقها .

(٢) الصيفة : طرف الثوب .

الفائدة الثانية :

(التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ، ودفع غوائل الشهوة ، وغض البصر وحفظ الفرج ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر »^[١٣] وإليه الإشارة بقوله : « من استطاع الباءة^(١) فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء^(٢) »^[١٤] .

(ولعمري في الشهوة حكمة أخرى ... وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت ، فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان ، إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذوقا لا ينفع ، ... وإحدى فوائد لذات الدنيا ، الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله . فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين ... فإن الشهوة إذا غلبت ولم تقاومها قوة التقوى ، جرت إلى اقتحام الفواحش ... وإن كان الإنسان ملجما بلجام التقوى ، فغايتة أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة ، فيغض البصر ، ويحفظ الفرج ، فأما حفظ القلب من الوسواس والفكر ، فلا يدخل تحت اختياره ، بل لا تزال النفس تجاذبه وتحذته بأمور الوقاع ، ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس إليه في أكثر الأوقات ... وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها ... والزوجة على التحقيق قوت ، وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله ﷺ كل من وقع نظره على امرأة فताقت إليها نفسه أن يجامع أهله^[١٥] لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس) .

الفائدة الثالثة :

(ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة ، إراحة للقلب وتقوية له على العبادة ، فإن النفس ملول ، وهي عن الحق نفور ، لأنه على خلاف طبيعتها ، فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وتأبّت ، وإذا رويحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت . وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل

(١) الباءة : القدرة على تكاليف الزواج .

(٢) وجاء : الوجداء هو رَضْرَ (أى دَق) الحصىتين رَضًّا شديدا لذهب شهوة الجماع ، وهو ينزل منزلة

الخصاء .

الكرب ويروح القلب ، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ،
ولذلك قال الله تعالى ﴿ ليسكن إليها ﴾ وقال على رضى الله عنه : روحوا القلوب
ساعة ، فإنها إذا أكرهت عميت ...) .

الفائدة الرابعة :

(تفرغ القلب عن تدبير المنزل ... فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على
الدين بهذه الطريقة ، واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب
ومنغصات للعيش . ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : الزوجة الصالحة
ليست من الدنيا ، فإنها تفرغك للآخرة ، وإنما تفرغها بتدبير المنزل وبقضاء
الشهوة جميعا ... وقال عليه الصلاة والسلام : « ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ،
ولسانا ذاكرا ، وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته »^[١٦] فانظر كيف جمع بينها
وبين الذكر والشكر) .

الفائدة الخامسة :

(مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية ، والقيام بحقوق الأهل ...
وإرشادهم إلى طريق الدين ، والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهم ، والقيام بتربية
الأولاد . فكل هذه الأعمال عظيمة الفضل ، فإنها رعاية وولاية ، والأهل والولد
رعية ، وفضل الرعاية عظيم ... وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره ، كمن
اشتغل بإصلاح نفسه فقط ، ولا من صبر على الأذى ، كمن رفه نفسه وأراحها ،
فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ... وقد قال عليه الصلاة
والسلام : « ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة ، وإن الرجل ليؤجر في اللقمة
يرفعها إلى في^(١) امرأته^[١٧] ... وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو : تعلمون
عملا أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا : مانعلم ذلك ، قال : أنا أعلم ، قالوا : فما
هو ؟ قال : رجل متعفف ذو عائلة ، قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياما متكشفين
فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيه »^[١٧] .

(١) في امرأته : أى فم امرأته

الزواج إطار اجتماعي للمتعة الجنسية

الزواج من سنن الفطرة :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾
(سورة النحل الآية : ٧٢)

الزواج من سنن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾
(سورة الرعد الآية : ٣٨)

وإذا استعرضنا آيات الكتاب الكريم ألفينا ذكر تلك السنة خلال قصص كثير من الأنبياء والمرسلين . ولكن على الرغم من هذه السنة الماضية في حياة الأنبياء والمرسلين - وهم أطهر الناس - فقد اتجه النصارى إلى التشدد في أمور الزواج والاستمتاع الجنسي ، فابتدعوا الرهبانية واعتبروها الطريق الأسنى إلى رضا الله فأنزل الله فيهم : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَنْ رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .
(سورة الحديد الآية : ٢٧)

الزواج من سنن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

جاء محمد ﷺ يختم شرائع الأنبياء والمرسلين جميعا ، ويتمم مكارم الأخلاق ، ويحيط سنن الفطرة وسنن المرسلين بسياج متين ، فبدأ هذا الأمر بالدعوة إلى الزواج والحض عليه :

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ
النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ۖ ﴾ .
(سورة النساء الآية : ٣)

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال لنا رسول الله ﷺ : يا معشر الشباب ، من
استطاع الباءة^(١) فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع
فعليه بالصوم فإنه له وجاء^(٢) .
[رواه البخارى ومسلم] [١٨]

ولما رأى رسول الله ﷺ بادرة تشدد من بعض أصحابه - حين اتجه
أحدهم إلى تعطيل سنة الزواج وقارب تشدد النصارى ورهبانيتهم - وقف محذرا
منذرا :

- فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط^(٣) إلى بيوت
أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها^(٤)
فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فقال
أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ،
وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال :
أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأنقاكم له ، لكنى أصوم
وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .
[رواه البخارى ومسلم] [١٩]

قال الحافظ ابن حجر : المراد بالسنة الطريقة... والمراد : من ترك طريقتى
وأخذ بطريقة غيرى فليس منى . ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين
ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عابهم بأنهم ماوفوا بما التزموه . وطريق
النبي ﷺ الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم ، وينام ليتقوى على القيام ،

(١) الباءة : تكاليف الزواج .

(٢) وجاء : سبق شرحها فريا .

(٣) رهط : جماعة دون العشرة . وتطلق أيضا على الواحد من الجماعة .

(٤) تقالوها : استقلوها ، أى اعتبروها قليلة .

ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل . (وقوله فليس منى) إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه ، فمعنى فليس منى أى ليس على طريقتى ، ولا يلزم أن يخرج عن الملة ، وإن كان إعراضا وتنطعا يقضى إلى اعتقاد أرجحية عمله ، فمعنى فليس منى : ليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر [٢٠] .

— عن سعد بن أبى وقاص قال : « رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا^(١) » . [رواه البخارى ومسلم] [٢١] .

المراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النكاح — وما يتبعه من ملاذ — إلى العبادة . وقد أراد رسول الله ﷺ أن يحض الشباب على السعى وبذل الجهد فى سبيل هذه السنة فبشرهم أن هذا السعى لن يخيب :

— فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد فى سبيل الله ، والمكاتب^(٢) الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف » . [رواه الترمذى] [٢٢] .

ولنقف وقفة تأمل فى الحديث الشريف ، فنراه ذكر ثلاثة رجال فى مرتبة سواء ، كل منهم حق على الله عونه ، أولهم يعمل فى سبيل إعلاء دينه ، وثانيهم يعمل فى سبيل تحرره ، وثالثهم يعمل فى سبيل الحلال من متعته .. وإذا كان الأول فى سبيل الله نصا ، فالثانى والثالث فى سبيل الله أيضا حسب مقاصد الشرع ، أحدهم يتطلع إلى كمال شخصيته والآخر يتطلع إلى كمال خُلُقهِ .

على هذا النهج مضى الإسلام يثبت دعائم الزواج ، إذ بفضل الزواج يحاط الميل الفطرى بين الرجل والمرأة برباط اجتماعى رصين ، له عند الناس تقدير وإعزاز ، بل لهم به سرور وابتهاج . ويحتفلون به احتفالا فريدا متميزا ، يسعد به الزوجان ومعهما الأقارب والأصدقاء ، وذلك امتثالا لشرع الله ، الذى حظى عقد الزواج فى ظله بكثير من الحفاوة والتكريم . قال رسول الله ﷺ : « أشيدوا^(٣)

(١) لاختصينا : من الحشاء وهو سَلّ الأنتين (أى استئصال الخصيتين) .

(٢) المكاتب : هو العبد يكتب سيده على مبلغ من المال حتى يعتقه .

(٣) أشيدوا النكاح : من أشاد بالشئ رفع به صوته ، أى أعلنوا النكاح .

النكاح وأعلنوه^[٢٧] وقال : « فصل ما بين الحرام والحلال الدف والصوت »^[٢٨] وقد تكفل عقد الزواج بحفظ حرمة الأعراض وصيانتها من العبث والابتذال ، ثم إنه يتبعه التزامات من جانب كل من الرجل والمرأة . قال تعالى : ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ (سورة النساء الآية : ٢١) . ثم إن هذا الرباط الاجتماعي يحقق صلة بين الجنسين تدوم مدى الحياة ، لا متعة ساعة أو ساعات . قال تعالى : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ (سورة البقرة الآية : ١٨٧) . وقال : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ (سورة البقرة الآية : ٢٢٣) . ولضمان تحقيق هذا الأمر على أكمل وجه ندب الشرع الشريف إلى رؤية المخطوبة ، إذ توفر الرؤية ضمان الحد الأدنى من التوافق النفسى ، ولا شك أن التوافق الجنىسى فرع منه . وفضلا عن ذلك كله ، فهذا الرباط يحقق للميل الفطرى صحة طبية مؤنسة ، طويلة المدى تغمرها المودة والرحمة . قال تعالى : ﴿ وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ (سورة الأعراف الآية : ١٨٩) وقال ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (سورة الروم الآية : ٢١) . وتقديرا من الإسلام لأهمية الزواج فى حياة المؤمنين فقد شرع ما يكفل تيسيره بكل سبيل بدءا من الخطبة إلى المهر إلى العقد^(*) ، كما شرع ممارسة المباشرة الزوجية فى عامة الظروف والأحوال لأن مجالات الحظر محدودة للغاية . هذا فضلا عن الحض على الاستمتاع أجمل استمتاع وأكمله ، وبكل أساليبه الحلال^(**) ، وهو إذ يشرع هذا كله إنما يشرعه لتمضى الفطرة التى فطر الله الناس عليها فى مسارها الصحيح ، فينعم المؤمنون بالصحة البدنية والصحة النفسية معا .

وهكذا كان الزواج من سنن الفطرة ، وسنن المرسلين ، وسنن نبينا محمد ﷺ ، وكان هو الإطار الاجتماعى الذى ينطلق فى حدوده الميل الفطرى بين الجنسين . وخارج الزواج ينحرف هذا الميل الفطرى فيكون مخادنة^(١) أو سفاحا^(٢) وفاحشة من الفواحش . وفى إطار الزواج يكون طيبة من الطيبات ونعمة من نعم الدنيا .

(*) انظر تفصيلات تيسر الخطبة والمهر والعقد فى الفصول الأولى والثانى والثالث والرابع من الجزء الخامس .

(**) انظر تفصيلات تيسر المباشرة الزوجية فى كل الظروف والأحوال فى الفصل الثالث من هذا الجزء .

(١) مخادنة : خادنه صادقه فى السر والمقصود هنا ممارسة الزنا سرا .

(٢) سفاحا : إعلانا بالزنا .

المتعة الجنسية من طيبات الحياة الدنيا

(وهى خالصة للمؤمنين يوم القيامة)

إن الإسلام الذى شرع المتعة الجنسية وجعلها من زينة الحياة الدنيا وطيبة من الطيبات ، قد وعد المؤمنين الصالحين بهذه الطيبات جميعها خالصة يوم

القيامة : قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأعراف الآية : ٣٢)

• ﴿ وَهُمْ فِي مَا آسَتْهَت أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ (سورة الأنبياء الآية : ١٠٢)

• ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ (سورة فصلت الآية : ٣١)

• ﴿ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ (سورة الزخرف الآية : ٧١)

وكم فى كتاب الله العزيز من آيات تعرض فى بيان رائع ما يمنح الله عباده الصالحين من منع طيبة فى الآخرة . وهذه آيات كريمة تشير إلى المتعة الجنسية :

• قال تعالى : ﴿ يَنْعِبَادُوا لَخَوْفٍ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ ٦٨ الَّذِينَ ءَامَنُوا بَايَعْنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ٦٩ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٢) . [سورة الزخرف الآيات : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠]

• ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴾ (سورة يس الآيات : ٥٥ ، ٥٦)

• ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رِزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِى رَزَقْنَا

(١) ماتدعون : ماتطلبون .

(٢) تحبرون : تسمرون وتنعمون .

مِنْ قَبْلُ وَأَتَوَاهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿ (سورة البقرة الآية : ٢٥)

• ﴿ قُلْ لَأُونِثُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِمَنِ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿ (سورة آل عمران الآية : ١٥)

• ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَتُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿ (سورة النساء الآية : ٥٧)

• ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ
سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ (١)

(سورة الدخان الآيات : ٥١ - ٥٤)
• ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَيَكْبِهِينَ بِمَاءٍ أَنْهَمَ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُورٍ
مَصْفُوفَةٍ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿ (سورة الطور الآيات : ١٧ - ٢٠)

• ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مَكْرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى
سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِ بَيْنَ
لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴿٤٦﴾ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ ﴿٤٨﴾ عِينٌ ﴿٤٩﴾
كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿ (سورة الصافات الآيات : ٤١ - ٤٩)

(١) حور عين : حور جمع حوراء ، وهى البيضاء الحساء ، وعين جمع عينا وهى واسعة العينين .

(٢) غول : الغول ما يخال الغفل (كل شيء يذهب بالغفل) .

(٣) ولا هم عنها ينزفون : لا يسكرون .

(٤) قاصرات الطرف : حاسبات الأعين على أزواجهن ما ينظرون لغيرهم لحسنهم عندهن .

• ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآثٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمَفَّتحةٌ لَهُمْ الْأَنْبُوبُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِحَهمْ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ ﴿٥٢﴾ أَنْزَابٌ ﴿٥٣﴾ ١﴾ (سورة ص : الآيات : ٤٩ - ٥٢)

• ﴿ مُتَكِينِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ (سورة الرحمن : الآيات : ٥٤ - ٥٨)

• ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٥٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٠﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْحَيَامِ ﴿٦١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٦٣﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٦٤﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوبِ الْمَكُونِ ﴿٦٥﴾ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ (سورة الواقعة : الآيات : ٦٠ - ٦٤)

• ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٦٧﴾ جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٦٨﴾ غُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٦٩﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٧٠﴾ (سورة الواقعة : الآيات : ٦٧ - ٧٠)

• ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٧١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٧٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٧٣﴾ (سورة النبأ : الآيات : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣)

(١) أنراب : جمع يرب أى المائل فى السن .

(٢) لم يطمئنهن : لم يشارهن .

(٣) حور مقصورات فى الحيام : مستورات فى الحيام .

(٤) عربا أنرابا : عربا جمع عروب وهى المتحية إلى زوجها . أنرابا جمع يرب أى المائل فى السن .

(٥) كواعب : جمع كاعب ، وهى التى تكعب نديها واكمل .

وكم في السنة المطهرة من أحاديث تبشر المؤمنين بصور رائعة من نعم الجنة ومنها نعمة المتعة الجنسية ، نكتفى بذكر عدد منها ، ونبدأ بحديث البشري العامة الذي يصور عامة النعم ثم نتبعه بأحاديث تشير إلى المتعة الجنسية :

— عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : قال الله : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقربوا إن شئتم : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ .
[رواه البخاري ومسلم] [٢٣]

— عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . لا يصقون . فيها ولا يمتخطون ولا يتغيطون . آتيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم ^(١) الآلوة ^(٢) ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان . يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن . لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد . يسبحون الله بكرة وعشيا . » .
[رواه البخاري ومسلم] [٢٤]

— عن عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلا ، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون . » .
[رواه البخاري ومسلم] [٢٥]

— عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا . » .
[رواه مسلم] [٢٦]

— عن أنس أن أم حارثة أتت رسول الله ﷺ وقد هلك حارثة يوم بدر ، أصابه غرب سهم ^(٣) فقالت : « يا رسول الله قد علمت موقع حارثة من قلبي ، فإن

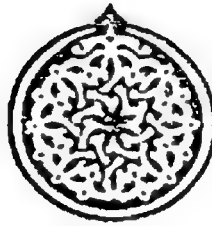
(١) مجامرهم : مجامر جمع مُجَمَّر وهو الذي يُتَخَرَّ به .

(٢) الآلوة : شجر له عود إذا أحرق سطعت له رائحة .

(٣) غرب سهم : أى سهم لا يذرى رامي .

كان في الجنة لم أهلك عليه ، وإلا سوف ترى ما أصنع ، فقال لها : هَبْلَتْ (١) ،
 أجنة واحدة هي ؟ إنها جتان كثيرة ، وإنه في الفردوس الأعلى . وقال : غلوة
 في سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس (٢) أحدكم أو موضع
 قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت
 إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأت ما بينهما ريحا ، وَلَتَصِيْفُهَا - يعني
 خمارها - خير من الدنيا وما فيها ۝

[٢٧] [رواه البخاري] .



(١) هبلت : من هَبِلَ فلان هبلا فقد عقله وتميزه .

(٢) قاب قوس : ما بين القبض وطرف القوس ، كناية عن القرب وصغر المسافة .

بعض توصيات للآباء والأمهات(*)

(حول توجيه أبنائهم وناتهم في أمور جنسية)

- ينبغي الحرص على مطالعة بعض الكتب العلمية في مجال التربية الجنسية ، لتساعد على تثقيفهم ثقافة رشيدة . وحبذا أيضا حضور بعض الندوات ، التي تجمع بين إخصائين في الطب وعلم النفس وعلم الاجتماع .
- إن التعميم وإغلاق الأفواه لا يحقق استقامة ، بل هو يفتح الباب على مصراعيه لمعلومات خاطئة أو مفترضة ، من مصادر غير موثوق بها (زملاء أو زميلات أو خدم ، أو كتب مضللة) .
- تقديم المعلومات الضرورية التي لها صلة بالجنس ، ولكنها تقدم بالقدر المناسب في الوقت المناسب ، وبطريقة مناسبة ، دون تخرج أو حساسية ، مع الحرص على الإجابة بيسر عن كل استفسار من جانب الطفل .
- موقف الوالدين عند كشف الطفل لعورته ، أو عند لمس الطفل ولعبه بأعضائه الجنسية - ذكرا كان أو أنثى - وقد يتبادل الأطفال لمس بعضهم لبعض :
- إن الطفل يفعل ذلك بصورة عفوية ، أو من باب استكشاف جميع نواحي بدنه ، أو بدن غيره ، فضلا عما يسببه هذا اللمس من الشعور بشيء من اللذة . هنا ينبغي التوجيه الرفيق كالتوجيه لآداب الطعام أو آداب الكلام ، دون حساسية مفرطة ، تشعر الطفل وكأنه أتي أمرا شائنا . والأولى صرف الطفل برفق إلى أمر آخر يؤنسه (عمل خفيف أو لعب لطيف) .
- في مرحلة البلوغ ينبغي تقديم بعض المعلومات الضرورية ، وبمحسن انتهاز مناسبة ما لعرض هذه المعلومات ، وهي تشمل على ما يأتي :
- بعض المعلومات الضرورية قبيل البلوغ عن قصة الحياة في جميع الأحياء ، وبيان أنها تنشأ من وجود ذكر وأنثى ، سواء في النبات أو الحيوان

(*) هذه مجرد خواطر حول موضوع خطير ، ويرجى من الآباء والأمهات مراجعة الكتب المتخصصة .

أو الإنسان . ويحسن التمهيد لذلك بملاحظة نبات في الحديقة ، ودور الأزهار وحبوب اللقاح .. أو ملاحظة قطرة في البيت ، وذلك حتى يكون الحديث عفويا بسيطا ، تماما كما يكون عن أى أمر يمر بنا في حياتنا اليومية .
قال تعالى : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ .

(سورة الذاريات : الآية ٤٩)

- بعض المعلومات الضرورية عن مظاهر البلوغ عند كل من الذكر والأنثى (الاحتلام ، والحيض) ، وحبذا تقديمها بمناسبة المحافظة على الصلاة ، والصلاة توجب الطهارة من الحدث الأصغر ، وكذلك من الحدث الأكبر .

● في مرحلة ما بعد البلوغ (التى يطلق عليها البعض فترة المراهقة) : ينبغي على الوالدين توفير الجو الصالح لينشأ كل من الابن والبنت نشأة صحيحة ، ويعبران مرحلة ما بعد البلوغ فى سلام ، ومن ذلك :

- إتاحة فرص محدودة للقاء جاد مع الجنس الآخر ، ضمن الجو العائلى المحتشم ، وذلك حتى يصبح مثل هذا اللقاء أمرا عاديا مألوفا ، ولا يصدم أيا من الفتى والفتاة ، عندما تدعو الحاجة للقاء بينهما .

- تهيئة فرص لانطلاق البالغ فى نشاطات متنوعة : رياضية .. فنية .. ثقافية .. اجتماعية . فهذه كفيلة فى معظم الحالات بعلاج ضغط الدافع الجنسى .

- مع صيام الوالدين - أو أحدهما - صيام تطوع ، يشجع البالغ على المشاركة فى الصوم ، فإن ذلك مما يخفف من ضغط الدافع الجنسى .

- تيسير الفرص للعب الطفل ومصاحبة من هم فى مثل سنه ، لا أكبر كثيرا ولا أصغر كثيرا ، حذرا من التعرض للوقوع فى الشذوذ الجنسى ، أى تعرض الصغير لعبث الكبير به ، أو تعرض الكبير لإغراء العبث بالصغير .

وهنا ينبغي أن يكون التوجيه إيجابيا ، بل ويسبق التوجيه الإيجابى ، تيسير فرص اللقاء واللعب مع من فى مثل سن الناشئ .

- لدى بلوغ الحُلُم ، ينبغي تطبيق الحديث الشريف : « فرقوا بينهم في المضاجع » وذلك :

• باستقلال البنات بغرفة للنوم ، والبنين بغرفة ، وإن لم يكن فلكل فراشه الخاص به ، المنفصل عن فراش الآخر .

• استقلال كل صبي وكل بنت بغطاء ، إذا كان لابد من فراش واحد لاثنتين .

- تحقيق الأمان للأطفال من التعرض لمناجاة الخدم والخلوة بهم . كذلك تحقيق الأمان للأطفال من التعرض للخلوة بأقارب أو جيران ، أكبر كثيرا أو أصغر كثيرا .

- توثيق صلة الأب بالأبناء ، والأم بالبنات ، صلة فكرية ونفسية تساعد على التفاهم المستمر ، وعلى تبادل الآراء ، والمصارحة بما يدور بخلداهم من أفكار ، وبما لديهم من أسئلة ، وبما يعانون من مشكلات اجتماعية أو جنسية .

- يشير الوالد - في مناسبة ما خلال قصة قراها أو سمع بها - إلى موضوع التلذذ الذاتي (أى الاستمنا باليد أو ما يسمى بالعادة السرية) ، وأن علماء الشريعة والأطباء ، يرون أنه لا يكون إلا عند الضرورة الملجئة ، وبشرط الاعتدال في ممارسته ، وإلا أثمر سقم الجسم وشروذ الذهن واكتئاب النفس . والأولى شغل الوقت في نشاطات وهوايات متنوعة(*) .

(*) انظر بعض أقوال الفقهاء حول هذا الموضوع ص ٢٣٦ .

هوامش الفصل الأول

تنبيه :

(يرجى ملاحظة أن الجزء والصفحة المذكورين بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح البخارى مرجعهما كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى طبعة مصطفى الحلبى - القاهرة .

أما الجزء والصفحة المذكوران بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح مسلم فمرجعهما الجامع الصحيح للإمام مسلم طبعة استانبول) .

- [١] مسلم كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ج٣ ص ٨٢ .
- [٢ ، ٣] البخارى كتاب الوصايا باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكفؤا الناس ج٦ ص ٢٩٦ .
- مسلم كتاب الوصية باب الوصية بالثلث ج٥ ص ٧١ .
- [٤] مسلم كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ج٣ ص ٨٢ .
- [٥] فتح البارى ج٦ ص ٢٩٨ .
- [٦] مسلم كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير ج٨ ص ٢٢٧ .
- [٧] قال الحافظ العراقى : متفق عليه من حديث أنس (من تخرج الحافظ العراقى لأحاديث كتاب إحياء علوم الدين ج٢ ص ٦٩٠ راجع الهامش رقم ١١٧) .
- [٨] قال الحافظ العراقى : رواه أبو يعلى فى مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن ج٢ ص ٦٨٩ .
- [٩] قال الحافظ العراقى الحديث رواه أحمد من حديث ربيعة الأسلمى . فى حديث طويل وهو صاحب القصة بإسناد حسن ج٢ ص ٦٩١ .
- [٩أ، ب] صحيح سنن النسائى كتاب النكاح باب كراهية تزويج العقيم حديث رقم ٣٠٢٦ ج٢ ص ٦٨٠ .
- [٩ج] مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ج٥ ص ٧٣ .
- [١٠] البخارى كتاب الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسب ج٣ ص ٣٦٤ مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ج٨ ص ٣٩ .
- [١١] فتح البارى ج١٤ ص ١٨ وقال الحافظ ابن حجر رجاله موثقون .
- [١٢] مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ج٨ ص ٤٠ .
- [١٣] رواه البيهقى فى شعب الإيمان انظر صحيح الجامع الصغير حديث رقم ٤٤٣ . قال المحقق الشيخ ناصر الدين الألبانى : حديث حسن .
- [١٤] رواه البخارى كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم ج ١١ ص ١٢ .

- [١٥] قال الحافظ العراقي رواه أحمد وإسحاقه جيد ج٢ ص٧٠٣ .
- [١٦] انظر صحيح سنن ابن ماجه كتاب النكاح باب أفضل النساء حديث رقم ١٥٠٥ .
- [١٧] قال الحافظ العراقي رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود ج٢ ص٧٠٧ .
- [١٨] انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي كتاب آداب النكاح - المقدمة ثم الباب الأول : الترغيب في النكاح ، الترغيب عن النكاح ، فوائد النكاح ، (المجلد الثاني ص٦٨٨ - ٧٠٩ طبعة دار الفكر الطبعة الأولى مصورة عن طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٣٥٦ هـ) .
- [١٩] البخاري كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم ج١٦ ص١٣ مسلم كتاب النكاح ج٤ ص١٢٨ .
- [٢٠] البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ج١٦ ص٤ مسلم كتاب النكاح ج٤ ص١٢٩ .
- [٢١] فتح الباري ج١٦ ص٥ .
- [٢٢] البخاري كتاب النكاح باب ما يكره من التبتل والخصاء ج١٦ ص١٩ مسلم كتاب النكاح ج٤ ص١٢٩ .
- [٢٣] صحيح سنن الترمذي أبواب فضائل الجهاد باب ماجاء في المجاهد والمكاتب والناكح حديث رقم ١٣٥٢ .
- [٢٤] انظر صحيح الجامع الصغير حديث رقم ١٠٢٢ .
- [٢٥] انظر صحيح سنن الترمذي كتاب النكاح باب إعلان النكاح حديث رقم ٨٦٩ .
- [٢٦] البخاري كتاب بدء الخلق باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ج٧ ص١٣١ مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ج٨ ص١٤٣ .
- [٢٧] البخاري كتاب بدء الخلق باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ج٧ ص١٣٢ مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ج٨ ص١٤٦ .
- [٢٨] البخاري كتاب بدء الخلق باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ج٧ ص١٣١ مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب في صفة خيام الجنة . ج٨ ص١٤٩ .
- [٢٩] مسلم كتاب الجنة ونيعيمها وأهلها باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال ج٨ ص١٤٥ .
- [٣٠] البخاري كتاب البراق باب صفة الجنة والنار ج١٤ ص٢٣٦ .

الفصل الثاني

الثقافة الجنسية والحياء

الثقافة الجنسية والحياء

أولا : لمحة عن الحياء المسرف في واقعنا :

لقد توارثنا تصورا خاطئا ، مؤداه أن نُخلِّق الحياء بمنع المسلم من أن يخوض في أى حديث يتصل بأمور الجنس ، وتربينا على اجتناب التعرض لأى أمر من هذا القبيل ، سواء بالسؤال إذا اشتدت حاجتنا إلى سؤال ، أو بالجواب إن طلب منا الجواب ، أو بالمشاركة في مناقشة هامة وجادة . إن الجنس وكل ما يتعلق به من قريب أو بعيد يظل - في إطار هذا التصور الخاطيء - وراء حجب كثيفة لا يستطيع اختراقها إلا من كان جسورا إلى درجة الوقاحة أو كان ماجنًا أو كان من الدهماء الذين حرموا كل صور التهذيب . أما الأسوياء والمهذبون فشأنهم عندنا عجيب ، إذا أثير حديث جاد وبصورة عرضية فيه رائحة الجنس تراهم وقد تضرع وجههم من الخجل ، وأرتج عليهم في المسلك والقول ، وكأنهم وقعوا في مأزق حرج ، وربما لاذوا بالفرار بعيدا! . وإذا فرضنا أن تجرباً أحد الكبار (والد أو مدرس) وفتح حديثا يقصد به تقديم نصيحة في أمر من أمور الجنس فإنك ترى المستمعين قد استقبلوه بامتعاض ، وقالوا لأنفسهم: ليتهم سكت! . وربما انصرفوا بعيدا ، أو حاولوا توجيه الحديث وجهة أخرى . وإذا حوصروا واضطروا للإلتصاف ظلوا على مضض وكأن آذانهم ونفوسهم لا تطيق احتمال سماع مثل هذا الكلام الثقيل . وإذا كان لابد من حديث ألجأت إليه ضرورة ملحة فلا بد أن يكون همسا وبين جدران مغلقة بل محكمة الإغلاق ، وكأنهم يأتون أمرا خبيثا منكرا ، ينبغى إخفاؤه عن أعين الناس وعن آذانهم . ثم لابد أن يمهّدوا للحديث تمهيدا طويلا ثم يلجئون في الموضوع على استحياء وفي حرج بالغ ، لا يكادون معه يفصحون عما يريدون إلا بعد عناء شديد ومجاهدة مضنية . وإذا عرضت للشباب أو الشابة مشكلة تتصل بالأمور الجنسية أو الأعضاء الجنسية حار في التماس التصرف الملائم ، والجهة التي يمكن أن يقصدها بحثا عن حل أو علاج . هل يتحدث مع الوالد أو الوالدة ، أم مع الخادم أو الخادمة ؟ مع المدرس أو المدرسة ، أم مع الزميل أو الزميلة ؟ . وغالبا مايكون الحديث مع الخادم أو الخادمة . ومع الزميل أو الزميلة أهون منه مع الوالد أو الوالدة ومع المدرس أو المدرسة . والسبب هو الحاجز الذي أقامه هؤلاء

الكبار بينهم وبين أبنائهم وتلاميذهم ، أقاموه بصورة غير مباشرة بصمتهم عن كل ما يتعلق بالأمور الجنسية سنوات طويلا ، وبصدهم للصغار حين يثيرون أسئلتهم الساذجة البريئة في مجال الجنس . وهذا مما ألقى في روع الأبناء منذ الصغر أن كل ماله صلة بالأمور الجنسية يعتبر عيبا لا يجوز الخوض فيه ، وأمرنا يحسن - من باب الحياء الواجب - البعد عنه بعد المشرقين . وهكذا صار من شأن المهذبن أن يفضلوا الصمت ويتحلموا آثاره - مهما كانت مزعجة مؤلمة - على معاناة الحديث . مع أن الحديث يمكن أن يسهم في علاج ما يواجههم من مشكلات ، بل قد يكون فيه البلسم لجراح نفسية عميقة . وخلاصة الأمر أن ذلك الحياء المسرف ما هو إلا وضع نفسى نشأ ونما وتمكن منا ، حتى ليستعصى علاجه إذا حاولنا العلاج ، وذلك نتيجة أوهام وتقاليد بالية ما أنزل الله بها من سلطان ، لكننا توارثناها جيلا بعد جيل ، وكأنها دين نستمسك به ونلقى الله عليه ، ومادرينا أننا أسرفنا على أنفسنا ، واتبعنا أهواءنا ، وخالفنا شرع الله الحكيم ، وهدى نبينا الكريم ، وسيرة أصحابه الأطهار .

ثانيا : الحياء السوِّى على هدى الكتاب والسنة :

نعتقد أن هناك وهما كبيرا قد أحاط بمعنى الحياء ، ونريد - مستعينين بالله - أن نحاول إزالة هذا الوهم الذى أدى إلى بناء سد منيع هائل بين المسلم وبين معرفة تعاليم دينه في جانب خطير من حياة كل إنسان رجلا كان أو امرأة ، وهذا الجانب يشمل كل ماله صلة بالأعضاء التناسلية أو بالمتعة الجنسية . حقا إنه قد ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث عديدة ترفع من شأن الحياء :

- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الإيمان بضعة وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » .

[١] [رواه البخارى ومسلم]

- وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإن الحياء من الإيمان » .

[٢] [رواه البخارى ومسلم]

- وعن عبد الله بن مسعود قال قال النبي ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

[رواه البخارى ومسلم] [٣]

- وعن عمران بن حصين قال : قال النبي ﷺ : « الحياء لا يأتي إلا بخير » ، فقال بُشَيْرُ بن كعب : مكتوب في الحكمة : إن من الحياء وقارا ، وإن من الحياء سكينه فقال له عمران : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحديثي عن صحيفتك ! .

[رواه البخارى ومسلم] [٤]

قال الحافظ ابن حجر : (قوله : « والحياء شعبة من الإيمان » الحياء في اللغة تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به ... وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ؛ لهذا جاء في الحديث الآخر : « لحياء خير كله » ... ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية ، فهو من الإيمان لهذا ، ولكونه باعثاً على فعل الطاعة ، وحاجزا عن فعل المعصية ، ولا يقال : رُبَّ حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير ، لأن ذلك ليس شرعياً) [٥] .

وقال الحافظ أيضا : (... قال عياض وغيره : إنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة ، لأن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وعلم . وأما كونه خيرا كله ولا يأتي إلا بخير فأشكل حملة على العموم ، لأنه قد يصد صاحبه عن مواجهة من يرتكب المنكرات ويحملة على الإخلال ببعض الحقوق . والجواب أن المراد بالحياء في هذه الأحاديث ما يكون شرعياً ، والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس خيائاً شرعياً بل هو عجز ومهانة) [٦] .

وينبغي أن نتأمل هذا البيان من الحافظ ابن حجر ومن القاضي عياض وتميزهما بين الحياء السوى وبين الحياء المريض . أولهما يقول : « ولا يقال رب حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير ، لأن ذلك ليس شرعياً » وثانيهما يقول : « والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس خيائاً شرعياً بل هو عجز ومهانة » .

ونخلص من هذا الكلام الرصين إلى أن الحياء السوى، الذى يُجِلُّه الإسلام ويأمر به كل مسلم ومسلمة، هو ذاك الخلق الذى يبعث على اجتناب القبيح من الفعال. وهو غير الحياء الأعوج، والأفضل أن نسميه «بالخجل المَرَضِى» حتى يظل لفظ «الحياء» له جلاله الذى يسبغه عليه الإسلام، ولا يختلط بأوهام خارجة تماما عن معناه الشرعى. هذا الخجل المرضى هو الذى يحول بين الفرد رجلا كان أو امرأة وبين قول الحق فى موقف، أو يصرفه عن فعل الخير فى موقف آخر، وذلك لأدنى ملابس أو عارض يحيط بهذا الموقف أو ذاك، كأن يكون هناك حشد كبير، أو يكون الفرد حديث عهد بالأشخاص الحضور، أو يكون أصغرهم سنا أو مكانة، أو يكون الحضور من الجنس الآخر بعضهم أو كلهم، أو يكون موضوع قول الحق أو عمل المعروف له علاقة بالجنس الآخر، أو أن يكون الموضوع نفسه له صلة بالثقافة الجنسية، أو ما إلى ذلك من ملابسات ضئيلة الشأن فى ميزان الحق والواجب. فإذا حدث أى من هذه الملابسات فينبغى أن نسميه ضعفا عن فعل الواجب، أو جبنًا عن قول الحق. وهكذا نسمى الأشياء بأسمائها ونميز الحياء الشرعى عن الخجل المرضى. ولنتنظر الآن كيف صحح أنس رضى الله عنه فهم ابنته للحياء الشرعى:

- فعن ثابت البناني قال: «كنت عند أنس وعنده ابنة له. قال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها، قالت: يا رسول الله، ألك فى حاجة؟ فقالت بنت أنس: ما أقل حياءها، واسوأ تأه واسوأ ته^(١). قال: هى خير منك، رغبت فى النبى ﷺ فعرضت عليه نفسها».

[رواه البخارى] [٧]

ولدينا فى القرآن والسنة نماذج ترسم لنا كيف لا يمنع الحياء من قول الحق أو فعل المعروف، وإن كان الحق والمعروف لهما صلة بأمر جنسية أو بالجنس الآخر. صحيح أنه يمكن أن يحدث داخل النفس نوع من التوتر يصاحب القول أو الفعل، وهذا أمر محمود وكثيرا ما يلزم الحياء السوى.

(١) واسوأ ته: أصل السوءة القفلة القبيحة، والألف «للدبة» أى للنداء والماء «للسكت» أى لاحقة لبيان المد بالألف التى قبلها.

نموذج من القرآن عن الحياء السوى :

قال تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبَى
يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ (سورة القصص الآية : ٢٥)

فهنا فتاة تخرج للقاء رجل غريب ، ومن الطبيعي بل ومن المحمود أن يصيبها قدر من الحياء ، لكن أن يبلغ بها الحياء درجة تمنعها من الخروج لهذا اللقاء وتحقيق مصلحة واجبة أو مندوبة ، فهذا هو المرفوض المذموم .

نماذج من السنة عن الحياء السوى :

— عن عائشة أن أسماء بنت شُكَل سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غَسْلِ الْمَحِيضِ فَقَالَ : تَأْخُذُ إِحْدَاكُن مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا^(١) فَتَطْهَرُ فَتَحْسِنُ الطَّهْوَرَ ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَذْلُكُهُ ذَلِكَ شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤْنَ رَأْسِهَا^(٢) ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً^(٣) مُمَسَّكَةً^(٤) فَتَطْهَرُ بِهَا . فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : وَكَيْفَ تَطْهَرُ بِهَا ؟ فَقَالَ : سَبِّحَانَ اللَّهَ تَطْهَرِينَ بِهَا . فَقَالَتْ عَائِشَةُ — كَأَنَّهَا تَخْفَى ذَلِكَ — تَتْبَعِينَ أَثَرَ الدَّمِ . وَسَأَلَتْهُ عَنْ غَسْلِ الْجَنَابَةِ^(٥) فَقَالَ : تَأْخُذُ مَاءً فَتَطْهَرُ فَتَحْسِنُ الطَّهْوَرَ أَوْ تَبْلُغُ الطَّهْوَرَ ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَذْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُؤْنَ رَأْسِهَا ثُمَّ تَفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : نَعَمْ النِّسَاءُ نَسَاءُ الْأَنْصَارِ ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الْبَدَنِ . [رواه البخارى ومسلم] [٨]

[وهذه رواية مسلم]

وصدقت عائشة أم المؤمنين إذ تصف نساء الأنصار بالحياء ، ذاك الحياء السوى الذى لم يمنعهن من قول الحق وعمل المعروف ، وهو هنا فى صورة طلب العلم والتفقه فى الدين .

(١) سدرتها : الصدر ورقى شجر النبق الذى يفرز مادة رغوة منظفة مثل الصابون .

(٢) شئون رأسها : أصول شعر رأسها .

(٣) فرصة : قطعة من قطن أو صوف أو خرقة .

(٤) ممسكة : مطية بالمسك .

(٥) الجنابة : حال من يكون منه جماع ، أو حال من نزل منه منى .

لكن لا حرج في أن يستجيب المؤمن لما يصيبه من حياء سوى ، فلا يواجه الموقف بنفسه ، ويلجأ إلى وسيلة أخرى تحقق المصلحة دون مواجهة ، وهذا ما فعله صحابي جليل :

— فعن علي بن أبي طالب قال : « كنت رجلاً مذاء^(١) فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ (وفي رواية : لمكان ابنته)^[٩] فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال : فيه الوضوء .

[رواه البخاري ومسلم]^[١٠]

وفي رواية عند أبي داود عن علي قال « كنت رجلاً مذاء ، فجعلت أغتسل حتى تشفق ظهري »^[١١] وفي رواية لابن حبان : عن المقداد بن الأسود « أن علي ابن أبي طالب أمره أن يسأل رسول الله ﷺ عن الرجل إذا دنا من أهله فخرج منه المذي ماذا عليه ؟ فإن عندي ابنته وأنا استحي أن أسأله . قال المقداد : فسألت رسول الله ﷺ فقال : إذا وجد ذلك أحدكم فليضع^(٢) فرجه ، وليتوضأ وضوءه للصلاة »^[١٢].

ورد في فتح الباري : قال ابن دقيق العيد : كثرة المذي هنا ناشئة عن غلبة الشهوة مع صحة الجسد^[١٣] .

وقال الحافظ ابن حجر : في الحديث استعمال الأدب في ترك المواجهة لما يستحي منه عرفاً ، وحسن المعاشرة مع الأصهار ، وترك ذكر ما يتعلق بمجماع المرأة ونحوه بحضرة أقاربها . وقد تقدم استدلال المصنف (أي البخاري) به في كتاب العلم لمن استحيا فأمر غيره بالسؤال ، لأن فيه جمعا بين المصلحتين : استعمال الحياء ، وعدم التفريط في معرفة الحكم^[١٤] .

ثم إنه أحيانا يلجأ الإنسان صاحب الحياء السوي إلى التخفيف مما يحسه من توتر (أي حياء) وذلك بأن يقدم بين يدي حديثه عن أمر من أمور الجنس — أو يعقب عليه — فيصرح بما يخالجه من حياء وهذه نماذج لهذا السلوك السوي :

(١) رجلاً مذاءً : الذي ماء رقيق يخرج من ذكر الرجل عند الملاعبة ، والرجل المذاء من يكثر خروج المذي منه .
(٢) فليضع فرجه : فليرشه بالماء .

- عن أم سلمة قالت : جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن الله لا يستحي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال النبي ﷺ : إذا رأت الماء . ففطت أم سلمة تعنى وجهها وقالت : يا رسول الله ، وتحتلم المرأة ؟ قال : نعم . تربت يمينك ^(١) . فبم يشبهها ولدها ؟ [رواه البخارى ومسلم] ^[١٥]

وقد أورد البخارى هذا الحديث تحت باب « الحياء فى العلم » . وقال مجاهد : لا يتعلم العلم مُستحي ولا مستكبر .

- عن أنى موسى قال : اختلف فى ذلك رهط من المهاجرين والأنصار فقال الأنصارىون : لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء . وقال المهاجرون : بل إذا خالط فقد وجب الغسل . قال أبو موسى : فأنا أشفيكم من ذلك ، فقامت فاستأذنت على عائشة فأذن لى ، فقلت لها : يا أمه - أو يا أم المؤمنين - إني أريد أن أسألك عن شيء وإنى أُمستحيك . فقالت : لا تستحي أن تسألنى عما كنت سائلا عنه أمك التى ولدتك ، فإنما أنا أمك . قلت : فما يوجب الغسل ؟ قالت : على الخبير سقطت ، قال رسول الله ﷺ : إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان ، فقد وجب الغسل .

[رواه مسلم] ^[١٦، ١٧]

ولننظر هنا كيف يظن رجل أن طلب العلم من امرأة فى أمر من الأمور الجنسية ، يعتبر من الرُفث ^(٢) الذى ينبغى أن ينأى عنه الرجل الحىي ، فترد عليه عائشة فى صراحة ووضوح ، دوغما حرج ، بما يدفع ذاك الظن الخاطيء .

على أن هناك مجالين لهما علاقة بالأمور الجنسية يفرض الحياء السوى الصمت الكامل فيهما :

(١) تربت يمينك : صارت يمينك على التراب . دعاء يعنى ظاهره لا أصابت يمينك خيرا ، وهى من الألفاظ التى تطلق ولا يراد بها ظاهرها .

(٢) الرُفث : التصريح بكلام قبيح .

المجال الأول : هو مجال أسرار المباشرة الزوجية ، وستر أدلة النهى عن كشف هذه الأسرار ضمن حديثنا عن الآداب المتعلقة بالأمور الجنسية . (انظر الفصل الخامس) .

والمجال الثانى : هو مجال العبث واللغو والتندر بأمور تتعلق بالمتعة الجنسية ، مما يزيح عنها رداء الصون والعفاف ويعرضها للابتذال ، هذا فضلا عما قد تثيره من الشهوة ، لا سيما عند غير المتزوجين .

ثالثا : لا حياء فى تقديم الثقافة الجنسية المشروعة أو طلبها :

ينبغى أن نكون على ذكر من أن الله سبحانه وتعالى ، قد أنزل فى كتابه الكريم من أمور الجنس شيئا كثيرا ، نورد بعضه بعد قليل وفيه شواهد تطبيقية على أن ذكر أمور الجنس فى مناسبتها ، لا يتعارض مع الحياء بوجه من الوجوه . وقد أنزل الله كتابه نورا لعباده . ويسره لهم ليتلوه جميعا ويتدبروه ، الرجل ، والمرأة ، والشاب ، والشيخ . قال تعالى : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ (سورة القمر الآية : ٤٠) . كما ينبغى أن نكون على ذكر أيضا من أنه ورد فى السنة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال « كان النبى ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها » [رواه البخارى ومسلم] [١٩ ، ١٨]

ولم يمنع هذا الحياء الجسم ، بل البالغ أقصى درجات الكمال ، لم يمنع رسول الله ﷺ من أن يعلم الناس أمور الجنس ، ويستمع إلى أسئلتهم وشكاواهم المتعلقة بالجنس فى سماحة ويسر ، حتى وإن كانت بعض تلك الأسئلة والشكاوى صارخة التعبير ، كما سيتضح ذلك من مجموع النصوص الواردة خلال فصول هذا البحث . ونؤكد أنه ينبغى أن تكون لنا القدوة الحسنة فى آيات كتاب الله العزيز وفى سنة رسوله الأمين ، فتتعلم منهما النهج السوى فى الحديث عن أمور الجنس ، نهجا يتسم بسمو فى التعبير مما يتوافق مع الحياء السوى ، كاستعمال الكناية والمجاز حيث يغنيان عن الحقيقة ، والإشارة حيث تغنى عن العبارة ، والتلميح حيث يغنى عن التصريح ، والإجمال حيث يغنى عن التفصيل . على أن الحياء السوى لا يتعارض مع نوع من التصريح أحيانا ، أو مع شيء من التفصيل أحيانا ، حتى يكون البيان أكمل بيان .

وسنعرض هنا مجموعة شواهد تبين كيف عالج القرآن الكريم - في أدب - كثيرا من القضايا التي لها علاقة بالأعضاء التناسلية أو بالمتعة الجنسية ، فقدم بذلك للمؤمنين والمؤمنات ثقافة جنسية رصينة . ثم نعرض شواهد أخرى تبين كيف تأمى رسولنا ﷺ بالقرآن العظيم ، وكذلك صحابته الكرام من بعده ، فعالجوا جميع تلك القضايا في وضوح ، وهم على أتم حياء وأكمل في الوقت نفسه . فبدافع من الحياء كانوا يقفون من الحديث عند قدر الحاجة لا يتجاوزونها ، وكانوا يتحرون الجد ويجتنبون الهزل ، وكانوا يقصدون المصلحة لا المفسدة ، رائداهم دائما العفاف والطهر لا المجون ولا الفجور .

إن أعضاء البدن كلها تشملها الطهارة والكرامة سواء كانت ضمن الجهاز التنفسي أو الجهاز الهضمي أو الجهاز التناسلي . وكذلك أعمال الإنسان كلها تشملها الطهارة والكرامة إذا تمت وفق شرع الله ، سواء أكانت أعمال التجارة ، أو أعمال القتال أو أعمال المباشرة الجنسية . لذا كان من الطبيعي أن تذكر أعضاء التناسل ، وأعمال المباشرة ، وما يؤدي إليها وما ينتج عنها عندما تأتي المناسبة ، كما تذكر أعضاء الأكل والشرب أو أعمال القتال عندما تأتي مناسبتها . وكما أنه لا خرج في ذكر اليدين والقدم ، أو في ذكر الدم والدمع ، فلا حرج في ذكر السواتين والفرج ، أو في ذكر النطفة والمني . وكما أنه لا حرج في ذكر الجوع والظمأ ، أو في ذكر أكل الطعام وشرب الماء ، فكذلك لا حرج في ذكر المنيض والطهر أو في ذكر الرفث إلى النساء ومس النساء ، ما دامت المناسبة مشروعة ، والأسلوب راقيا ، والهدف هو مصلحة المؤمنين والمؤمنات في دينهم ودنياهم .



رابعا : نصوص من القرآن تتضمن قدرا من الثقافة الجنسية :

(دوغا جرح للحياء)

(أ) آيات تشير إلى خلق الإنسان :

قال تعالى :

[عن العطفة]

• ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي

قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴿١٥﴾ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴿١٦﴾ فَخَلَقْنَا

الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ۖ مَا خَرَفْتَ بَارَكَ اللَّهُ

(سورة المؤمنون الآيات : ١٢ ، ١٣ ، ١٤)

أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٧﴾ .

• ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ

(سورة غافر الآية : ٦٧)

طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا ۖ

• ﴿قُلْ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ

(سورة عبس الآيات : ١٧ - ٢٠)

السَّيْلَ يَسَّرُهُ ﴿٢٠﴾

[عن الماء المهيئ]

• ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ

(سورة السجدة الآيات : ٧ ، ٨)

نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾

• ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾

(سورة المرسلات الآيات : ٢٠ ، ٢١)

(١) نطفة : النطفة في هذه الآية - والله أعلم - هي النطفة الأشجاج ، أي البويضة الملقحة (بلغة العصر الحاضر) وهي محصلة اتحاد النطفة المذكورة (الحيوان المنوي) بالنطفة المؤنثة (البويضة) وصدق رسول الله ﷺ في جوابه لسؤال يهودي : مم يخلق الإنسان ؟ قال : هـ من كل خلق ، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة .

(٢) قرار مكين : الجنين في أوائل أطواره يكون بجدار الرحم معلقا .

(٣) مضغة : المضغة في اللغة القطعة من اللحم ، والمقصود بها هنا المرحلة الجنينية التي تتلو العلقة .

[عن النطفة إذا تمنى]

• ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٥﴾ (١)

(سورة النجم الآيات : ٤٥ ، ٤٦)

[عن المني]

• ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۚ ۝٣٨ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ ۖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ ۚ فَسَوَىٰ ۖ ۝٣٩ أَجْعَلُ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ﴾ (سورة الفاقة الآيات : ٣٦ - ٣٩)

[عن الإماء]

• ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۚ ۝٥٨ أَأنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۚ﴾ (سورة الواقعة الآيات : ٥٨ ، ٥٩)

[عن الماء المدافق]

• ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۖ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ ۝٦ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ ۚ ۝٧ وَالْأَرْحَابِ ۚ﴾ (٢) (سورة الطارق الآيات : ٥ ، ٦ ، ٧)

ب - آيات تشير إلى الميل الفطري بين الرجال والنساء :

قال تعالى :

• ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ۚ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ۚ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٤)

(١) تمنى : أى تراق قُصَبَ فى الرحم .

(٢) ماء دافق : أى ماء ذى اندفاق من الرجل والمرأة .

(٣) الترائب : عظام الصدر مما على الترقوتين .

(٤) الخيل المسومة : المعلمة وقيل المطهمة وقيل الراعية فى المروج والمسارح .

• ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ^(١) فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُوْنَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٢)

(سورة البقرة الآية : ٢٣٥)

• ﴿وَرَوَدَتْهُ^(٤) الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَبْتَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ^(٥) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ^(٣)﴾

﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

(سورة يوسف الآيات : ٢٣ ، ٢٤)

• ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرِيهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٢٠)﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاوَةً أَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَيِّئًا وَقَالَتْ خُذْ أَمْثَلَكُمْ كَرِيمًا^(٢١) قَالَتْ

فَذَلِكَ الَّذِي لَمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودَنِي عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمْتُ وَلِيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِّيَسْجَنَنَّ وَلِيَ كُونًا مِّنَ الصَّغِيرِ^(٢٢)﴾

(سورة يوسف الآيات : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢)

(١) لا جناح عليكم : لا إثم عليكم .

(٢) عرضتم : لوحتم . والمعارض التوريات جمع تورية وهي التلويح إلى الشيء بذكر غيره مما يدل عليه .

(٣) أكنتم : أخفيتم .

(٤) راودته : أغرته بمواقعتها .

(٥) هيت لك : هيات لك .

ج - آيات تشير إلى الأعضاء الجنسية وما يعرض لها من ظواهر :

قال تعالى :

[عن السواة]

• ﴿ وَيَتَكَادُمُ اشْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٦) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ إِلَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا يَمُّرُورٌ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

(سورة الأعراف الآيات : ١٩-٢٢)

[عن البلوغ]

• ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّكُمْ اللَّهُ مِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَافُوتٍ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

(سورة النور الآيات : ٥٨ ، ٥٩)

(١) طلقا يَخْصِفَانِ : أخذتا يستتران بورق الشجر .

[عن الميض والعدة]

• وَالَّتِي يَسْتَنِّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مِنْ أَمْرِهُ يُسْرًا ﴿

(سورة الطلاق الآية : ٤)

• وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعِزُّوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ
وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿

(سورة البقرة الآية : ٢٢٢)

• يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا
اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا
تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿

(سورة الطلاق الآية : ١)

• يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ﴿

(سورة الأحزاب الآية : ٤٩)

• وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴿^(١)

(سورة البقرة الآية : ٢٢٨)

[عن الأرحام]

• هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿

(سورة آل عمران الآية : ٦)

• اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ
شَيْءٍ عِنْدَهُ بِإِقْدَارٍ ﴿

(سورة الرعد الآية : ٨)

(١) قروء : جمع قرء ويطلق على الطهر والحيض .

(٢) ما تغيض الأرحام وما تزداد : ما تنقص الأرحام من مدة الحمل وما تزداد منها .

• ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ۚ ﴾

(سورة البقرة الآية : ٢٢٨)

[عن الفرج والفروج]

• ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاحَهُمْ ذَلِكَ أَوْفَىٰ لَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ ۚ ﴾

(سورة النور الآيات : ٣٠ ، ٣١)

• ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاحِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ ذَرْوًا ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۚ ﴿
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ۚ ﴾

(سورة المؤمنون الآيات : ٥ ، ٦ ، ٧)

(سورة الأحزاب الآية : ٣٥)

• ﴿ وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَسَبِينَ ۚ ﴾

(سورة التحریم الآية : ١٢)

[عن الجنابة]

• ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا
تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ ﴾

(سورة النساء الآية : ٤٣)

• ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ
وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ ﴾

(سورة المائدة الآية : ٦)

د - آيات تشير إلى ممارسة المتعة الجنسية :

أولا : ممارسة المتعة من طريق الحلال :

قال تعالى :

[عن الحرث]

(١)
﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية : ٢٢٣)

[عن الرث والمباشرة]

(٢)
﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ
لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ
وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ
وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ (سورة البقرة الآية : ١٨٧)

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ رَزَّ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ
وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (سورة البقرة الآية : ١٩٧)

[عن الإفضاء]

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبِدَالَ رَوْحٍ مَّكَانَ رَوْحٍ وَمَأْتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ
فِنِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٤٠﴾

(١) الحرث : المقصود هنا الجماع .

(٢) حرث لكم : أى محل زرعكم الولد .

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ (١) وَأَخَذَتْ
مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿

(سورة النساء الآيات : ٢٠ ، ٢١)

• ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ
وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ
الَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا
دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾

(سورة النساء الآية : ٢٣)

[عن الاستماع]

• ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

(سورة النساء الآية : ٢٤)

[عن الملازمة]

• ﴿ وَإِن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ
النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ (سورة النساء الآية : ٤٣) .

[عن المس]

• ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(سورة آل عمران الآية : ٤٧)

• ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً
وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ التَّوَسُّعِ قَدْرُهُ وَعَلَىٰ الْمَقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَّعَابًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ

(١) أفضى بعضكم إلى بعض : كناية عن الجماع .

﴿٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٧﴾
(سورة البقرة الآيتان : ٢٣٦ ، ٢٣٧)

﴿١﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعَظُوتٌ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِمَنْ تَوَضَّعَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ
(سورة المجادلة الآيتان : ٣ ، ٤)

ثانيا : ممارسة المتعة من طريق حرام :

قال تعالى :

[عن الزنا والزناة]

﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾
(سورة النور الآيتان : ٢ ، ٣)

﴿١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٢﴾
(سورة الفرقان الآية : ٦٨)

(١) الذين يظاهرون من نساءهم : ظاهر من امرأته قال لها : أنت على كظهر أمي ، أى أنت على حرام . وكان هذا نوعا من الطلاق أو الفرقة يمارسها أهل الجاهلية فنبى عنه الإسلام .

• ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾
(سورة النساء الآية : ١٥) .

• ﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ^(١) مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ^(٢) وَأَنْ تَصِيرُوا خِثْلًا^(٣) وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾
(سورة النساء الآية : ٢٥) .

• ﴿وَلَوْ طَآءَ إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾
(سورة الأعراف الآيتان : ٨٠ ، ٨١) .

وقد تكرر ذكر ذلك في القرآن في سور عدة .

[عن المسافعة واتخاذ الأخدان]

• ﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ^(٤) غَيْرَ مُسْفُوحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ^(٥)﴾
(سورة النساء الآية : ٢٥) .

(١) فإذا أحصن : أى تزوجن . والكلام في الآية عن الإمام .

(٢) المحصنات : المحصنات هنا بمعنى الحرائر .

(٣) العنت : أى الوقوع في المشقة والشدة واكتساب الإثم بارتكاب الزنى .

(٤) محصنات : المحصنات هنا بمعنى العفاف ، وترد المحصنات أيضا في القرآن بمعنى المتزوجات .

(٥) مسافحات : مطلعات بالزنا .

(٦) متخذات أخدان : مرتكبات الزنا سرا وخفية .

• ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَتَجَدِّى أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (سورة المائدة الآية : ٥) .

[عن البغاء]

• ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (سورة مريم الآية : ٢٠) .

• ﴿فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ قَالُوا يَمْزِغُ لَكُمْ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هَاهُنَا مَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (سورة مريم الآيتان : ٢٧ ، ٢٨) .

• ﴿وَلَا تَكْرِهُوا فَنِيَّتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْغُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة النور الآية : ٣٣) .

[عن رمى المحصنات]

• ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمَّا أَتَوْا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَتًا وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة النور الآية : ٤) .

• ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنْ

(١) المحصنات : المحصنات هنا بمعنى الحرائر .

(٢) محصنين : متزوجين .

(٣) فرأى : عظيما منكرا حيث أثبت بولد من غير أب .

الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُاعْنَهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ
وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾

(سورة النور الآيات : ٥ - ٩)

ونذكر القارئ بما سبق عرضه في الفصل الأول من آيات كريمة ،
تشير إلى ما سوف ينعم به المؤمنون والمؤمنات من متعة جنسية في الحياة
الآخرة .

خامسا : نصوص من الستة تتضمن قدرا من الثقافة الجنسية :

(دوغما جرح للحياء)

● نصوص تشير إلى الأعضاء الجنسية :

[الفرج والفروج]

١ - عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : « فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن
بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله »

[رواه مسلم] [٢٠]

- عن ابن عمر قال قال النبي ﷺ للمتلاعتين : « حسابكما على الله ، أحكما
كاذب ، لا سبيل لك عليها قال : مالى ؟ قال : لا مال لك ، إن كنت صدقت
عليها فهو بما استحلتت من فرجها ، وإن كنت كذبت عليها فذاك أبعد
لك » .

[رواه البخارى ومسلم] [٢١]

- عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال : « من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو
منها عضوا من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه » .

[رواه مسلم] [٢٢، ٢٣]

[الذكر والمذاكير]

- عن عبد الله بن عمر أنه قال : « ذكر عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ بأنه
تصيه الجنابة من الليل ، فقال له رسول الله ﷺ : توضأ واغسل ذكرك ثم
نم » .

[رواه البخارى] [٢٤، ٢٥]

– عن جابر قال : « فقدم النبي ﷺ صبح رابعة مضت من ذى الحجة فلما قدمنا أمرنا النبي ﷺ أن نحل ... فبلغه أنا نقول : لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمرنا أن نحل إلى نساتنا فنأتى عرفة تقطر مذاكيرنا المذى »
[رواه البخارى ومسلم] [٢٦]

[القبل والدبر]

– عن جابر رضى الله عنه قال : « كانت اليهود تقول : إذا جامعها من ورائها (وفى رواية مسلم إذا أتيت المرأة من دبرها فى قبلها) جاء الولد أحول ، فنزلت : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ .
[رواه البخارى ومسلم] [٢٧]

[الاست والألية]

– عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليآت^(١) نساء دؤس^(٢) على ذى الخلصة ، وذو الخلصة : طاغية دؤس التى كانوا يعبدون فى الجاهلية » .
[رواه البخارى ومسلم] [٢٨، ٢٩]

– عن عمرو بن سلمة قال : « فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى ... فقدمونى بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة^(٣) كانت إذا سجدت تقلصت عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تغطون عنا إست^(٤) قارئكم » .
[رواه البخارى] [٣٠]

– عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « تحشرون حفاة عراة غرلا^(٥) » فقلت : يا رسول الله ، الرجال والنساء ينظرون بعضهم إلى بعض ؟ فقال : الأمر أشد من أن يهيم ذاك » .
[رواه البخارى ومسلم] [٣١]

(١) أليآت : جمع ألية ، وهى المعجزة أى مؤخرة الإنسان وجمعها أعجاز .

(٢) دوس : اسم قبيلة عربية .

(٣) البردة : كساء يغطي ويتلف به .

(٤) إست . الإست الفجز أى مؤخرة الإنسان .

(٥) غرلا : غير مختونين .

نصوص تشير إلى بعض خصوصيات النساء :

[الصدى]

— عن أنى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « آيتهم (أى الخوارج) رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضة^(١) تدردر^(٢) » .

[رواه البخارى] [٣٢]

— عن عبد الله بن عمرو أن امرأة قالت : « يا رسول الله ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وثدى له سقاء ، وحجرى له جواء ، وإن أباه طلقنى وأراد أن ينتزعه منى . فقال لها رسول الله ﷺ : أنت أحق به ما لم تنكحى » .

[رواه أبو داود] [٣٣]

[الفخذ]

— عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : « ... فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذى قد نام ، فقال : حبست رسول الله ﷺ والناس ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ... وجعل يطعننى بيده فى خاصرقتى فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذى » .

[رواه البخارى ومسلم] [٣٤]

— عن عائشة قالت ، كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح « إنه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يخير ، فلما نزل به ورأسه على فخذى غشى عليه ثم أفاق ، فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال : اللهم الرفيق الأعلى » .

[رواه البخارى ومسلم] [٣٥]

[الصدر والسحر والنحر والجعجر]

— عن عائشة رضى الله عنها : « دخل عبد الرحمن بن أبى بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدرى ... ثم قضى » (وفى رواية^[٣٦] : توفي فى بيتى وفى يومى وبين سحرى^(٣) ونحرى^(٤)) .

[رواه البخارى] [٣٧]

(٣) سحرى : السحر الرقة .

(٤) ونحرى : النحر أعلى الصدر ..

(١) البضة : القطعة من كل شيء .

(٢) تدردر : تضطرب وترجرج .

- عن أبي بردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال : وَجَعَ أَبُو موسى رجعا ففُشِيَ عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله .

[رواه البخارى] [٣٨]

[الحمد]

- عن عائشة قالت : « ... وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق^(١) والحراب ، فإما سألت النبي ﷺ وإما قال : تشتين تنظرين؟ قلت : نعم . فأقامني وراءه خدى على خده وهو يقول : دوئكم^(٢) يا بنى أُرْفُدَةَ^(٣) » .

[رواه البخارى ومسلم] [٣٩]

نصوص تشير إلى المباشرة الزوجية :

- عن جدامة بنت وهب قالت : حضرت رسول الله ﷺ في أناس وهو يقول : « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة^(٤) ، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ، فلا يضر أولادهم ذلك شيئا » .

[رواه مسلم] [٤٠]

- عن كعب بن مالك (من قصة الثلاثة الذين خُلِفوا) ... حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسول الله ﷺ يأتيني ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبتي مثل ذلك... فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربك . قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ..

[رواه البخارى ومسلم] [٤١]

نصوص تمحّض على المباشرة الزوجية وعلى كمال الاستمتاع :

- عن جابر بن عبد الله في أناس معه قال : أهللنا أصحاب رسول الله ﷺ في الحج خالصا ، ليس معه عمرة ... فقدم النبي ﷺ صبح رابعة مضت من ذى

(١) الدرق : جمع درقة وهى ترس مصنوع من الجلد . (٢) دوئكم : كلمة تمهض وتنشيط .

(٣) بنى أُرْفُدَةَ : لقب للحبشة . (٤) الغيلة : مجامعة الرجل زوجته وهى مرضع .

الحجة ، فلما قدمنا أمرنا النبي ﷺ أن نخل ، وقال : أحلوا وأصيوا من النساء ... فبلغه أنا نقول : لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمرنا أن نخل إلى نسائنا فتأق عرفة تقطر مذاكيرنا المذى !... فقام رسول الله ﷺ فقال : قد علمتم أنى أتقاكم الله وأصدقكم وأبركم ، ولولا هدىي لحللت كما تئجلون ، فجلوا ، فلو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت . فحللنا وسمعنا وأطعنا . (وفى رواية [٤٣، ٤٢] : فواقعنا النساء وتطينا بالطيب ولبسنا ثيابنا) .

[٤٥، ٤٤] [رواه البخارى ومسلم]

- عن جابر قال : قلت لرسول الله ﷺ : إني حديث عهد بعرس ، قال : فبكرا تزوجت أم ثيبا^(١) ؟ قلت : بل ثيبا ، قال : فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ (وفى رواية [٤٧، ٤٦] : تضاحكها وتضاحكك . وفى رواية [٤٨] : مالك وللعداري ولعابها .

[رواه البخارى ومسلم] [٥٠، ٤٩]

- عن علقمة قال : كنت مع عبد الله فلقية عثمان يمتنى فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إن لى إلبك حاجة ، فحلياً ، فقال عثمان : هل لك يا أبا عبد الرحمن فى أن نزوجك بكرا تذكرك ما كنت تعهد ؟ فلما رأى عبد الله أن ليس له حاجة إلى هذا أشار إلى فقال : يا علقمة . فانتبهت إليه وهو يقول : أما لئن قلت ذلك ، لقد قال لنا النبي ﷺ : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة^(٢) فليتزوج ...

[رواه البخارى ومسلم] [٥٢، ٥١]

الاستفتاء فى شئون المباشرة الزوجية :

- عن أنبى بن كعب أنه قال : يا رسول الله ، إذا جامع الرجل المرأة فلم يئزل ؟ (وفى رواية مسلم : الرجل يصيب من المرأة ثم يُكْسِل) قال : يغسل ما مس المرأة منه ثم يتوضأ ويصلى

[٥٣] [رواه البخارى ومسلم]

- عن زيد بن خالد ... أنه سأل عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : أ رأيت إذا جامع فلم يُمْنِ^(٣) ؟ قال عثمان : يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذكره .

[٥٤] [رواه البخارى ومسلم]

(١) ثيبا : الثيب من سبق لها الزواج .

(٣) لم يُمْنِ : أى لم يئزل منه منى .

(٢) الباءة : تكاليف الزواج .

- عن أبي سعيد الخدري قال قال عتبان : يا رسول الله أرأيت الرجل يعجل عن امرأته ولم يُمنِّ ، ماذا عليه ؟ قال رسول الله ﷺ : إنما الماء من الماء (*) .
[رواه مسلم] [٥٥]

استفتاء النساء الرجال في أمور جنسية :

- عن أسماء قالت : جاءت امرأة النبي ﷺ فقالت : أرأيت إحدانا تحيض في الثوب كيف تصنع ؟ قال : تحته ثم تفرسه بالماء^(١) وتنضح^(٢) وتصل في فيه .
[رواه البخاري ومسلم] [٥٦]

- عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت أبي حُبَيْش إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إني امرأة استحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا إنما ذلك عِرْق^(٣) وليس بحيض ، فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة ، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي ... ثم توضئي لكل صلاة حتى يجيء ذلك الوقت .

[رواه البخاري ومسلم] [٥٧]

- عن عائشة زوج النبي ﷺ أن أم حبيبة بنت جحش ختنة^(٤) رسول الله ﷺ وتحت عبد الرحمن بن عوف استحيضت سبع سنين فاستفتت رسول الله ﷺ في ذلك فقال رسول الله ﷺ : إن هذه ليست بالحيضة ولكن هذا عرق فاغتسلي وصلي . قالت عائشة : فكانت تغتسل في مِرْكَن^(٥) في حجرة أختها زينب بنت جحش حتى تملو حمرة الدم الماء .

[رواه مسلم] [٥٨]

(*) حكم الماء من الماء (أي إنما يجب الغسل عند نزول المني) منسوخ بحدوثه إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل ، وهذا النسخ يشمل الحكم الوارد في الحديثين السابقين .

(١) تحته ثم تفرسه بالماء : تفرقه ثم تبلل يدها بالماء وتدلكه .

(٢) تنضح : ترشه بالماء .

(٣) عرق : واحد العروق والمراد هنا أنه عرق انفجر فسال منه الدم ، أي هو نزيف .

(٤) ختنة رسول الله : أي أخت زوجته . (٥) مِرْكَن : وهاء تغسل فيه الثياب .

- عن أنس بن مالك قال : جاءت أم سليم وهي جدة لإسحاق إلى رسول الله ﷺ فقالت له وعائشة عنده : يا رسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام ، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه . فقالت عائشة : يا أم سليم فضحتِ النساء ثريّت يمينك^(١) . فقال لعائشة : بل أنت فتربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأيت ذلك .

[رواه مسلم] [٥٩]

- عن سُبَيْعَةَ بنت الحارث أنها كانت تحت سعد بن خولة ... وكان ممن شهد بدرا . فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تَنسَبْ^(٢) أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما نَعَلَتْ من نفاسها^(٣) تجملت للخطّاب . فدخل عليها أبو السنابل بن بَعَكْكَ ... فقال لها : مالي أراك تجملت للخطّاب ؟ ترجين النكاح ؟ فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ... قالت : فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي ، وأمرني بالتزوج إن بدا لي .

[رواه البخاري ومسلم] [٦٠]

استفتاء الرجال النساء في أمور جنسية :

- عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقص يقول في قصصه : من أدركه الفجر جنباً فلا يصم . فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث فأنكر ذلك ، فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، فسألهما عبد الرحمن عن ذلك . قال : فكلتاها قالت : كان النبي ﷺ يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم .

[رواه البخاري ومسلم] [٦١]

(١) تربت يمينك : صارت يمينك على التراب ، دعاء ظاهره بمعنى : لا أصابت يمينك خيراً . وهي من الألفاظ التي تطلق ولا يراد بها ظاهرها .

(٢) لم تنسب : لم تلبث .

(٣) نعلت من نفاسها : انتهت منه وظهرت .

— عن سليمان بن يسار أنه سأل أم سلمة رضي الله عنها عن الرجل يصبح جنباً أيصوم ؟ قالت : كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً من غير احتلام ثم يصوم [رواه مسلم] [٦٢]

ونلاحظ هنا أن الصحابييات لم يتجهن بالسؤال ابتداء إلى زوجات الرسول ﷺ ، كما أن الرسول ﷺ لم يلفت نظر النساء للتوجه إلى زوجاته ، كذلك لم يبعث التابعون نساءهم ليسألن عائشة . وذلك كله دليل على أنه لا حرج في طلب العلم بالأمور الجنسية من أعلى المصادر، ولو كان المصدر من الجنس الآخر .

الرجل يرسل امرأته مرتين لتسأل الرسول ﷺ :
(في شأن من الشئون الجنسية)

— عن عطاء بن يسار عن رجل من الأنصار أنه قبل امرأته وهو صائم ، فأمر امرأته أن تسأل النبي ﷺ عن ذلك . فسألته فقال : إني أفعل ذلك . فقال زوجها : يرخص الله لبيه فيما يشاء ، فرجعت ، فقال : أنا أعلمكم بحدود الله وأتقاكم . [رواه عبد الرزاق] [٦٣]

المرأة تشكو إلى والد زوجها شأنًا من خصوصيات الزوجين :

— عن عبد الله بن عمرو قال : أنكحني أوى امرأة ذات حسب ، فكان يتعاهد كَنَّتَهُ^(١) فيسألها عن بعلها ، فتقول : نِعَم الرجل من رجل لم يَطَأْ لنا فراشا^(٢) ، ولم يُفْتَشْ لنا كَنَفًا^(٣) مذ أتيناه .

[رواه البخاري] [٦٤، ٦٥]

المرأة تذكر لصديق زوجها شأنًا من خصوصيات الزوجين :

— عن أوى جحيقة قال : آخى النبي ﷺ بين سلمان وأوى الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة^(٤) ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا .

[رواه البخاري] [٦٦]

(١) كَنَّتَهُ : الكنة هي زوج الولد . (٢) لم يَطَأْ لنا فراشا : أى لم يضاغمتنا .

(٣) لم يَفْتَشْ لنا كَنَفًا : لم يرفع لنا سترا .

(٤) متبذلة : أى لابسة ثياب البذلة وهي المهنة ، والمراد أنها تاركة ثياب الزينة .

مواجهة الناس ببعض آثار المباشرة الزوجية :

- عن أنى هريرة قال : أقيمت الصلاة وعُدَّت الصفوف قياما ، فخرج إلينا رسول الله ﷺ ، فلما قام في مصلاه ذكر أنه جنب فقال لنا : مكانكم ثم رجع فاغتسل ، ثم خرج إلينا ورأسه يقطر ، فكبر فصلينا معه .

[٦٧] [رواه البخارى ومسلم]

- عن سليمان بن يسار قال : سألت عائشة عن المنى يصيب الثوب . فقالت : كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ ، فيخرج إلى الصلاة وأثر الغسل في ثوبه بقع الماء .

[٦٨، ٦٩] [رواه البخارى ومسلم]

مواجهة الناس ببعض آثار مخالطة العروس :

- عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صُفْرَة^(١) ، قال : ما هذا ؟ قال : إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب ، قال : بارك الله لك ، أولِم ولو بشاة .

[٧٠] [رواه البخارى ومسلم]

عمة الزوج تحرضه على تقبيل امرأته وملاعبتها في حضرتها :

- عن أنى النضر أن عائشة بنت طلحة أخبرته أنها كانت عند عائشة^(٢) ، فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أنى بكر ، فقالت له عائشة : ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتلاعبها وتقبلها ؟ قال : أقبلها وأنا صائم ؟ قالت : نعم .

[٧١] [رواه مالك في الموطأ]

(١) صفرة : نوع من طيب النساء مخلوط بزعفران . وهو أصفر اللون .

(٢) عائشة : المراد عائشة أم المؤمنين .

الحرص على بيان شرع الله أكمل بيان : (مع تحمل المزيد من مشقة مغالبة الحياء)

استعرضنا فيما سبق مجموعة من النصوص تبين أن السنة الشريفة - مع حرصها على خلق الحياء - لم تجد حرجا في معالجة الأمور الجنسية بكل وضوح ، فقدمت لنا بذلك ثقافة جنسية رصينة . وتوج هذه المجموعة بعدد من النصوص تدلنا على مدى الحرص على بيان شرع الله أكمل بيان ، ولو أدى هذا الحرص إلى تحمل المزيد من مشقة مغالبة الحياء . وإذا تأملنا هذه النصوص فسوف يتبين لنا أنه كان يكفي قول كلمة أو كلمتين ، في عرض الأمور أو في إجابة الأسئلة وبيان الحكم الشرعي ، لكنه ﷺ ، ومع أمهات المؤمنين وصحابته الكرام - رغبة منهم أن يكون البيان أكمل بيان - آثروا تحمل مزيد من مشقة مغالبة الحياء ، فلجئوا إلى بيان أنهم هم أنفسهم قد فعلوا تلك الأمور ، ولم يكتفوا بذلك بل طلبوا - أحيانا - شهادة على فعلهم ممن يحيط بهم . وكل ذلك مما يستحيا منه عادة ، لكنهم فعلوه حتى يكون بيانهم مؤثرا في وجدان السامعين ، ومزيلا لكل حرج قد يصيب بعض المؤمنين ، إزاء ممارسة تلك الأمور المشروعة . وصدق الحافظ ابن حجر إذ يعقب على حديث عائشة الآتي بعد قليل « إن^(١) كان رسول الله ﷺ ليقبل بعض أزواجه وهو صائم ، ثم ضحكت » : يَحْتَمِلُ ضَحِكُهَا التَّعَجُّبَ مِنْ خَالَفٍ فِي هَذَا ، وَقِيلَ تَعَجَّبَتْ مِنْ نَفْسِهَا إِذْ تَحَدَّثَ بِمِثْلِ هَذَا ، مِمَّا يَسْتَحْيِي مِنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ مِثْلَهُ لِلرِّجَالِ ، وَلَكِنَّا أُلْجَأَتْنَا لِلضَّرُورَةِ فِي تَبْلِيغِ الْعِلْمِ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ . وَقَدْ يَكُونُ الضَّحْكُ خَبْلًا لِإِخْبَارِهَا عَنْ نَفْسِهَا بِذَلِكَ ، أَوْ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهَا صَاحِبَةُ الْقِصَّةِ لِيَكُونَ أَيْلَافًا فِي الثَّقَةِ بِهَا [٧٢] .

حرص رسول الله ﷺ على أكمل بيان :

- عن عمر بن أبي سلمة أنه سأل رسول الله ﷺ أيقبل الصائم ؟ فقال له رسول الله ﷺ : سَلْ هَذِهِ (لَأَمْ سَلِمَةُ) فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ ذَلِكَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا تَأْخُرُ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَتَقَاكُمُ اللَّهُ وَأَخْشَاكُمُ لَهُ .

[رواه مسلم] [٧٣]

(١) إن : إن - هنا - بمعنى « قد » للتحقيق .

- عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : إن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجمع أهله ثم يُكْمِل هل عليهما غسل ؟ - وعائشة جالسة - فقال رسول الله ﷺ : إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل .
[رواه مسلم] [٧٤]

حرص أمهات المؤمنين على أكمل بيان :

- عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال : كنت أنا وأمي فذهبت معه حتى دخلنا على عائشة رضي الله عنها قالت : أشهد على رسول الله ﷺ إن كان ليصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يصومه ، ثم دخلنا على أم سلمة فقالت مثل ذلك
[رواه البخاري ومسلم] [٧٥]

- عن زينب بنت أبي سلمة أن أم سلمة قالت : حضت وأنا مع النبي ﷺ في الحميلة^(١) فأنسلت فخرجت منها ، فأخذت ثياب حيضتي فلبستها ، فقال لي رسول الله ﷺ : أنفست ؟ قلت : نعم . فدعاني فأدخلني معه في الحميلة . قالت : وحدثني أن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم، وكنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد من الجنابة .

[رواه البخاري ومسلم] [٧٦]

- عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليقبل بعض أزواجه وهو صائم ، ثم ضحكت (وفي رواية مسلم عن القاسم بن محمد بن أبي بكر أن عائشة قالت : إن النبي ﷺ كان يقبل وهو صائم) .
[رواه البخاري ومسلم] [٧٧]

- عن عبد الله بن شهاب الخولاني قال : كنت نازلا على عائشة ، فاحتلمت في ثوبي فغمستهما في الماء ، فرأيتني جارية لعائشة فأخبرتها ، فبعثت إلي عائشة فقالت : ما حملك على ما صنعت بثوبيك ؟ قال قلت : رأيت ما يرى النائم في منامه . قالت : هل رأيت فيهما شيئا ؟ قلت : لا . قالت : فلو رأيت شيئا غسلته ، لقد رأيتني وإني لأحكه من ثوب رسول الله ﷺ يابسا بظفري .

[رواه مسلم] [٧٨]

(١) الحميلة : غطاء من نسيج مخمل ذي أهداب .

حرص صحابة كرام على أكمل بيان :

— عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فألقى امرأته زينب وهى تمس مَنِيَّةً^(١) لها، ففضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال: إن المرأة تقبل فى صورة شيطان^(٢) وتدبر فى صورة شيطان ، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما فى نفسه .

[رواه مسلم] [٧٩]

هنا صحابى كريم لا يكتفى بنقل السنة القولية ، وفيها التوجيه النبوى الرشيد ، بل يضيف إلى السنة القولية فعل الرسول ﷺ ليكون البيان أكمل بيان وأقوى تأثيراً فى نفوس المؤمنين

— عن معاوية بن أبى سفيان أنه سأل أخته أم حبيبة زوج النبى ﷺ : هل كان رسول الله ﷺ يصى فى الثوب الذى يجامعها فيه ؟ قالت: نعم إذا لم ير فيه أذى .

[رواه أبو داود] [٨٠، ٨١]

هنا الصحابى الكريم يطلب البيان الأكمل ، فيسأل أخته عن فعل رسول الله ﷺ معها ، ولا يكتفى بالسؤال عن مشروعية الأمر ، وهو إذ يروى السنة لمن بعده على هذا النحو يحقق البيان الأكمل لمجموع أمة المسلمين .

— عن ذَيف قال: سئل ابن عباس عن العَزَل^(٣) فدعا جارية له فقال : أخبريهم . فكأنها استحيت ، فقال : هو ذلك ، أما أنا فأفعله ، يعنى أنه يعزل .

[رواه مالك فى الموطأ] [٨٢]

(١) تمس مَنِيَّةً : أى تدبغ جلدة وأصل الممس ذلك باليد ، والمَنِيَّة هى الجلدة أول ما يوضع فى الدباغ ثم يسمى أيقاً ثم أدماً .

(٢) فى صورة شيطان : المراد هنا الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنه بالمرأة ، لما جعله الله تعالى فى نفوس الرجال من الميل إلى النساء .

(٣) العزال : هو إنزال المنى خارج فرج المرأة .

مواقف نادرة تتعلق بالمباشرة الزوجية :

وقد أفردنا هذه المجموعة عن بقية الشواهد ، وذلك لصراحته البالغة ، ولقوة دلالتها على تقرير رسول الله ﷺ ثم على فهم صحابته الأطهار لمعنى الحياء المحمود . وسنرى أن منها ما ألجأت إليه الحاجة ، سواء الحاجة إلى التقاضى أو إلى المشورة والفتوى ، أو إلى رواية خبر فيه عبرة بالغة . ومنها ما وقع دون حاجة ولكن كان تعبيرا يصدر عفو الخاطر ، أو كان رواية لأمر قد حدث ولم يجد الراوى حرجا في ذكره كما حدث . ثم إن بعضا منها كان فيه من الطرافة ما دعا رسول الله ﷺ إلى الضحك مرة ، وإلى التبسم أخرى ، كما دعا الصحابى إلى الضحك ايضا ، وإن كان جميعها قد حدث في إطار من الجد ، لا مجون فيه البتة :

— عن أنس قال : مات ابن لأمى طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لاتحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه (وفى رواية البخارى : فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئا ونحّته في جانب البيت^(١) ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ، وظن أبو طلحة أنها صادقة) فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ، ثم تصنّعت^(٢) له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها^(٣) ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال : لا . قالت : فاحتسب ابنك . فغضب وقال : تركتني حتى تلتطخت ثم أخبرتني بابنى ! فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لكما في غابر ليلتكما^(٤) . قال أنس : فحملت (أم سليم) ... فولدت غلاما .

[رواه البخارى ومسلم] [٨٣]

[وهذه رواية مسلم]

(١) هيأت شيئا ونحّته في جانب البيت : المراد أنها هيأت أمر الصبي بأن غسلته وكفّته ، ثم جعلته في جانب من جوانب البيت (والبيت هنا هو الحجرة الصالحة للمبيت) .

(٢) تصنعت : تزينت .

(٣) فوقع بها : جامعا .

(٤) غابر ليلتكما : أى ليلتكما الماضية .

هنا حرص الراوى على ذكر التفاصيل التى يستحيا عادة من ذكرها، ولكنه أراد أن يبين مدى فضل أم سليم وجميل صبرها وتوكلها على الله، فلعل نساء المؤمنين أن يقتدين ببعض ما فعلته تلك الصحابية الجليلة .

— عن عكرمة أن رفاعة طلق امرأته فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير القرظى . قالت عائشة : وعليها خمار^(١) أخضر ، فشكت إليها وأرتها خضرة بجلدها ، فلما جاء رسول الله ﷺ - والنساء ينصر بعضهن بعضا - قالت عائشة : ما رأيت مثل ما يلقي المؤمنات ! لجلدها أشد خضرة من ثوبها . قال : وسمع زوجها أنها قد أتت رسول الله ﷺ فجاء ومعه ابنان له من غيرها ، قالت : والله ما لى إليه من ذنب إلا أن ما معه ليس بأغنى عنى من هذه ، وأخذت هُدْبَةً^(٢) من ثوبها (وفى رواية^[٨٤] فلم يقربنى إلهة^(٣) واحدة ، لم يصل منى إلى شيء) . (وفى رواية^[٨٥] فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن له ، فقال خالد : يا أبا بكر ، ألأنتى هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ . فلا والله ما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم) فقال زوجها : كذبت والله يا رسول الله ، إني لأنفضها نفص الأديم ولكنها ناشز تريد رفاعة ، فقال رسول الله ﷺ : فإن كان ذلك لم تَجَلِّى له أو لم تصلحى له ، حتى يذوق من عَسَلَتِكَ^(٤) . قال : وأبصر معه ابنين له ، فقال : بنوك هؤلاء ؟ قال : نعم ، قال : هذا الذى تزعمين ما تزعمين ، فوالله لهم أشبه به من الغراب بالغراب .

[٨٦] [رواه البخارى ومسلم]

هنا تشكو المرأة ضياع حق من حقوقها - حسب ظنها - ولصاحب الحق مقال ، ولو كان مما يستحيا عادة من قوله .

(١) خمار : الحمار ما تغطي به المرأة رأسها وقد مراد به الغطاء مطلقا .

(٢) هُدْبَة : طرف الثوب الذى لم ينسج .

(٣) هنة واحدة : المراد أنه لم يطأها إلا مرة واحدة .

(٤) يذوق من عسلتك : عسلية تصغير عسل كناية عن لذة الجماع ، والتصغير هنا للتقليل إشارة إلى أن القليل منه يجزى .

- عن سلمة بن صخر الأنصاري قال : كنت رجلا قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري ، فلما دخل رمضان تظاهرت من امرأتي^(١) حتى ينسلخ رمضان ، فرقا من أن أصيب منها في ليلتي فأتابع في ذلك ، إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع . فبينما هي تخدمني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شيء ، فوثبت عليها ، فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري ، فقلت : انطلقوا معي إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره بأمرى ، فقالوا : لا والله لا نفعل ، نتخوف أن ينزل فينا قرآن ، أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقى علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك . قال : فخرجت فأتيت رسول الله ﷺ ، فأخبرته خبري فقال : أنت بذاك ؟ قلت : أنا بذاك قال : أنت بذاك قلت : أنا بذاك ، قال : أنت بذاك ؟ قلت أنا بذاك ، وها أنذا فأمضي في حكم الله فإني صابر لذلك ، قال : أعتق رقبة . قال : فضربت صفحة عنقي يدي ، فقلت : لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها ، قال : فصم شهرين ، قلت : يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام ؟ قال : فأطعم ستين مسكينا . قلت : والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وخشيتي^(٢) ما لنا عشاء ، قال : اذهب إلى صاحب صدقة بني زُرَيْق فقل له فليدفعها إليك ، فأطعم عنك منها وسق^(٣) ستين مسكينا ، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك . قال : فرجعت إلى قومي فقلت : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة ، أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي ، فدفعوها إلي .

[رواه الترمذی] [٨٧]

هنا يعرض الرجل حاله بالتفصيل ولو كان مما يستحيا عادة من ذكره ، رجاء أن يعذر في مخالفته وأن يُتَحَرَّى له مخرج من محنته .

(١) تظاهرت من امرأتي : ظاهر من امرأته قال لها أنت علتي كظهر أمي ، أي أنت علتي حرام وكان هذا طلاقا في الجاهلية فنهى عنه الإسلام .

(٢) وخشيتي : جَوُغِي

(٣) وسقا : الوسق ستون صاعا وقيل الوسق جمل البعير .

— عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ ، قد ظاهر من امرأته ، فوقع عليها فقال : يا رسول الله إني قد ظاهرت من زوجتي فوقعت عليها قبل أن أكفر فقال : ما حملك على ذلك يرحمك الله ؟ قال : رأيت خلخالها في ضوء القمر . قال : فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله .

[رواه الترمذى] [٨٨]

— عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ أرسل إلى رجل من الأنصار فجاء ورأسه يقطر ، فقال النبي ﷺ : لعلنا أعجلناك . فقال : نعم . فقال رسول الله ﷺ : إذا أعجلت أو قُحِطت ^(١) فعليك الوضوء ^(*) . (وفي رواية مسلم : فخرج يجر إزاره ، فقال رسول الله ﷺ : أعجلنا الرجل) .

[رواه البخارى ومسلم] [٨٩]

— عن عكرمة قال : كان عبد الله بن رواحة مضطجعاً إلى جنب امرأته فقام إلى جاريته ، فذكر القصة في رؤيتها إياه على الجارية وجَّعِده ذلك ، واتماسها منه قراءة القرآن لأن الجنب لا يقرأه ، فقال هذه الآيات :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
بيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استقلت بالمشركين المضاجع
فقلت : آمنت بالله وكذبت بصرى . فأعلم النبي ﷺ ، فضحك حتى بدت
نواجذه [٩٠] .

— عن أسماء بنت أبي بكر رضی الله عنهما قالت : خرجنا محرمين فقال رسول الله ﷺ : من كان معه هَدْيٌ ^(٢) فليقيم على إحرامه ، ومن لم يكن معه هدى فليحلل . فلم يكن معي هدى فحللت ، وكان مع الزبير هدى فلم يحلل . قالت : فلبست ثيابي ثم خرجت فجلست إلى الزبير فقال : قومي عني ، فقلت : أنتخشي أن أثب عليك ! .

[رواه مسلم] [٩١]

(١) قحطت : من أقحط أى جامع ولم ينزل .

(٢) هَدْي : ما يهدى إلى الحرم من الإبل أو البقر أو الغنم .

(*) حكم الوضوء هنا منسوخ حديث : « إذا التقى المختانان فقد وجب الغسل » .

- عن ربيعة بن أئى عبد الرحمن أن رجلا أتى القاسم بن محمد فقال : إئى أَفَضْتُ^(١) وَأَفَضْتُ^(٢) معى بأهلى ثم عدلت إلى شِعْب^(٣) ، فذهبت لأدنو من أهلى فقالت : إئى لم أقصر من شعرى بعد . فأخذت من شعرها بأسنانى ، ثم وقعت بها . فضحك القاسم وقال : مرها فلتأخذ من شعرها بالجلَمَين^(٤) .

[رواء مالك فى الموطأ] [٩٢]

نصوص بها مواقف نادرة من أيام الجاهلية :

إن المواقف الآتية كلها من أيام الجاهلية ، لكن وجه إيرادها فى معرض الثقافة الجنسية للمسلم ، هو رواية الصحابة الكرام لهذه المواقف - بعد أن أسلموا - دونما حرج ، وكذلك تتابع الرواة لها بعد الصحابة حتى ضمَّنها البخارى ومسلم صحيحهما .:

- عن أئى ذر قال :... فبينا أهل مكة فى ليلة قمراء إضحيان^(٥) إذ ضرب على أسمختهم^(٦) فما يطوف بالبيت أحد ، وامرأتان منهم تدعوان إسافا ونائلة^(٧) قال : فأتتا على فى طوافهما فقلت : أنكحأ أحدهما الأخرى ، قال : فما تناهتا عن قولهما . قال : فأتتا على فقلت : هن^(٨) مثل الخشبة ، غير أنى لا أكنى^(٩) . فانطلقتا تولولان وتقولان : لو كان ههنا أحد من أنفارنا . قال فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان . قال : ما لكما ؟ قالتا : الصائىء بين الكعبة وأستارها . قال : ما قال لكما ؟ قالتا : إنه قال لنا كلمة تملأ الفم .

[رواء مسلم] [٩٣]

(١) أفضت : أفاض من عرفات يعنى انصرف إلى منى بعد الوقوف بعرفات .

(٢) عدلت إلى شعب : ملئت إلى انفراج بين جبلين .

(٣) الجلَمان : ما يُجَزَّ به أى المقص . (٤) إضحيان : أى مضيق متورة .

(٥) ضرب على أسمختهم : أصمختهم جمع صمخ ، أى ضرب على آذانهم يعنى ناموا .

(٦) إسافا ونائلة : صنان قيل أنهما رجل وامرأة حجا من الشام فقبل الرجل المرأة وهما يطوفان فمسحا حجبهن ، ولم يزالا فى المسجد حتى جاء الفتح فأخرجاه منه .

(٧) هن مثل الخشبة : لفظ « هن » كناية عن الذَّكر ، يقصد أن ذَكَرَ إسافا مثل الخشبة .

(٨) غير أنى لا أكنى : أى أنه خاطب المرأتين باللفظ الصريح دون كناية ، فلما روى الخبر كُنَّى ولم يصرح .

— عن عروة قال : كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة^(*) إلا الحُمس ، والحمس قريش وماولدت . وكانت الحمس يحسبون على الناس يعطى الرجل الرجل الثياب يطوف فيها ، وتعطى المرأة المرأة الثياب تطوف فيها . فمن لم تعطه الحمس طاف بالبيت غريانا .

[رواه البخارى ومسلم] [٩٤]

وفي رواية لمسلم [٩٤]: قال ابن عباس : كانت المرأة تطوف بالبيت وهى عريانة فتقول : من يعيرنى تَطَوُّافاً^(١) تجعله على فرجها وتقول :
اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أُجِلُّه
فنزلت هذه الآية ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ .

— عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء . فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيُصَدِّقها ثم ينكحها . ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه^(٢)، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع . ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذى كان من أمركم ، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان ، تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها ، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل . ونكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع من جاءها ، وهُنَّ البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما لمن أرادهن دخل عليهن . فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جميعوا

(*) كان أهل الجاهلية يطوفون عراة ويرمون ثيابهم ويركونها ملقاة على الأرض ولا يأخذونها أبداً ويتركونها نداس بالأجل حتى تبلى : أى إن طوافهم بالبيت عراة لا لفقدهم الثياب بل لرغمهم التحدث بذلك أى التطهر والتخلص من الإثم فكانوا يقولون نحن لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها .

(١) تطوفاً : ثوباً تلبسه المرأة تطوف به .

(٢) استبضعى : أى أطلبى منه المباشرة وهو الجماع .

لها ودعوا لهم القافة^(١)، ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاطته^(٢) به ودُعِيَ ابنه لا يمتنع من ذلك . فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم .

[رواه البخارى] [٩٥]

— عن عائشة قالت : جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا .

قالت الأولى : زوجى لحم جمل غث^(٣) على رأس جبل ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل^(٤) ...

قالت السادسة : زوجى إن أكل لَف ، وإن شرب اشتَف ، وإن اضطجع التف ، ولا يولج الكف ليعلم البَث .

قالت السابعة : زوجى غياياء أو غياياء طباقاء ، كل داء له داء ، شَجَلِك أو فَلَكَ أو جمع كُلا لك .

قالت الحادية عشرة : زوجى أبو زرع فما أبو زرع ! أناسَ من حُلِيٍّ أذُنِي وملاً من شحم غَضْدِي... بنت أُنَى زرع ، فما بنت أُنَى زرع ! طَوْع أيها ، وطَوْع أمها ، ومِلء كِسائِها ، وغيظ جارِها ... خرج أبو زرع والأوطاب تُنَخَض ، فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين . يلعبان من تحت خصرها برمانتين ، فطلقني ونكحها ...

[رواه البخارى ومسلم] [٩٦]

ورد في فتح البارى : (قوله إن اضطجع التف أى رقد ناحية وتلف بكسائه وحده وانقبض عن أهله إعراضاً ، فهى كتيبة حزينة لذلك ، ولذلك قالت ولا يولج الكف ليعلم البَث أى لا يمد يده ليعلم ما هى عليه من الحزن فيزيله ، ويحتمل أن تكون أرادت أنه ينام نوم العاجز القشيل الكسيل ... فأرادت أنه لا

(١) القافة : جمع قائف وهو الذى يعرف شبه الولد بالوالد بالسماط الظاهرة والخفية .

(٢) التاطته به : استلحقته به .

(٣) لحم غث : جمل هزيل .

(٤) ولا سمين فينتقل : سمين وصف اللحم ، وهو لهزاله لا يرغب أحد فيه فينتقل إليه .

يسأل عن الأمر الذى يقع اهتمامها به ، فوصفته بقلة الشفقة عليها ، وأنه أن لو رآها علية لم يدخل يده فى ثوبها ليتفقد خبرها ... أو هو كناية عن ترك الملاعبة أو عن ترك الجماع ... كأنها قالت إنه يتجنبها ولا يدينها منه ، ولا يدخل يده فى جنبها فيلمسها ولا يباشرها ، ولا يكون منه ما يكون من الرجال فيعلم بذلك محبتها له وحزنها لقلة حظها منه ... فإن العرب تدم بكثرة الأكل والشرب ، وتمتدح بقلتها وبكثرة الجماع لدلالاتها على صحة الذكورية والفحولية^[٩٧] ... (قوله قالت السابعة زوجى عيايا) قال أبو عبيد : العيايا بالمهمله الذى لا يضرب ولا يلقي من الإبل ... العي الذى تعيه مباضة النساء . وقال ابن فارس : الطباقاء الذى لا يحسن الضراب ، فعلى هذا يكون تأكيداً - لاختلاف اللفظ - كقولهم بعداوسحقا ... وعن الجاحظ : الطباقاء الثقيل الصدر عند الجماع ، ينطبق صدره على صدر المرأة فيرتفع سفلها عنها . وقد ذمت امرأة امرأة القيس فقالت له : ثقل الصدر خفيف العجز سريع الإراقة بطيء الإفاقة . قال عياض : ولا منافاة بين وصفها له بالعجز عند الجماع وبين وصفها بثقل الصدر فيه لاحتمال تنزله على حالتين كل منهما مضموم^[٩٨] ...) .

(قوله وملء كسائها كناية عن كمال شخصتها ، ونعمة جسمها ... وزاد الكاذب فى روايته عن ابن السكيت : وصفر رداؤها ... وقولها صفر بكسر الصاد المهمل وسكون الفاء : أى خال فارغ . والمعنى أن رداءها كالفارغ الخالى لأنه لا يمس من جسمها شيئا لأن ردفها وكثفها يمنع مسه من خلفها شيئا من جسمها ، ونهدا يمنع مسه شيئا من مقدمها ... معنى قولها صفر رداؤها : تصفها بأنها خفيفة موضع التردية وهو أعلى بدنها . قلل عياض : والأولى أنه أراد أن امتلاء منكبيها وقيام نهديها يرفعان الرداء عن أعلى جسدها فهو لا يمس فيصير كالفارغ منها بخلاف أسفلها .

أبت الروادف والنهود لقُصصها من أن تمس بطونها وظهورها^[٩٩]

(قوله يلعبان من تحت خصرها برمانتين) ... رجح عياض تأويل الرمانتين بالنهدين ... قولها يلعبان من تحت خصرها أو صدرها أى أن ذلك مكان الولدين منها ، وأنهما كانا فى حضنيها أو جنبها . وفى تشبيه النهدين بالرمانتين إشارة إلى صغر سنهما ، وأنها لم ترهل حتى ينكسر ثدياها ويتدليا^[١٠٠] .

هوامش الفصل الثاني

تنبيه :

(يرجى ملاحظة أن الجزء والصفحة المذكورين بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح البخارى مرجعهما كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى طبعة مصطفى الحلبي - القاهرة .
أما الجزء والصفحة المذكوران بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح مسلم فمرجعهما الجامع الصحيح للإمام مسلم طبعة استانبول) .

[١] البخارى كتاب الإيمان باب أمور الإيمان ج١ ص٥٧ مسلم كتاب الإيمان باب شعب الإيمان ج١

ص٤٦

[٢] البخارى كتاب الإيمان باب الحياء من الإيمان ج١ ص٨١ مسلم كتاب الإيمان باب شعب الإيمان

ج١ ص٤٦

[٣] البخارى كتاب الأدب باب إذا لم تسنح فاصنع ما شئت ج١٣ ص١٣٩

[٤] البخارى كتاب الأدب باب الحياء ج١٣ ص١٣٧ مسلم كتاب الإيمان باب شعب الإيمان ج١

ص٤٦

[٥] فتح البارى ج١ ص٥٨ .

[٦] فتح البارى ج١٣ ص١٣٨

[٧] البخارى كتاب النكاح باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ج١١ ص٧٩ .

[٨] البخارى كتاب الحيض باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض ج١ ص٤٣٠ مسلم

كتاب الحيض باب استحباب استعمال المفصلة من الحيض فرصة من مسك ج١ ص١٧٩ .

[٩] البخارى كتاب الفسل باب غسل المذى والوضوء منه ج١ ص٣٩٤

[١٠] البخارى كتاب الوضوء باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبلى والدير ج١ ص٢٩٤ مسلم

كتاب الحيض باب المذى ج١ ص١٦٩

[١١] صحيح سن أبى داود كتاب الطهارة باب فى المذى حديث رقم ١٩٠

[١٢] موارد الظلمآن كتاب الطهارة باب ما جاء فى المذى

[١٣] فتح البارى ج١ ص٣٩٦

[١٤] فتح البارى ج١ ص٣٩٦

- [١٥] البخارى كتاب العلم باب الحياء فى العلم ج١ ص٢٣٩ مسلم كتاب الحيض باب وجوب الفسل على المرأة بمخروج المني منها ج١ ص١٧٢
- [١٧، ١٦] مسلم كتاب الحيض باب نسخ الماء من الماء ووجوب الفسل بالتقاء الختانين ج١ ص١٨٧
- [١٩، ١٨] البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى ﷺ ج٧ ص٢٨٧ مسلم كتاب الفضائل باب كثرة حياته ﷺ ج٧ ص٧٨
- [٢٠] مسلم كتاب الحج باب حجة النبى ﷺ ج٤ ص٤١
- [٢١] البخارى كتاب الطلاق باب صدق الملاعة ج١١ ص٣٨١ مسلم كتاب اللعان ج٤ ص٢٠٧
- [٢٣، ٢٢] مسلم كتاب العتق باب فضل العتق ج٤ ص٢١٧
- [٢٥، ٢٤] البخارى كتاب الفسل باب الجنب يتوضأ ثم ينام ج١ ص٤٠٩
- [٢٦] البخارى كتاب الاعتصام باب نهى النبى ﷺ على التحريم ج١٧ ص١٠٩
- مسلم كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز لإفراد الحج والتمتع والقران ج٤ ص٣٧
- [٢٧] البخارى كتاب التفسير باب نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ج٩ ص٢٥٧ مسلم كتاب النكاح باب جواز جماع امرأته فى قبلها من قدامها ومن ورائها من غير تعرض للدرج ج٤ ص١٥٦
- [٢٩، ٢٨] البخارى كتاب الفتن باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان ج١٦ ص١٨٨ مسلم كتاب الفتن وأشرار الساعة باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلفة ج٨ ص١٨٢
- [٣٠] البخارى كتاب المغازى باب وقال الليث ج٩ ص٨٣
- [٣١] البخارى كتاب الرقاق باب الحشر ج١٤ ص١٧٦ مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ج٨ ص١٥٦
- [٣٢] البخارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ج٧ ص٤٣٠
- [٣٣] صحيح سنن أبى داود تفريع أبواب الطلاق باب من أحق بالولد حديث رقم ١٩٩١
- [٣٤] البخارى كتاب التيمم ج١ ص٤٤٨ مسلم كتاب الطهارة باب التيمم ج١ ص١٩١
- [٣٥] البخارى كتاب المغازى باب آخر ما تكلم النبى ﷺ ج٩ ص٢١٦ مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فى فضل عائشة رضى الله عنها ج٧ ص١٣٧
- [٣٦] البخارى كتاب المغازى باب مرض النبى ﷺ ووفاته ج٩ ص٢٠٩
- [٣٧] البخارى كتاب المغازى باب مرض النبى ﷺ ووفاته ج٩ ص٢٠٣
- [٣٨] البخارى كتاب الجنائز باب ما ينهى عن الخلق عند المصيبة ج٣ ص٤٠٨
- [٣٩] البخارى كتاب العيدين باب الحراب والدرك يوم العيد ج٣ ص٩٢ مسلم كتاب صلاة العيدين باب الرخصة فى اللعب الذى لا معصية فيه فى أيام العيد ج٣ ص٢٢
- [٤٠] مسلم كتاب النكاح باب جواز الغيلة وهى وطء الموضع ج٤ ص١٦١ .
- [٤١] البخارى كتاب المغازى باب حديث كعب بن مالك و قول الله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا ج٩ ص١٨٣ مسلم كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ج٨ ص١٠٩
- [٤٣، ٤٢] مسلم كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز لإفراد الحج والتمتع والقران ج٤ ص٣٥

[٤٥،٤٤] البخارى كتاب الاعتصام باب نهي النبي ﷺ على التحريم ج ١٧ ص ١٠٨ مسلم كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران ج ٤ ص ٣٦

[٤٧،٤٦] البخارى كتاب النفقات باب عون المرأة زوجها في ولده ج ١١ ص ٤٤١

[٤٨] البخارى كتاب النكاح باب تزويج الثيات ج ١١ ص ٢٥٥

[٥٠،٤٩] البخارى كتاب النكاح باب طلب الولد ج ١١ ص ٢٥٥ مسلم كتاب النكاح باب استحباب نكاح البكر ج ٤ ص ١٧٦

[٥٢،٥١] البخارى كتاب النكاح باب قول النبي ﷺ: من استطاع منكم البائة فليتزوج ج ١١ ص ٧

مسلم كتاب النكاح ج ٤ ص ١٢٨

[٥٣] البخارى كتاب الغسل باب غسل ما يصيب من رطوبة فرج المرأة ج ١ ص ٤١٣ مسلم كتاب

الطهارة باب إنما الماء من الماء ج ١ ص ١٨٥

[٥٤] البخارى كتاب الوضوء باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبل والدبر ج ١ ص ٢٩١ مسلم

كتاب الحيض باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين ج ١ ص ١٨٦

[٥٥] مسلم كتاب الحيض باب إنما الماء من الماء ج ١ ص ١٨٥

[٥٦] البخارى كتاب الوضوء باب غسل الدم ج ١ ص ٣٤٣ مسلم كتاب الطهارة باب نجاسة الدم

وكيفية غسله ج ١ ص ١٦٦

[٥٧] البخارى كتاب الوضوء باب غسل الدم ج ١ ص ٣٤٤ مسلم كتاب الحيض باب المتحاضة

وغسلها وصلاتها ج ١ ص ١٨٠

[٥٨] مسلم كتاب الحيض باب المتحاضة وغسلها وصلاتها ج ١ ص ١٨١

[٥٩] مسلم كتاب الحيض باب وجوب الغسل على المرأة بمخروج المني منها ج ١ ص ١٧١

[٦٠] البخارى كتاب المغازي باب حدثني عبد الله بن محمد الجعفي ج ٨ ص ٣١٣ مسلم كتاب

الطلاق باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل ج ٤ ص ٢٠١

[٦١] البخارى كتاب الصوم باب الصائم يصبح جنباً ج ٥ ص ٤٥٥ مسلم كتاب الصيام باب صحة

صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ج ٣ ص ١٣٧

[٦٢] مسلم كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ج ٣ ص ١٣٨

[٦٣] فتح الباري ج ٥ ص ٥٣ وقال الحافظ ابن حجر: رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح.

[٦٤، ٦٥] البخارى كتاب فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن ج ١٠ ص ٤٧٢

[٦٦] البخارى كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ج ٥ ص ١١٣

[٦٧] البخارى كتاب الغسل باب إذا ذكر في المسجد أنه جنب يخرج كما هو ولا يتيمم ج ١ ص ٣٩٩

مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب متى يقوم الناس للصلاة ج ٢ ص ١٠١

[٦٨، ٦٩] البخارى كتاب الوضوء باب غسل المني وفركه ج ١ ص ٣٤٧ مسلم كتاب الطهارة باب

غسل المني من الثوب وفركه ج ١ ص ١٦٥.

[٧٠] البخارى كتاب النكاح باب كيف يدعى للمتزوج ج١١ ص١٢٩ مسلم كتاب النكاح باب
الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد ج٤ ص١٤٤
[٧١] فتح البارى ج٥ ص٥٢
[٧٢] فتح البارى ج٥ ص٥٤
[٧٣] مسلم كتاب الصيام باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ج٣
ص١٣٧

[٧٤] مسلم كتاب الحيض باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالقاء الختانين ج١ ص١٨٧
[٧٥] البخارى كتاب الصوم باب اغتسال الصائم ج٥ ص٥٧ مسلم كتاب الصيام باب صحة صوم
من طلع عليه الفجر وهو جنب ج٣ ص١٣٧
[٧٦] البخارى كتاب الحيض باب النوم مع الحائض وهى في ثيابها ج١ ص٤٣٨ مسلم كتاب الحيض
باب الاضطجاع مع الحائض في الحاف واحد ج١ ص١٦٧
[٧٧] البخارى كتاب الصوم باب القبلة للصائم ج٥ ص٥٤ مسلم كتاب الصيام باب بيان أن القبلة في
الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ج٣ ص١٣٥
[٧٨] مسلم كتاب الطهارة باب غسل المني من الثوب وفركه ج١ ص١٦٥
[٧٩] مسلم كتاب النكاح باب نذب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأق امرأته أو جاريته
فيواقعها ج٤ ص١٢٩
[٨٠ ، ٨١] صحيح سنن أبى داود كتاب الطهارة باب الصلاة في الثوب الذى يصيب أهله فيه
حديث رقم ٣٥٢

[٨٢] الموطأ كتاب النكاح باب ما جاء في العزل ج٢ ص٥٩٥
[٨٣] البخارى كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة ج٣ ص٤١٢ مسلم كتاب فضائل
الصحابه باب من فضائل أبى طلحة الأنصارى رضى الله تعالى عنه ج٧ ص١٤٥
[٨٤] البخارى كتاب النكاح باب من قال لامرأته أنت علقى حرام ج١١ ص٢٩٠
[٨٥] البخارى كتاب اللباس باب الإزار المهدب ج١٢ ص٣٧٨
[٨٦] البخارى كتاب اللباس باب الثياب الخضراء ج١٢ ص٣٩٦ مسلم كتاب النكاح باب لا تحل
المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح غيره وبطأها ثم يفارقها وتنقض عدها ج٤ ص١٥٤
[٨٧] صحيح سنن الترمذى كتاب أبواب تفسير القرآن سورة المجادلة حديث رقم ٢٦٢٨
[٨٨] صحيح سنن الترمذى أبواب الطلاق واللعان باب في المظاهر يواقع قبل أن يكفر حديث رقم
٩٥٨ .

[٨٩] البخارى كتاب الوضوء باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبل والدبر ج١ ص٢٩٥ مسلم
كتاب الحيض باب إنما الماء من الماء ج١ ص١٨٥
[٩٠] نقلا عن فتح البارى ج٣ ص٢٨٣
[٩١] مسلم كتاب الحج باب ما يلزم من طاف البيت وسعى من البقاء على الإحرام وترك التحلل ج٤

- [٩٢] الموطأ كتاب الحج باب التقصير ج١ ص٣٩٧
- [٩٣] مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر رضى الله عنه ج٧ ص١٥٣
- [٩٤] البخارى كتاب الحج باب الوقوف بعرفة ج٤ ص٢٦٤ مسلم كتاب الحج باب فى الوقوف وقوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ج٤ ص٤٣ .
- [٩٤] مسلم كتاب التفسير باب فى قوله تعالى : خنوا زينتكم عند كل مسجد ج٨ ص٢٤٣ .
- [٩٥] البخارى كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي ج١١ ص٨٨
- [٩٦] البخارى كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل ج١١ ص١٦٤ مسلم كتاب فضائل الصحابة باب ذكر حديث أم زرع ج٧ ص١٣٩
- [٩٧] فتح البارى ج١١ ص١٧١ .
- [٩٨] فتح البارى ج١١ ص١٧٢ .
- [٩٩] فتح البارى ج١١ ص ١٧٩ ، ١٨٠
- [١٠٠] فتح البارى ج١١ ص١٨٣

الفصل الثالث

تقرير الشريعة قوة الشهوة الجنسية

تقرير الشريعة قوة الشهوة الجنسية

قوة الشهوة الجنسية ولقتها البالغة :

إن الله سبحانه وتعالى خلق البشر وهو أعلم بما ركبه في فطرتهم من شهوات ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ . (سورة الملك : الآية ١٤)

ومن أقوى هذه الشهوات حب الجنس الآخر أى الدافع الجنسي . وهذه شواهد من القرآن والسنة تؤكد قوة هذا الدافع .

قال تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾

(سورة آل عمران : الآية ١٤)

وقال تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ .

(سورة النساء : الآية ٢٨)

إن الآية تقرر ضعف الإنسان وشدة معاناته من قوة الدافع الجنسي ، وقد ورد في تفسير الطبرى عن عكرمة ومجاهد أنهما قالوا فى معنى قوله تعالى ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ : (إن الإنسان لا يصبر على النساء) .

وبسبب هذا الضعف ، ولحرص الشريعة على تيسير المتعة الجنسية الحلال لجميع المؤمنين والمؤمنات ، فقد رخصت فى نكاح الإماء - يوم كان هناك إماء - للفقير العاجز عن نكاح الحرائر . قال تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا^(٢) أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (سورة النساء : الآية ٢٥) . ولكن كانت تلك الرخصة بشرط ، هو قوله تعالى فى الآية نفسها : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ أى أن ذلك التيسير منه تعالى على عباده الفقراء مقصود به حمايتهم من الوقوع فى الإثم .

(١) الخيل المسومة : المعلقة ، وقيل المظومة وقيل الراعية فى المروج والمسارح .

(٢) طولا : الطول الفضل والغنى والبسر .

— عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء .

[رواه البخارى ومسلم]^[١]

— عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : ... واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء .

[رواه مسلم]^[٢]

قوة الشهوة ورفض الإذن فى الاختصاص :

— عن سعد بن أنس وقاص قال : رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل^(١) ولو أذن له لاختصينا^(٢) .

[رواه البخارى ومسلم]^[٣]

وفى رواية عند الطبرانى قال عثمان بن مظعون : يا رسول الله إني رجل يشق عليّ العزوبة^(٣) فأئذن لى فى الخصاص ، قال : لا ولكن عليك بالصيام^[٤] . (وفى رواية أخرى قال : إن الله قد أبدلنا بالرهبانة الخفيفة السمحة^[٥]) .

— عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس لنا نساء فقلنا : يا رسول الله ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك .

[رواه البخارى ومسلم]^[٦]

قال الحافظ ابن حجر : المراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النكاح ، وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة ... والذي يكره من التبتل هو الذى يفضى إلى التنطع وتحريم ما أحل الله ... قال الطبرى : التبتل الذى أراده عثمان بن مظعون تحريم النساء والطيب وكل ما يلتذ به ، فلهذا أنزل فى حقه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا

(١) التبتل : المراد هنا ترك النكاح . وأصل التبتل الانقطاع .

(٢) اختصينا : من الاختصاص ، وهو استئصال الخصيتين .

(٣) العزوبة : غزب فلان غزبة وغزوبة ، لم يكن له زوج ، فهو غزبٌ رجلٌ أو امرأة ، ويقال أيضا امرأة غزبة .

طيات ما أحل الله لكم ﴿... وكان التعبير بالخصاء أبلغ من التعبير بالتبتل ، لأن وجود الآلة يقتضى استمرار وجود الشهوة ، ووجود الشهوة يناقى المراد من التبتل ، فيتعين الخصاء طريقاً إلى تحصيل المطلوب ، وغايته أن فيه ألماً عظيماً في العاجل ، يغتفر في جنب ما يندفع به في الآجل ، فهو كقطع الإصبع إذا وقعت في اليد الأكلة صيانة لبقية البدن .. فلعل الراوى عبر بالخصاء عن الجَبِّ^(١) لأنه نهو الذى يحصل به المقصود^[٥] .

— عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إننى رجل شاب . وأنا أخاف على نفسى العنت^(٢) ولا أجد ما أتزوج به النساء . فسكت عني ، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ، ثم قلت مثل ذلك فقال النبي ﷺ : يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذَر .

[رواه البخارى^[٦]

قال الحافظ ابن حجر : (قوله العنت) بفتح المهملة والنون ثم مشاة هو الزنا ، ويطلق على الإثم والفجور والأمر الشاق والمكروه . وقال ابن الأنبارى : أصل العنت الشدة . (قوله : ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت عني) ... وفي رواية حرمة : ولا أجد ما أتزوج النساء فائذن لى أختص . (قوله : فاختص على ذلك أو ذر) ... معناه فافعل ما ذكرت أو اتركه واتبع ما أمرتك به ، ... فليس الأمر فيه لطلب الفعل بل هو للتهديد ... والمعنى إن فعلت أو لم تفعل فلا بد من نفوذ القدر ، وليس فيه تعرض لحكم الخصاء . وقوله : « على ذلك » هى متعلقة بمقدر أى اختص حال استعلانك على العلم بأن كل شيء بقضاء الله وقدره وليس إذنا فى الخصاء ، بل فيه إشارة إلى النهى عن ذلك ، كأنه قال : إذا علمت أن كل شيء بقضاء الله فلا فائدة فى الاختصاص^[٧] .

(١) الحب : استئصال الذكر والخصيتين .

(٢) العنت : أى الوقوع فى المشقة والشدة أو اكساب الإثم بارتكاب الزنى .

قوة الشهوة والتحسين بالزواج :

- عن عبد الله قال : كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئا ، فقال لنا رسول الله ﷺ : يا معشر الشباب ، من استطاع الباءة^(١) فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج .

[رواه البخارى ومسلم]^[٨]

- عن المستورد بن شداد قال : سمعت النبي ﷺ يقول : من كان لنا عاملا فليكسب زوجة .

[رواه أبو داود]^[٩]

قوة الشهوة واشتاء الزوجات :

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعنى رجل ملك بُضْع امرأة^(٢) وهو يريد أن يبنى بها^(٣) ولم ين بها .

[رواه البخارى]^[١٠]

- عن جابر قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى غزوة ، فلما قفلنا^(٤) تعجلت على بعير قطوف^(٥) فلحقنى راكب من خلفى ، فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ ، قال : ما يعجلك ؟ قلت : إني حديث عهد بعرس (وفى رواية^[١١]) قلت : يا رسول الله ، إني عروس . فاستأذنته فأذن لى ، فتقدمت الناس إلى المدينة) .

[رواه البخارى ومسلم]^[١٢]

- عن أبى سعيد قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ونحن عنده قالت : يا رسول الله إن زوجى صفوان بن المعطل... يفتطرنى إذا صمت ... فقال (صفوان) :

(١) الباءة : تكاليف الزواج .

(٢) بُضْع امرأة : أى فرجها .

(٣) يبنى بها : البناء هو الدخول بالزوجة .

(٤) قفلنا : رجعنا .

(٥) بعير قطوف : القطوف من الدواب : التى تسمى السم وتبطن .

يا رسول الله ... وأما قولها يفطرني إذا صمت فإنها تنطلق فتصوم ، وأنا رجل شاب فلا أصبر ، فقال رسول الله ﷺ يومئذ : لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها .

[١٣] [رواه أبو داود]

قوة الشهوة وسرعة معالجة حديث النفس :

- عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها ، فإن ذلك يرد ما في نفسه .

[١٤] [رواه مسلم]

قوة الشهوة وكسر حدها بالصيام :

- عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : يامعشر الشباب ... ومن لم يستطع (أى تكاليف الزواج) فعليه بالصوم فإنه له وجاء^(١) .

[١٥] [رواه البخاري ومسلم]

قوة الشهوة والوقوع في الحرام :

والحرام هنا يمثل في عدة صور ، وقد سنت الشريعة قدرا من العقوبة لكل صورة ، وسنعرض لكل صورة من صور الحرام بشيء من التفصيل :
الصورة الأولى من الحرام : مباشرة الأزواج زمن الحظر :
أ - المباشرة في ليالي رمضان :

(قبل الإذن بذلك)

قال تعالى هـ أٰحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ^(٢) اِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَاَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللّٰهُ اَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُوْنَ^(٣) اَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ،

(سورة البقرة الآية ١٨٧)

(١) وجاء : الرجاء هو رَضَ (أى دَق) الحصى رَضًا شديدا لتذهب شهوة الجماع ، وهو ينزل منزلة الحياء .

(٢) الرفث : المقصود هنا الجماع .

(٣) تختانون : تخونون .

- عن البراء رضى الله تعالى عنه قال : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون أنفسهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ علم الله أنكم كنتم تخانون أنفسكم فتاب عليكم ﴾ الآية .

[١٦] [رواه البخارى]

ب - المباشرة أثناء الصوم :

- عن أوى هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله هلكت (وفى رواية [١٧] : أنه احترق) قال : مالك ؟ قال : وقعت على امرأتى وأنا صائم . فقال رسول الله ﷺ : هل تجد رقبة تُعتقها ؟ قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، فقال : فهل تجد إطعام ستين مسكينا ؟ قال : لا ، قال : فمكث النبي ﷺ ، فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق^(١) فيه تمر - والعرق المِكتَل^(٢) - قال : أين السائل ؟ (وفى رواية [١٨] قال : أين المحترق ؟) فقال : أنا ، قال : خذ هذا فتصدق به . فقال الرجل : على أفقر منى يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لابتيها^(٣) أهل بيت أفقر من أهل بيتى . فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ، ثم قال : أطعم أهلَكَ .

[١٩] [رواه البخارى ومسلم]

ج - المباشرة إثر الظهار :

- عن أبى سلمة ومحمد بن عبد الرحمن أن سلمان بن صخر الأنصارى ، أحد بنى بياضة ، جعل امرأته عليه كظهر أمه حتى يمضى رمضان ، فلما مضى نصف من رمضان وقع عليها ليلا ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال رسول الله ﷺ : أعتق رقبة . قال : لا أجدها . قال : فصم شهرين متتابعين . قال : لا أستطيع . قال : أطعم ستين مسكينا قال : لا أجده فقال رسول الله ﷺ : لفروة بن عمرو : أعطه ذلك العرق - وهو مِكتَل يأخذ خمسة عشر صاعا أو ستة عشر صاعا - إطعام ستين مسكينا .

[٢٠] [رواه الترمذى]

(١) عَرَق : مِكتَل ضخيم يسع خمسة عشر صاعا إلى عشرين صاعا .

(٢) المِكتَل : الرزبيل (أو القففة) ، يصنع من الخوص .

(٣) لابتيها : أى لابنى المدينة المورة إذ تقع بين لابتين فى طرفيها . واللابة هى الحجارة السوداء (البركانية) .

د - المباشرة أثناء الإحرام :

— عن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وأبا هريرة ، سئلوا عن رجل أصاب أهله وهو محرم بالحج . فقالوا : ينفذان يمضيان لوجههما حتى يقضيا حججهما ، ثم عليهما حج قابل والهذي . قال : وقال على بن أبي طالب : وإذا أهلا بالحج من عام قابل تفرقا حتى يقضيا حججهما .

[رواه مالك] [٢١]

— عن ابن عباس أنه سئل عن رجل وقع بأهله وهو بمنى قبل أن يفيض ، فأمره أن ينحر بدنة^(١) .

[رواه مالك] [٢٢]

الصورة الثانية من الحرام : الوقوع في اللطم^(٢)

— عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : خرج ثلاثة نفر يمضون فأصابهم المطر ، فدخلوا في غار^(٣) في جبل ، فانحطت عليهم صخرة . فقال بعضهم لبعض : ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه ... وقال آخر : اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء (وفي رواية^[٢٣] عند مسلم : فطلبت إليها نفسها فامتنعت مني حتى ألت بها سنة^(٤) من السنين فجاءتني) فقالت : لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار ، فسعيت فيها حتى جمعتها ، فلما قعدت بين رجلها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم^(٥) إلا بحقه ، فقممت وتركها . فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة . قال : ففرج عنهم الثلاثين ...

[رواه البخاري ومسلم] [٢٤]

— عن ابن مسعود قال : إن رجلا أصاب من امرأة قبله (وفي رواية^[٢٥] قبله أو مساً بيد) (وفي رواية^[٢٦] قال : إني عاجلت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها مادون أن أمسها) فأقى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله ﴿ أقم الصلاة طرفي ﴾

(١) بدنة : هي ناقة أو بقرة تنحر بمكة قربانا وكانوا يسمونها لذلك .

(٢) اللطم : أي صفائر الذنوب .

(٤) ألت بها سنة : أي عام جماعة .

(٣) غار : كهف .

(٥) لا تفض الخاتم : كُتبت عن بكارتها بالخاتم .

النهار وزُلْفًا^(١) من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴿﴾ فقال الرجل :
يا رسول الله ألى هذا ؟ قال : لجميع أمتي كلهم .

[رواه البخارى ومسلم] [٢٧]

- عن أنس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أصبت حدا^(٢)
فأقمه علىّ . قال : وحضرت الصلاة فصلّى مع رسول الله ﷺ فلما قضى
الصلاة قال : يا رسول الله إني أصبت حدا فأقم فيّ كتاب الله . قال : هل
حضرت الصلاة معنا ؟ قال : نعم . قال : قد غفر لك .

[رواه مسلم] [٢٨]

الصورة الثالثة من الحرام : الوقوع في الفاحشة :

- عن بريدة أن ماعز بن مالك الأسلمى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله
إني قد ظلمت نفسي وزنيت ، وإني أريد أن تطهرني ، فرده . فلما كان من الغد أتاه
فقال : يا رسول الله إني قد زنيت ، فرده الثانية . فأرسل رسول الله ﷺ إلى
قومه فقال : أتعلمون بعقله بأسا؟ تنكرون منه شيئا؟ فقالوا : ما نعلمه إلا وقيّ
العقل ، من صالحينا فيما نرى . فأتاه الثالثة ، فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه
فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله . فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به
فرجم . قال : فجاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني .
وإنه ردها فلما كان الغد قالت : يا رسول الله لِمَ تردني ولعلك أن تردني
كما رددت ماعزا فوالله إني لحبلى . قال : إمّا لا ، فاذهبي حتى تلدى . فلما
ولدت أخته بالصبي في خرقة ، قالت : هذا قد ولدته . قال : اذهبي فأرضعيه حتى
تفطميه ، فلما فطمته أخته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت : هذا يا نبي الله قد
فطمته وقد أكل الطعام . فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها
إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها . فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها .

(١) زلفا من الليل : طوائف من الليل .

(٢) أصبت حدا : أى ما يوجب الحد في ظني ، والمعصية هنا من المعاصي الموجبة للتعزير ، وهى من الصغائر
لأنها كفرتها الصلاة .

فَتَنَضَّحَ الدَّمُ^(١) عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا ، فَسَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ :
مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ^(٢) لَغُفِرَ
لَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصُلِيَ عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ .

[٢٩] [رواه مسلم]

- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جَهينةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ ، وَهِيَ حَبْلِي مِنَ
الزَّنا فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، فَدَعَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَلِيَهَا فَقَالَ :
أَحْسِنْ إِلَيْهَا فَإِذَا وَضَعْتَ فَائْتَنِي بِهَا ، ففَعَلَ . فَأَمَرَ بِهَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَشَكَّتْ عَلَيْهَا
ثِيَابَهَا^(٣) ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرَجَمَتْ ثُمَّ صُلِيَ عَلَيْهَا .

[٣٠] [رواه مسلم]

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَا : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ :
أَنْشُدْكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ بَيْنَنَا بَكْتَابَ اللَّهِ ، فَقَامَ خَصْمُهُ وَكَانَ أَفْقَهُ مِنْهُ فَقَالَ :
أَقْضِ بَيْنَنَا بَكْتَابَ اللَّهِ وَأُذِّنْ لِي . قَالَ : قُل . قَالَ : إِنْ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا^(٤) عَلَى
هَذَا فَرَضِي بِأَمْرَاتِهِ ، فَأَخَذْتِ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَخَادِمٍ ، ثُمَّ سَأَلْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي جُلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيبَ عَامٍ ، وَعَلَى امْرَأَتِهِ الرِّجْمَ . فَقَالَ
النَّبِيُّ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكْتَابِ اللَّهِ جُلْدَ ذَكَرِهِ . الْمِائَةُ
شَاةٍ وَالْخَادِمَ رَدًّا^(٥) ، وَعَلَى ابْنِكَ جُلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيبَ عَامٍ ، وَاعْغُدْ^(٦) يَا أُتَيْسُ عَلَى
امْرَأَةٍ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجَمْهَا ، فَعَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ فَارْجَمْهَا .

[٣١] [رواه البخاري ومسلم]

- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِرَجُلٍ قَصِيرٍ أَشْعَثَ^(٧) ذِي
عَضَلَاتٍ عَلَيْهِ إِزَارٌ^(٨) ، وَقَدْ زَنَا ، فَرَدَّهُ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرَجَمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) فتنضح الدم : خرشش الدم .

(٢) صاحب مكس : الذي يجبي الإتاوات مظلماً .

(٣) شكَّتْ عليها ثيابها : أوى جمعت عليها ثيابها ولفتها لئلا تنكشف في ثقلها عند الرجم .

(٤) عسيفا : أوى أجبراً ثابت الأجر .

(٥) المائة شاة والخادم رد : أوى كل ذلك مردود إليك .

(٦) اغد : اذهب .

(٧) أشعث : ملبد الشعر لقلة تعهده بالدهن .

(٨) الإزار : ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن .

ﷺ : كلما نفرنا^(١) غازين في سبيل الله ، تخلف أحدكم يَنْبِ نبيب التيس^(٢) ،
يمنح إحداهن الكُتْبة^(٣) . إن الله لا يُمكنُنِي من أحد منهم إلا جعلته نكالا^(٤) .

[رواه مسلم] [٣٢]

- عن وائل الكندي أن امرأة وقع عليها رجل في سواد الصبح وهي تعمد إلى
المسجد ، فاستغاثت برجل مر عليها ، وفر صاحبها . ثم مر عليها قوم ذوق
عدة ، فاستغاثت بهم ، فأدركوا الذي استغاثت به وسبقهم الآخر فذهب ،
فجاؤوا به يقودونه إليها فقال : إنما أنا الذي أغثتك وقد ذهب الآخر ، فأتوا به
رسول الله ﷺ ...

[رواه أحمد] [٣٣]

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هلال بن أمية قذف امرأته^(٥) فجاء فشهد
(أى أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان
من الكاذبين) والنبي ﷺ يقول : إن الله يعلم أن أحدا كاذب ، فهل منكما
تائب ؟ ثم قامت فشهدت (أى أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة
أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) .

[رواه البخاري ومسلم] [٣٤]

- عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن
الأمة إذا زنت ولم تحصن . قال : إذا زنت فاجلدوها ثم إن زنت فاجلدوها ثم
إن زنت فاجلدوها ثم بيعوها ولو بضعف^(٦) .

[رواه البخاري ومسلم] [٣٥]

(١) نفرنا غازين : خرجنا غازين .

(٢) يَنْبِ نبيب التيس : بصوت كصوت التيس عند السفاد ، وهو كناية عن إرادته الرقاع لشدة تورقانه إليه .

(٣) الكتبة : أى القليل من اللبن وغیره .

(٤) جعلته نكالا : أى عاقبه عقوبة رادعة لغيره ، وفيها عبرة وعظة .

(٥) قذف امرأته : اتهمها بالزنا .

(٦) ضعفير : خبل .

وهكذا نتبين أن معاناة الإنسان من قوة الشهوة الجنسية معاناة فطرية ، حتى في المجتمع النبوي الفاضل ، أى أنها معاناة قد كتبها الله على جميع أبناء آدم وبناته . ونتبين أيضا أن الله سبحانه قد فطر الإنسان على حب الجنس الآخر ، وأن هذا الحب يدفعه - وهو في كامل عقله وخلقه - إلى المباشرة الزوجية والاستمتاع بالحلال الطيب ، وقد يدفعه - في ساعة ضعف - إلى المباشرة الزوجية في أوقات الحظر . ثم إنه قد يمسّه طائف من الشيطان حيناً فيقع في شيء من اللطم ، وقد يسلم نفسه لوسوسة الشيطان وفوران الشهوة حيناً آخر ، فيرتكب الفاحشة والعياذ بالله . ولكن الله سبحانه - الذى فطر الإنسان على هذه الفطرة - كان رحيمًا بعباده رفيقًا بهم فوسع عليهم مجالات الحلال . أما الذين ضعفوا ساعة فتجاوزوا المشروع ، فقد وجدوا عند رسول الله ﷺ وهو المبلغ عن الله ، ويعلم مدى رحمة الله ، وجدوا عنده السعة والبركة ، فأعانهم على التكفير عن ذنوبهم . حيث كانوا مع الضعف ساعة ، مؤمنين صادقين يتقون الله ساعات . وأما الذين مسهم طائف من الشيطان فوقعوا في اللطم ، فقد وجدوا رحمة الله واسعة ، وأنزل فيهم « إن الحسنات يذهبن السيئات » . وأما أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم وغلبهم الشيطان ، حتى أوقعهم في الفاحشة ، ثم سرعان ما تذكروا وتابوا ، منهم من ستر على نفسه وطمع في مغفرة ربه ، ومنهم من جاء ليتطهر من ذنبه في الدنيا ، فوجد رسول الله ﷺ يرده رفقا به لعله يرجع عن إقراره ، فلما أصر أقام عليه الحد وصلى عليه وذكره بخير . وهناك من وقعوا في الفاحشة ولم يفيثوا ويرجعوا ، بل استحوذ عليهم الشيطان فأصروا على المعصية ، ولكنهم مع كل ذلك بقيت في قلوبهم بقية من خير ، وهيا الله لهم من واسع رحمته ، ففعلوا معروفاً لمخلوق من مخلوقات الله الضعيفة ساعة شدة ، فتقبل الله منهم هذا المعروف وغفر لهم به ما اقترفوا من إثم . وهذا مثال على هذه الحال من عهود الأنبياء السابقين :

- فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : بينا كلب يُطيف بِرَكِيَّة^(١) كاد يقتله العطش ، إذ رأته بَنِي^(٢) من بغايا بنى إسرائيل ، فنزعت مُوقَهَا^(٣) فسقته .

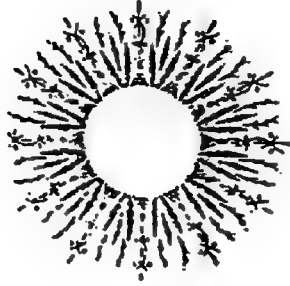
(١) يطيف بركة : يدور حول بئر .

(٢) بنى : البنى الفاجرة الزانية تتكسب بفجورها .

(٣) موقها : قيل هو الخف وقيل ما يلبس فوق الخف .

(وفي رواية^[٣٦] فتزعت خفها^(١) فأوثقت به بخمارها^(٢) فتزعت له من الماء) فقُفِر لها به .

[رواه البخاري ومسلم]^[٣٧]



(١) خفها : الحف غلاف للرجل من الجلد .

(٢) بخمارها : غطاء رأسها .

هوامش الفصل الثالث

تنبيه :

(يرجى ملاحظة أن الجزء والصفحة المذكورين بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح البخارى مرجعهما كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى طبعة مصطفى الحلبى - القاهرة .

أما الجزء والصفحة المذكوران بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح مسلم فمرجعهما الجامع الصحيح للإمام مسلم طبعة استانبول) .

[١] البخارى كتاب النكاح باب ما يتقى من شؤم المرأة ج ١١ ص ٤٠ مسلم كتاب الرقاق باب أكثر أهل الجنة الفقراء ج ٨ ص ٨٩ .

[٢] مسلم كتاب الرقاق باب أكثر أهل الجنة الفقراء ج ٨ ص ٨٩ .

[٣] البخارى كتاب النكاح باب ما يكره من التبتل والخصاء ج ١١ ص ١٩ مسلم كتاب النكاح ج ٤

ص ١٢٩

[٣، ٤] فتح البارى ج ١١ ص ١٨ ، ١٩

[٤] البخارى كتاب النكاح باب تزويج المعسر ج ١١ ص ١٧ مسلم كتاب النكاح باب نكاح المتعة

وبيان أنه أبيع ثم نسخ ج ٤ ص ١٣٠

[٥] فتح البارى ج ١١ ص ١٨ ، ١٩ .

[٦] البخارى كتاب النكاح باب ما يكره من التبتل والخصاء ج ١١ ص ٢٠ .

[٧] فتح البارى ج ١١ ص ٢٠ ، ٢١ .

[٨] البخارى كتاب النكاح باب من لم يستطع البائة فليصم ج ١١ ص ١٣ مسلم كتاب النكاح ج ٤

ص ١٢٨ .

[٩] صحيح سنن أبى داود كتاب الخراج والإمارة والفيء باب فى أرزاق العمال الحديث رقم

٢٥٥٢ .

[١٠] البخارى كتاب النكاح باب من أحب البناء قبل الغزو ج ١١ ص ١٣١

[١١] البخارى كتاب الجهاد باب استئذان الرجل الإمام ج ٦ ص ٤٦٦

[١٢] البخارى كتاب النكاح باب طلب الولد ج ١١ ص ٢٥٥ مسلم كتاب النكاح باب استحباب

نكاح البكر ج ٤ ص ١٧٦

[١٣] صحيح سنن أبى داود كتاب الصوم باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها الحديث رقم ٢١٤٧

[١٤] مسلم كتاب النكاح باب نذب من رأى امرأة فوقعت فى نفسه أن يأق امرأته ج ٤ ص ١٢٩

[١٥] البخارى كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم ج١١ ص١٣ مسلم كتاب النكاح ج٤

ص٢٨

[١٦] البخارى كتاب التفسير سورة البقرة باب أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ج٩ ص٢٤٨

[١٧] البخارى كتاب الصوم باب إذا جامع في رمضان ج٥ ص٦٤

[١٨] البخارى كتاب الصوم باب إذا جامع في رمضان ج٥ ص٦٤

[١٩] البخارى كتاب الصوم باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء تصدق عليه فليكفر ج٥

ص٦٥ مسلم كتاب الصيام باب تغليب تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ج٣ ص١٣٨

[٢٠] صحيح سنن الترمذى كتاب أبواب الطلاق واللعان باب ما جاء في كفارة الظهار حديث رقم ٩٥٩

[٢١] الموطأ كتاب الحج باب هدى المحرم إذا أصاب أهله ج١ ص٣٨١

[٢٢] الموطأ كتاب الحج باب من أصاب أهله قبل أن يفيض ج١ ص٣٨٤

[٢٣] مسلم كتاب الذكر والتوبة والاستغفار باب قصة أصحاب الغار ج٨ ص٨٩

[٢٤] البخارى كتاب البيوع باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضى ج٥ ص٣١٣ مسلم كتاب

الذكر والتوبة والاستغفار باب قصة أصحاب النار ج٨ ص٨٩

[٢٥ ، ٢٦] مسلم كتاب التوبة باب قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات ج٨ ص١٠٢

[٢٧] البخارى كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة ج٢ ص١٤٨ مسلم كتاب التوبة باب قوله

تعالى ﴿إِنِ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ج٨ ص١٠١

[٢٨] مسلم كتاب التوبة باب قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات ج٨ ص١٠٢

[٢٩] مسلم كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا ج٥ ص١٢٠

[٣٠] مسلم كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا ج٥ ص١٢٠

[٣١] البخارى كتاب المغاربيين من أهل الكفر والردة باب الاعتراف بالزنا ج١٥ ص١٤٩ مسلم كتاب

الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا ج٥ ص١٢١

[٣٢] مسلم كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا ج٥ ص١١٧ .

[٣٣] سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٠٠ وانظر أيضا إعلام الموقعين ج٣ ص٨

[٣٤] البخارى كتاب الطلاق باب يبدأ الرجل بالثلاعن ج١١ ص٣٨٦ مسلم كتاب اللعان ج٤

ص٢٠٩

[٣٥] البخارى كتاب المغاربيين من أهل الكفر والردة باب إذا زنت الأمة ج١٥ ص١٧٦ مسلم كتاب

الحدود باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا ج٥ ص١٢٤

[٣٦] البخارى كتاب بدء الخلق باب إذا وقع الذباب في شراب أحذك ج٧ ص١٦٩

[٣٧] البخارى كتاب أحاديث الأنبياء باب حدثنا أبو الهيثم ج٧ ص٣٢٢ مسلم كتاب السلام باب

فضل سقى البهائم وإطعامها ج٧ ص٤٤ .

الفصل الرابع

تيسير الشريعة مجالات ممارسة المتعة الجنسية

تيسير الشريعة بمجالات ممارسة المتعة الجنسية

تقديرا من الشرع الحكيم لقوة الشهوة الجنسية ، ولحاجة الإنسان الفطرية إلى ممارسة المتعة الجنسية ، حرص الإسلام - كما ذكرنا من قبل - على تقديم كل صور التيسير ، حتى يرفع الحرج عن المسلم ، ويجعله ينطلق في الحياة صحيح النفس ، نشيط البدن . والإسلام - بذلك - يقدم شاهدا على رحمة الله بعباده وسماحة شريعته التي بُعث بها محمد ﷺ . وصدق الله العظيم « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . على أن كل تيسير قد يبدو لأول وهلة أنه تيسير على الرجال ، فهو تيسير على النساء في الوقت نفسه ، لأن المتعة الجنسية لا تكون إلا بين رجل وامرأة ، حتى تعدد الزوجات فإنه وإن كان فيه مزيد من المتعة للرجل ففيه توسعة على عدد من النساء ، إذ قد لا تتسع لأولئك - في حالة رفضهن الرجل الذي يعدد - فرصة للزواج والاستمتاع ، أو قد يطول بهن الانتظار . وقد حفلت الشريعة بنصوص كثيرة تحض كلا من الزوجين على أداء حق صاحبه في المتعة الجنسية . وهذه بعض النصوص التي تحض المرأة على أداء حق زوجها :

- عن أنى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

[رواه البخارى ومسلم]^[٩]

- عن أنى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأتى عليه ، إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » .

[رواه مسلم]^[٧]

- عن طلق بن على أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على الثَّور »^(١) .

[رواه الترمذى]^[٣]

(١) الثَّور : الموقد الذى يخبز فيه .

- عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دعا رجل امرأته إلى فراشه فلتجب وإن كانت على ظهر قتب^(١) .

[رواه البزار] [٤]

وهذه نصوص تخص الرجل على أداء حق زوجته :

وقد سبق عرضها خلال مبحث الحياء والشئون الجنسية ، لبيان كيف غالبت صحابيات كريمات الحياء ، وتحدثن في بعض خصوصيات جنسية مع رجال من أقرب الناس إلى أزواجهن .

- عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال : آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء . فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة^(٢) فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا . فجاء أبو الدرداء ... فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأقى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ : صدق سلمان .

[رواه البخاري] [٥]

-- عن عبد الله بن عمرو قال : أنكحني أُنَى امرأة ذات حسب ، فكان يتعهد كَتْنَه^(٣) فيسألها عن بعلها فتقول : نَعَمْ الرجل من رجل ، لم يَطَأْ لنا فراشاً^(٤) ولم يُفْتَشْ لنا كَتْنَفَا^(٥) مذ أتيناها فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال : القنى به ، فلقيته بعد فقال : كيف تصوم ؟ قال : كل يوم . قال : وكيف تخم ؟ قال : كل ليلة ... (وفي رواية^(٦) : قال لي رسول الله ﷺ : يا عبد الله ، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : فلا

(١) ظهر قتب : القتب هو للجمل كالسرج للفرس وجمعه أقطاب .

(٢) متبذلة : أى لابسَة ثياب البذلة وهى المهنة . والمراد أنها تاركة ثياب الزينة .

(٣) كتته : الكنة هى زوج الولد .

(٤) لم يَطَأْ لنا فراشاً : أى لم يضاغنا .

(٥) لم يفتش لنا كتنفا : لم يرفع لنا سترا .

تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا ... وإن لزوجك عليك حقا .

[رواه البخارى] [٩٦]

وإذا كانت النصوص تتكاثر لتأكيد حق الرجل ، وتستحث المرأة على سرعة الاستجابة ، فإن مردّ ذلك إلى أن الرجل بمقتضى الفطرة ، هو الطالب والمرأة هى المطلوبة ، وأنه أقرب استشارة وأسرع احتياجا ، وأنه كثيرا ما تعرض له الثمرات بحكم نوع حياته ونشاطه . وصدق رسول الله ﷺ : « إذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله » [٧] وفى رواية « إذا أحدكم أعجبتة المرأة فوقع فى قلبه فليعمد إلى امرأته » [٨] . فعلى الرجل - أعانه الله - أن يتلطف فى طلبه ، وعلى المرأة - وفقها الله - أن ترفق به وتستجيب لطلبه ، ولو كان عندها ما يشغل عن الاستجابة لهذا الطلب .

وقد ورد فى فتح البارى خلّال شرح حديث « إذا دعا الرجل المرأة إلى فراشه ... » :

(وفى الحديث أن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة ... وفيه أن أقوى التشويشات على الرجل داعية النكاح . ولذلك حض الشارع النساء على مساعدة الرجال فى ذلك) [٩] .

وفى كل الأحوال تبقى القاعدة الجليلة التى قررها الكتاب العزيز ﴿ وهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ هى الأصل فى هذا الشأن وغيره .

صور تيسير ممارسة المتعة الجنسية :

١ - إباحة الاستمتاع ولو مع تحاشي الحمل :

- عن جابر أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال : « إن لى جارية هى خادمتنا وسانيتنا^(١) ، وأنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل . فقال : اعزل عنها إن شئت ، فإنه سيأتيها ما قُدِّر لها .

[رواه مسلم]^[١٠]

- عن جابر : كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل (وفى رواية مسلم : فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا) .

[رواه البخارى ومسلم]^[١١]

أورد البخارى هذا الحديث فى باب العزل . وقال الحافظ ابن حجر : (قوله : باب العزل) أى النزاع بعد الإيلاج ليُنزِل خارج الفرج .

وقال أبو عيسى الترمذى : وقد رخص قوم من أهل العلم ، من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم فى العزل^[١٢] .

وقال ابن تيمية : أما العزل فقد حرمه طائفة من العلماء ؛ لكن مذهب الأئمة الأربعة أنه يجوز بإذن المرأة^[١٣]

٢ - إباحة الاستمتاع مع المستحاضة :

- عن عكرمة قال : « كانت أم حبيبة تستحاض فكان زوجها يغشاها »

[رواه أبو داود]^[١٥، ١٤]

- عن حمزة بنت جحش : « أنها كانت مستحاضة ، وكان زوجها يجامعها »

[رواه أبو داود]^[١٦]

(١) سانيتنا : أى التى تحمل لنا الماء ، وقد شبهها بالسانية أى الناقة التى يُستقى عليها الماء .

٣ - إباحة الاستمتاع مع الحائض :

(فيما دون الجماع)

- عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ، ولم يجامعوهن في البيوت^(١) فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ فقال رسول الله ﷺ : اصنعوا كل شيء إلا النكاح^(٢) . فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه . فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا : يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن ؟ فغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد^(٣) عليهما ، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ ، فأرسل في آثارهما فسقاهما ، فعرفا أن لم يجد عليهما .

[رواه مسلم] [١٧]

- عن زيد بن أسلم أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال : « ما يحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ » فقال رسول الله ﷺ : لتشد عايها إزارها ثم شأئك بأعلاها . [رواه مالك] [١٨]

- عن عائشة قالت : « كانت إحدانا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها ، أمرها أن تنزر^(٤) في فور حبيضتها^(٥) ثم يباشرها . قالت : وأيكم يملك إزته^(٦) كما كان النبي ﷺ يملك إزته » . [رواه البخاري ومسلم] [١٩]

(١) لم يجامعوهن في البيوت : أي لم يسكنوهن ولم يخالطوهن في البيوت . والبيوت هنا الحجرات التي ينام فيها .

(٢) إلا النكاح : النكاح هنا بمعنى الوطء أي الجماع .

(٣) وجد عليهما : وجد عليه موجدة : غضب .

(٤) تنزر : تلبس الإزار .

(٥) فور حبيضتها : فور الخبيضة معظم صبا ، من فوران القدر وغليانها .

(٦) إزته : المراد عضوه الذي يستمتع به . وفي رواية (إزته) أي حاجته وكان النبي ﷺ يملك الناس لأثره وشهوته .

قال الحافظ ابن حجر : وذهب كثير من السلف والثوري وأحمد وإسحاق ، إلى أن الذي يُمنع من الاستمتاع بالحائض بالفرج فقط ، وبه قال محمد بن الحسن من الحنفية ، ورجحه الطحاوى ، وهو اختيار أصبغ^(١) من المالكية ، وأحد القولين أو الوجهين للشافعية ، واختاره ابن المنذر . وقال النووي : هو الأرجح دليلا لحديث أنس في مسلم « اصنعوا كل شيء إلا الجماع » وحملوا حديث الباب وشبهه على الاستحباب جمعا بين الأدلة . وقال ابن دقيق العيد : ليس في حديث الباب ما يقتضى منع ما تحت الإزار لأنه فعل مجرد . انتهى . ويدل على الجواز أيضا ما رواه أبو داود بإسناد قوى ، عن عكرمة ، عن بعض أزواج النبي ﷺ « أنه كان إذا أراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوبا ... » وفصل بعض الشافعية فقال : إن كان يضبط نفسه - عند المباشرة - عن الفرج ويثق منها باجتنابه ، جاز وإلا فلا ، واستحسنه النووي^[٢٠] .

وقال ابن حزم : وحلال للرجل من امرأته الحائض كل شيء حاشا الإيلاج فقط ... وذهبت طائفة إلى مثل قولنا كما حدثنا عبد الله بن ربيع ... عن حكيم بن عقال : سألت أم المؤمنين عائشة : ما يحرم على الرجل من امرأته إذا كان صائما؟ قالت : فرجها . قلت : فما يحرم عليه منها إذا كانت حائضا؟ قالت : فرجها . وهو قول أم سلمة أم المؤمنين ... وعن الشعبي قال : يباشر الرجل الحائض إذا كف عنها الأذى . وعن عطاء بن أبي رباح أنه قال في الحائض لا بأس أن يأتيها زوجها فيما دون الدم ... وعن الحكم بن عتيبة أنه قال في الحائض : لا بأس أن يضع الرجل فرجه عليه ما لم يدخله - يعنى على فرجها - ... عن الحسن البصرى أنه كان لا يرى بأسا أن يقلب بين فخذي الحائض ، وهو قول مسروق وإبراهيم النخعي وسفيان الثوري ، ومحمد بن الحسن صاحب أى حيفة وأبى سليمان ، وجميع أصحابنا وهو المشهور عن الشافعى^[٢٠] .

وفضلا عن الاستمتاع مع الحائض ، فالتعامل اليومي معها لا حرج فيه إطلاقا ، سواء المشاركة في الفراش أو المأكلة أو المتأولة أو ترجيل الشعر .

(١) أصبغ : هو أصبغ بن الفرج من كبار فقهاء المالكية توفي سنة ٢٢٥ هـ .

– عن أم سلمة قالت : « بينا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خيمصة^(١) حضنت ، فانسلت فأخذت ثياب حيضتي . فقال : أنفست ؟ فقلت : نعم . فدعاني فاضطجعت معه في الحميلة »
[رواه البخارى ومسلم] [٢٠ب]

– عن عائشة قالت : « كنت أشرب وأنا حائض ، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فتي فيشرب ، وأتعرق العرق^(٢) وأنا حائض ، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فتي »
[رواه مسلم] [٢١]

– عن أبي هريرة قال : « بينما رسول الله ﷺ في المسجد فقال : يا عائشة ناوليني الثوب ، فقالت : إني حائض . فقال : إن حيضتك ليست في يدك ، فناولته »
[رواه مسلم] [٢٢]

– عن عائشة قالت : كنت أرجل^(٣) رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض .
[رواه البخارى ومسلم] [٢٣]

٤ – إباحة قدر من الاستمتاع مع شعائر العبادة :

• مع تلاوة القرآن :

– عن عائشة أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجرى وأنا حائض ، ثم يقرأ القرآن .
[رواه البخارى ومسلم] [٢٤]

(١) خيمصة : كساء ذو خمل .

(٢) أتعرق العرق : أتغرق بقاء اللحم بأسناني ، والعرق : العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رفيقة طيبة .

(٣) أرجل : أسوى الشعر وأزينه وأسرحه .

• مع استقبال الوحي :

— عن عائشة (قال رسول الله ﷺ لأُم سلمة) ... إن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة (وفي رواية^[٢٤] في لحاف امرأة) إلا عائشة .

[رواه البخارى]^[٢٥]

• مع الوضوء :

القبلة لاتنقض الوضوء :

— عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقبل بعض أزواجه ، ثم يصلى ولا يتوضأ .
[رواه النسائي]^[٢٦]

• مع الصوم :

القبلة واللمسة لاتفسد الصوم :

— عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : هشتت فقبلت وأنا صائم فقلت : يا رسول الله صنعت اليوم أمراً عظيماً ، قبلت وأنا صائم ، قال ﷺ : أرايت لو مضمت من الماء وأنت صائم ؟ قلت : لا بأس به قال : فمه ؟

[رواه أبو داود]^[٢٧]

ورد في فتح البارى : رأى بعض أهل العلم أن للصائم إذا ملك نفسه أن يقبل ، وإلا فلا ، ليسلم له صومه ، وهو قول سفيان والشافعى . ويدل على ذلك ما رواه مسلم من طريق عمر بن أبى سلمة وهو ربيب النبي ﷺ : أنه سأل رسول الله ﷺ : أيقبل الصائم ؟ فقال : سل هذه ؛ لأُم سلمة ، فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك . فقال : يا رسول الله قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر . فقال : أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له ، فدل ذلك على أن الشاب والشيخ سواء لأن عمر حينئذ كان شاباً ، ولعله كان أول ما بلغ ، وفيه دلالة على أنه ليس من الخصائص^[٢٨] .

• المباشرة الكاملة في ليالى رمضان :

(١) قال تعالى : ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ

(سورة البقرة الآية : ١٨٧) .

هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَّهُنَّ ﴾

(١) الرفت إلى نساكنكم : المقصود هنا الجماع .

• مع الاعتكاف :

• المرأة تزور زوجها المعتكف :

- عن علي بن الحسين قال : كان النبي ﷺ في المسجد (في اعتكافه) وعنده أزواجه فَرَحَنَ . فقال لصفية بنت حيى : لاتعجلي حتى أنصرف معك ، وكان بيتها في دار أسامة . فخرج النبي ﷺ معها فلقيه رجلان من الأنصار ، فنظرا إلى النبي ﷺ ثم أجازا^(١) ، وقال لهما النبي ﷺ : تعاليا ، إنها صفية بنت حيى فقالا : سبحان الله يا رسول الله . قال : إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يلقى في أنفسكما شيئا :

[رواه البخارى] [٢٩]

• المرأة تفصل رأس زوجها المعتكف وترجله :

- عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله . (وفي رواية^[٢٩] : إن كان رسول الله ﷺ ليدخل على رأسه وهو في المسجد فأرجله) . [رواه البخارى ومسلم] [٣٠]

• مع الحج :

• القبلة واللمسة لا تفسد الحج :

قال ابن رشد في بداية المجتهد : (وأما المتروك الثالث فهو مجامعة النساء ، وذلك أنه أجمع المسلمون على أن وطء النساء على الحاج حرام من حين يُحْرَمَ لِقَوْلِهِ تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾^[٣١] ... الجمهور على أن التقاء الحتانين يفسد الحج)^[٣١]

وقال ابن حزم في المحلى : ومباح للمحرم أن يقبل امرأته ويباشرها ما لم يوج ، لأن الله تعالى لم ينه إلا عن الرفث ، والرفث الجماع فقط^[٣٢] .

(١) أجازا : أى جازا المكان أو الموضع .

• الحظ على متعة الحج بل الأمر بها :

(ولها الاستمتاع الطيب بمباشرة الزوجات)

- عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله ، (أى آية ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعِمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ ^(١)) ففعلناها مع رسول الله ﷺ ، ولم ينزل قرآن يحرمه ، ولم ينه عنها حتى مات ...
[رواه البخارى ومسلم] ^[٣٣]

- عن جابر بن عبد الله فى أناس معه قال : أهللنا أصحاب رسول الله ﷺ فى الحج خالصة ، ليس معه عمرة ... فقدم النبى ﷺ صبح رابعة مضت من ذى الحجة ، فلما قدمنا أمرنا النبى ﷺ أن نُحِلَّ ، وقال : أحلوا وأصيبوا من النساء ... فبلغه أنا نقول : لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس ، أمرنا أن نحل إلى نسائنا ، فنأتى عرفة تقطر مذاكيرنا المذى !.... فقام رسول الله ﷺ فقال : قد علمتم أنى أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ، ولولا هدىي لحللت كما تحلون ، فحلوا ، فلو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت . فحللنا وسمعنا وأطعنا (وفى رواية ^[٣٣] : فواقعنا النساء وتطينا بالطيب ولبسنا ثيابنا) .
[رواه البخارى ومسلم] ^[٣٤]

- عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أستق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة . فقام سراقه بن مالك بن جُعْشُم فقال : يا رسول الله أَلِغَيْنَا هذا أم لأبَد ؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة فى الأخرى وقال : دخلت العمرة فى الحج ، مرتين ، لا بل لأبَد أبَد . وقدم عُلَيُّ من اليمن يَبْدُن ^(٢) النبى ﷺ ، فوجد فاطمة (رضى الله عنها) ممن حَلَّ ^(٣) ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها فقالت : إن أنى أمرنى بهذا . قال : فكان على يقول بالعراق : فذهبت إلى رسول الله ﷺ ، مُحَرِّشًا على فاطمة للذى صنعت مستفتيا

(١) الهدى : ما يهدى إلى البيت الحرام من بقرة أو ناقة أو شاة .

(٢) بدن : جمع بَدَنَة هى ناقة تحر بمكة قربانا وكانوا يُسْتَوْنَهَا لذلك .

(٣) حل : أى حل من الإحرام .

لرسول الله ﷺ فيما ذَكَرْتُ عنه : فَأَخْبَرْتَهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَ :
صَدَقْتُ صَدَقْتُ ...

[٣٥] [رواه مسلم]

- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ : خَرَجْنَا مَعْرَمِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُقِمْ عَلَى إِحْرَامِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحْلُلْ .
فَلَمْ يَكُنْ مَعِيَ هَدْيٌ فَحَلَلْتُ وَكَانَ مَعَ الزَّبِيرِ هَدْيٌ فَلَمْ يَحْلُلْ . قَالَتْ : فَلَبِستُ
ثِيَابِي ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَلَسْتُ إِلَى الزَّبِيرِ فَقَالَ : قَوْمِي عَنَى فَقُلْتُ : أَتُخْشَى أَنْ أَثْبَ
عَلَيْكَ !

[٣٦] [رواه مسلم]

• إباحة الجماع فور طواف الإفاضة :

وقد أجمع الفقهاء على إباحة الجماع فور طواف الإفاضة ، كما اتفقوا على أنه
من وَطِئَ قَبْلَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ فَقَدْ أَفْسَدَ حَجَّهُ ، واختلفوا في فساد الحج بالوطء
بعد الوقوف بعرفة ، وقبل رمي جمرة العقبة ، وبعد رمي الجمرة ، وقبل طواف
الإفاضة [٣٧] .

• مع قيام الليل :

ممارسة المباشرة الزوجية فور الفراغ من قيام الليل :

- عَنْ الْأَسْوَدِ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَيْفَ صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ ؟
قَالَتْ : كَانَ يَنَامُ أَوَّلَهُ وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيَصَلِّي ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ (وَفِي رِوَايَةٍ
مُسْلِمٌ : ثُمَّ إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى أَهْلِهِ قَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ يَنَامُ) فَإِذَا أَذِنَ الْمُؤَذِّنُ
وَتَبَّ ، فَإِنْ كَانَتْ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ وَالْإِتَوَضَأَ وَخَرَجَ .

[٣٨] [رواه البخاري ومسلم]



٥ - تخفيف الطهارة الواجبة إثر الاستمتاع :

● تخير الجنب بين الغسل والوضوء والتيمم قبل النوم :

- عن عبد الله بن أبى قيس قال : سألت عائشة ... قلت : كيف كان يصنع رسول الله ﷺ في الجنابة ؟ أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل ؟ قالت : كل ذلك كان يفعل ، ربما اغتسل فنام وربما توضأ فنام . قلت : الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعة .

[رواه مسلم] [٣٩]

- عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب ، غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة .

[رواه البخارى ومسلم] [٤٠]

- عن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر قال : يا رسول الله أينام أحدنا وهو جنب ؟ قال : نعم إذا توضأ (وفى رواية [٤١] : توضأ واغسل ذكرك ثم نم) .

[رواه البخارى ومسلم] [٤٢]

وفى رواية عند ابن خزيمة وابن حبان : نعم يتوضأ إن شاء [٤٣] .

- عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أجنب فأراد أن ينام توضأ ، أو تيمم .

[رواه البيهقى] [٤٤]

- عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء .

[رواه الترمذى] [٤٥]

● الإذن لمفتقد الماء بالجماع ثم التيمم :

لننظر فى نصوص القرآن والسنة لتبين مدى تيسر شرعنا على مفتقد الماء ، فإنه لم يحظر عليه الجماع حتى يجد الماء ، بل أذن له فى التيمم ولو طال الزمن : قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا ﴾

(سورة النساء الآية : ٤٣)

- وعن أبي ذر : إني اجتويت^(١) المدينة ، فأمر لي رسول الله ﷺ بنؤد^(٢) وبغيم فقال لي : اشرب من ألبانها ... فكنت أعزب^(٣) عن الماء ومعى أهلي فتصينني الجنابة فأصلي بغير طهور ، فأتيت رسول الله ﷺ بنصف النهار ، وهو في رهط من أصحابه ، وهو في ظل المسجد ، فقال : أبو ذر ؟ فقلت : نعم ، هلكت يا رسول الله ، قال : وما أهلكك ؟ قلت : إني كنت أعزب عن الماء ، ومعى أهلي فتصينني الجنابة فأصلي بغير طهور ، فأمر لي رسول الله ﷺ بماء ، فجاءت به جارية سوداء بعُسن^(٤) يتخضخض ، ما هو بملآن ، فتسَّرت إلى بعيري فاغتسلت ، ثم جمعت ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا ذر إن الصعيد الطيب طهور ، وإن لم تجد الماء إلى عشر سنين ، فإذا وجدت الماء فأمسسه جلدك .
[رواه أبو داود] [٤٥]

● الوضوء فحسب إثر الاستمتاع وخروج المذي :

- عن المقداد بن الأسود قال : سألت رسول الله ﷺ عن الرجل إذا دنا من أهله فخرج منه المذي ماذا عليه ؟ فقال : إذا وجد ذلك أحدكم فليتنضح فرجه بالماء وليتوضأ وضوئه للصلاة .
[رواه مالك] [٤٦]

● الاكتفاء بأقل الماء في الوضوء والغسل :

- عن أنس قال : كان النبي ﷺ يغتسل بالصَّاع^(٦) إلى خمسة أمداد^(٧) ويتوضأ بالمُدِّ .
[رواه البخاري ومسلم] [٤٧]

(١) اجتويت المدينة : لم توافقني فكرهتها وكرهت المقام فيها .

(٢) النؤد : القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العشر ، مؤنث .

(٣) أعزب عن الماء : أبعد عن الماء .

(٤) عُسن : هو القدح الكبير والجمع عساس وأعساس .

(٥) رجل مذاء : المذي ماء رقيق يخرج من ذكر الرجل عند الملاعبة ، والرجل المذاء : من يكثر خروج المذي منه .

(٦) الصاع : أربعة أمداد .

(٧) أمداد : جمع مد ، والمد ملء كَفَى الإنسان .

- عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة ، دعا بشيء نحو الجلاب^(١) فأخذ بكفه ، فبدأ بشق رأسه الأيمن ثم الأيسر ...

[٤٨] [رواه البخارى ومسلم]

- عن أنى سلمة قال : دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة ، فسألها أخوها عن غسل النبي ﷺ . فدعت بإناء نحو من صاع فاغتسلت وأفاضت على رأسها ، وبيننا وبينها حجاب .

[٤٩] [رواه البخارى]

إن في الوضوء والغسل تطهيرا ماديا ، وذلك باستعمال الماء للنظافة ، وتطهيرا معنويا ، وذلك بالامثال لأمر الله ، مع تسمية الله في أوله والشهد في آخره .

● لا حاجة لنقض صفائر المرأة عند الغسل :

- عن عبيد بن عمير قال : بلغ عائشة أن عبد الله بن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن^(٢) فقالت : يا عجبا لابن عمرو هذا ، يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن ! لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ، ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إ فراغات .

[٥٠] [رواه مسلم]

● الاكتفاء بغسل موضع المني من الثوب ، وبفركه إن كان جافا :

- عن علقمة والأسود أن رجلا نزل بعائشة فأصبح يغسل ثوبه فقالت عائشة : إنما كان يجزئك إن رأيته أن تغسل مكانه ، فإن لم تر نضحت^(٣) حوله . ولقد رأيته أفركه من ثوب رسول الله ﷺ فركا .

[٥١] [رواه مسلم]

(١) الجلاب : إناء يعلب فيه ، ويسمى جلابا وعليا ، وهو إناء يسع قدر حلب ناقة .

(٢) ينقضن رؤوسهن : يحلقن صفائر شعورهن .

(٣) نضحت حوله . رششت حوله .

● الاكفاء بغسل موضع دم الحيض حين يصيب ثوب الرجل :

- عن عائشة قالت : كنت أنا ورسول الله ﷺ نبيت في الشعار^(١) الواحد ، وأنا حائض طامث ، فإن أصابه منى شيء غسل مكانه ولم يَغْدُهُ^(٢) ، ثم صلى فيه ...
[رواه أبو داود] [٥٢]

٦ - صحة أداء العبادات مع بعض آثار المباشرة الجنسية :

● صحة الصلاة في الثوب تمارس فيه المباشرة الجنسية :

- عن سليمان بن يسار قال : سألت عائشة عن المنى يصيب الثوب ؟ فقالت : كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ ، فيخرج إلى الصلاة وأثر الغسل في ثوبه : يُقَع الماء .

[رواه البخاري ومسلم] [٥٣]

- عن معاوية بن أبي سفيان أنه سأل أخته أم حبيبة زوج النبي ﷺ : هل كان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي يجامعها فيه ؟ فقالت : نعم إذا لم ير فيه أذى .

[رواه أبو داود] [٥٤]

● صحة صيام من أصبح على جنابة :

- عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أن أباه عبد الرحمن أخبر مروان ، أن عائشة وأم سلمة أخبرتا أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ، ثم يغتسل ويصوم .

[رواه البخاري ومسلم] [٥٥]

٧ - تقصير مدة الإحداذ على غير الزوج :

- عن أم عطية قالت : كنا نُنْهَى أن نُحْدَ^(٣) على ميت فوق ثلاث ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا .

[رواه البخاري ومسلم] [٥٦]

(١) الشعار : ما يلي جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب .

(٢) لم يَغْدُهُ : أى لم يتجاوز مكان المنى . (٣) نُحْدَ : من الإحداذ أو الحداد أى ترك الزينة .

وفي تقصير مدة إحداد المرأة على غير الزوج ، محافظة على حق الزوج في تزيين امرأته له ، وعلى حقهما معا في الاستمتاع .

٨ - تقصير فترة الاغتراب :

— عن مالك بن الحويرث قال : أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رحيمًا رفيقًا ، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال : ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم ، وصلوا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمكم أكبركم .

[٥٧] [رواه البخاري ومسلم]

٩ - إباحة الطلاق للرجل والخلع للمرأة :

قال تعالى : ﴿ الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ ﴾

(سورة البقرة الآية : ٢٢٩)

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفْقَهُا حَدُودَ اللَّهِ فَلَاحْجَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾

(سورة البقرة الآية : ٢٢٩)

— عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق ، إلا أُنِي أخاف الكفر^(١) ، فقال رسول الله ﷺ : فتردين عليه حديثه ؟ فقالت : نعم ، فردت عليه وأمره ففارقها .

[٥٨] [رواه البخاري]

إن كلا من الطلاق والخلع يفسح المجال لزواج جديد ، يسر تحقيق المتعة الجنسية ، التي لا بد أن الزوجين حرما منها بسبب الخلاف المستحكم بينهما .

(١) أخاف الكفر : أي أخاف أن تحملني كراهيته على كفران العشير والتقصير في حقه .

١٠ - سرعة زواج المطلقات :

(لور انتهاء العدة)

والعدة هنا مدة قصيرة ثلاثة قروء^(١) لغير الحامل ، ووضع الحمل بالنسبة للحامل قال تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ ۝ ﴾ .

(سورة البقرة الآية : ٢٢٨)

وقال تعالى : ﴿ وَأُولَئِذَا أَتَمَمْتُمُ الْأُحْمَالِ أَجَلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ ۝ ﴾ .

(سورة الطلاق الآية : ٤)

- وعن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة^(٢) ... قالت : فلما أحللت (أى انتهت العدة) ذكرت للنبي ﷺ أن معاوية بن أوى سفيان وأبا جهم خطباني (وفى رواية^[٥٨] : خطبني عبد الرحمن بن عوف فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ) .

[رواه مسلم]^[٥٩]

- وعن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة ... فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال : ... فإذا حللت فأذنينى^(٣) . قالت : فلما حللت ... قال رسول الله ﷺ ... انكحى أسامة بن زيد ... فنكحته فجعل الله خيرا واغتبطت به .

[رواه مسلم]^[٦٠]

١١ - سرعة زواج الأراامل :

(لور انتهاء العدة)

والعدة هنا مدة قصيرة أربعة أشهر وعشر لغير الحامل ووضع الحمل للحامل .

(١) القراء : يطلق على الطهر والحيض .

(٢) طلقها البتة : أى الطلاق الثالث الذى لا تعود الزوجة بعده إلى المطلق إلا إن نكحت زوجا غيره .

(٣) آذنينى : أعلمينى .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ^(١) أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ^(٢) فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ^(٣) فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ^(٤) بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝

(سورة البقرة الآية : ٢٣٤)

— عن سبيعة بنت الحارث ... أنها كانت تحت سعد بن خولة ... وكان ممن شهد بدرا . فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تنشب^(٥) أن وضعت حملها بعد وفاته . فلما تملت من نفاسها^(٦) تجملت للخطاب ... قالت : أتيت رسول الله ﷺ فسألته ... فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي (وفي رواية : فاستأذنته^[٦٠] ، فأذن لها فتكحت)
[رواه البخاري ومسلم]^[٦١]

(١) يتربصن بأنفسهن : ينتظرن .

(٢) بلغن أجلهن : انقضت عدتهن .

(٣) فلا جناح عليكم : لا إثم عليكم .

(٤) فيما فعلن في أنفسهن : أي من التزين والتعرض للخطاب

هوامش الفصل الرابع

تنبيه :

(يرجى ملاحظة أن الجزء والصفحة المذكورين بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح البخارى مرجعهما كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى طبعة مصطفى الحلبى - القاهرة .
أما الجزء والصفحة المذكوران بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح مسلم فمرجعهما الجامع الصحيح للإمام مسلم طبعة (استانبول) .

- [١] البخارى كتاب النكاح باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ج ١١ ص ٢٠٥ مسلم كتاب النكاح باب تحريم امتناعها عن فراش زوجها ج ٤ ص ١٥٧ .
- [٢] مسلم كتاب النكاح باب تحريم امتناعها عن فراش زوجها ج ٤ ص ١٥٧ .
- [٣] صحيح سنن الترمذى أبواب النكاح باب فى حق الزوج على المرأة الحديث رقم ٩٢٧ .
- [٤] صحيح الجامع الصغير الحديث رقم ٥٤٧ .
- [٥] البخارى كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر فى التطوع ج ٥ ص ١١٢ .
- [٦] البخارى كتاب الصوم باب حق الجسم فى الصوم ج ٥ ص ١٢١ .
- [٦أ] البخارى كتاب فضائل القرآن باب فى كم يقرأ القرآن ج ١٠ ص ٤٧٢ .
- [٧ ، ٨] مسلم كتاب النكاح باب ندب من رأى امرأة فوقعت فى نفسه إلى أن يأتى امرأته ج ٤ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
- [٩] فتح البارى ج ١١ ص ٢٠٦ .
- [١٠] مسلم كتاب النكاح باب العزل ج ٤ ص ١٦٠ .
- [١١] البخارى كتاب النكاح باب العزل ج ١١ ص ٢١٧ مسلم كتاب النكاح باب حكم العزل ج ٤ ص ١٦٠ .
- [١٢] صحيح سنن الترمذى كتاب أبواب النكاح باب ما جاء فى العزل الحديث رقم ٩٠٩ .
- [١٣] مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٧ ص ١٠٨ .
- [١٤، ١٥] صحيح سنن أبى داود كتاب الطهارة باب المستحاضة ينشأها زوجها الحديث رقم ٣٢ .
- [١٦] صحيح سنن أبى داود كتاب الطهارة باب المستحاضة ينشأها زوجها الحديث رقم ٣٠٣ .
- [١٧] مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ج ١ ص ١٦٩ .

- [١٨] الموطأ كتاب الطهارة باب ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض ج١ ص٥٧ .
- [١٩] البخارى كتاب الحيض باب مباشرة الحائض ج١ ص٤٩ مسلم كتاب الحيض باب مباشرة الحائض فوق الإزار ج١ ص١٦٧ .
- [٢٠] فتح البارى ج١ ص٤٢٠ .
- [٢٠] أهل لابن حزم ج١ ص٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ .
- [٢٠] البخارى كتاب الحيض باب من سمي النفاس حيفا ج١ ص٤١٨ مسلم كتاب الحيض باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد ج١ ص١٦٧ .
- [٢١] مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ج١ ص١٦٨ .
- [٢٢] مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ج١ ص١٦٨ .
- [٢٢] البخارى كتاب الحيض باب مباشرة الحائض ج١ ص٤١٩ مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ج١ ص١٦٨ .
- [٢٣] البخارى كتاب الحيض باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله ج١ ص٤١٧ مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ج١ ص١٦٨ .
- [٢٤] البخارى كتاب الحيض باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض ج١ ص٤١٧ مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ج١ ص١٦٩ .
- [٢٤] البخارى كتاب المناقب باب فضل عائشة رضی الله عنها ج٨ ص١١٠ .
- [٢٥] البخارى كتاب الحبة وفضلها والتحريض عليها باب من أهدي إلى صاحبه وتمرى بعض نسائه دون بعض ج٦ ص١٢٣ .
- [٢٦] صحيح سنن النسائي كتاب الطهارة باب ترك الوضوء من القبلة الحديث رقم ١٦٤ .
- [٢٧] صحيح سنن أبى داود كتاب الصوم باب القبلة للصائم الحديث رقم ٢٠٨٦ .
- [٢٨] فتح البارى ج٥ ص٥٣٨ .
- [٢٩] البخارى كتاب صلاة التراويح باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه ج٥ ص١٨٦ .
- [٢٩] البخارى كتاب التراويح باب لا يدخل إلا الحاجة ج٥ ص١٧٨ .
- [٣٠] البخارى كتاب التراويح أبواب الاعتكاف باب غسل المعتكف ج٥ ص١٧٨ مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله ج١ ص١٦٨ .
- [٣١] بداية المجتهد ج١ ص٢٤٠ . [٣١] بداية المجتهد ج١ ص٢٧١ .
- [٣٢] المحلى ج٧ ص٢٥٤ .
- [٣٣] البخارى كتاب التفسير باب فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ج٩ ص٢٥٢ مسلم كتاب الحج باب جواز التمتع ج٤ ص٤٨ .
- [٣٣] مسلم كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز لإفراد الحج والتمتع والقران ج٤ ص٣٥ .
- [٣٤] البخارى كتاب الاعتصام باب نبى الله ﷺ على التحريم ج١٧ ص١٠٨ مسلم كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز لإفراد الحج والتمتع والقران ج٤ ص٣٦ .
- [٣٥] مسلم كتاب الحج باب حجة النبى ﷺ ج٤ ص٤٠ .
- [٣٦] مسلم كتاب الحج باب ما يلزم من طاف بالبيت وسمى من البقاء على الإحرام وترك التحلل ج٤ ص٥٥ .
- [٣٧] بداية المجتهد لابن رشد ج١ ص٢٧٠ .

[٣٨] البخارى كتاب التهجد بالليل باب من نام أول الليل وأحيا آخره ج٣ ص٢٧٤ مسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل ج٢ ص١٦٧ .

[٣٩] مسلم كتاب الفضل باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له ج١ ص١٧١ .

[٤٠] البخارى كتاب الفضل باب الجنب يتوضأ ثم ينام ج١ ص٤٠٨ مسلم كتاب الحيض باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له ج١ ص١٧٠ .

[٤١] البخارى كتاب الفضل باب الجنب يتوضأ ثم ينام ج١ ص٤٠٩ .

[٤٢] البخارى كتاب الفضل باب الجنب يتوضأ ثم ينام ج١ ص٤٠٨ مسلم كتاب الحيض باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له ج١ ص١٧٠ .

[٤٣] نقلا عن آداب الزفاف للشيخ ناصر الدين الألبانى ص٣٨ (المكتب الإسلامى الطبعة الخامسة) .

[٤٤] المرجع السابق ص٤٠ .

[٤٤أ] صحيح سنن الترمذى أبواب الطهارة باب الجنب ينام قبل أن يفتسل حديث رقم ١٠٣ .

[٤٥] صحيح سنن أبى داود كتاب الطهارة باب الجنب يقيم الحديث رقم ٣٢٢ .

[٤٦] موطأ الإمام مالك كتاب الطهارة باب الوضوء من المذى ج١ ص٤٠ .

[٤٧] البخارى كتاب الوضوء باب الوضوء بالمد ج١ ص٣١٦ مسلم كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة ج١ ص١٧٧ .

[٤٨] البخارى كتاب الفضل باب من بدأ بالحلاب أو الطيب عند الفضل ج١ ص٣٨٣ مسلم كتاب الحيض باب صفة فضل الجنابة ج١ ص١٧٥ .

[٤٩] البخارى كتاب الفضل باب الفضل بالصاع ونحوه ج١ ص٣٧٩ .

[٥٠] مسلم كتاب الحيض باب حكم ضفائر المفتلة ج١ ص١٧٩ .

[٥١] مسلم كتاب الطهارة باب غسل المني من الثوب وفركه ج١ ص١٦٤ .

[٥٢] صحيح سنن أبى داود كتاب الطهارة باب في الرجل يصب منها دون الجماع الحديث رقم ٢٤١ .

[٥٣] البخارى كتاب الوضوء باب غسل المني وفركه ج١ ص٣٤٧ مسلم كتب الطهارة باب غسل المني من الثوب وفركه ج١ ص١٦٥ .

[٥٤] صحيح سنن أبى داود كتاب الطهارة باب الصلاة في الثوب الذى يصب أهله فيه الحديث رقم ٣٥٢ .

[٥٥] البخارى كتاب الصوم باب الصائم يصبح جنباً ج٥ ص٤٠ مسلم كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ج٣ ص١٣٨ .

[٥٦] البخارى كتاب الحيض باب الطيب للمرأة عند غسلها من الحيض ج١ ص٤٢٩ مسلم كتاب الطلاق باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام ج٤ ص٢٠٥ .

[٥٧] البخارى كتاب أبواب الأذان باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد ج٢ ص٢٥٠ مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة ج٢ ص١٣٤ .

[٥٨] البخارى كتاب الطلاق باب الخلع وكيف الطلاق فيه ج١١ ص٣١٩ .

- [٥٨] مسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة باب في خروج الدجال ومكته في الأرض ج٨ ص ٢٠٣ .
- [٥٩] مسلم كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثا لانفقة لها ج٤ ص ١٩٥ .
- [٦٠] مسلم كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثا لانفقة لها ج٤ ص ١٩٥ .
- [٦٠] البخارى كتاب الطلاق باب وأولات الأحمال أجلهن أن يضمن حملهن ج ١١ ص ٣٩٧ .
- [٦١] البخارى كتاب المغازى باب حدثني عبد الله بن محمد الجعفي ج٨ ص ٣١٣ مسلم كتاب الطلاق باب انقضاء عدة التوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل ج٤ ص ٢٠١ .

الفصل الخامس

الآداب الواجبة المتعلقة بالمتعة الجنسية

الآداب الواجبة المتعلقة بالمتعة الجنسية

إن الطريق التي شرعها الله لممارسة المتعة الجنسية ، قد يسرت الأمر على المسلم كل التيسير . وإن الآداب التي قررتها الشريعة لممارسة تلك المتعة ليست قيودا صعبة التطبيق ، إنما هي نوع من التنظيم الواجب لأمر الحياة كلها . وقد وضع الإسلام لكل شيء قواعد وآدابا ، حتى العبادات سواء الفرض منها أو النافلة ، لم تترك دون تنظيم يلتزم به المسلم . ففريضة الصلاة لها وقتها ولها عددها ، وتكره الصلاة ساعة الشروق وساعة الغروب ، ولا صلاة في حضرة طعام ، ولا صلاة لحائض . كذلك فريضة الصيام ، لا يجوز صوم الوصال ، ولا صوم الدهر ، ولا أيام الأعياد ولا يوم الشك ، كما لا يسن لإفراد يوم الجمعة بصيام ، ولا يسن وصل صيام يوم من شعبان برمضان ، ويستحب تكبير الفطر وتأخير السحور . وهكذا شأن الآداب التي سنّها الشارع لممارسة المتعة الجنسية ما هي إلا تنظيم محكم ، ليأخذ التيسير الذي شرعه الله لعباده طريقه الصحيحة ، ويحقق هدفه المنشود .

أولا : آداب لممارسة المتعة الحلال

● اجتناب المباشرة الكاملة مع الصيام والاعتكاف والإحرام :

اجتناب الجماع حال الصيام :

قال تعالى : ﴿ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾^(١)

(سورة البقرة الآية : ١٨٧)

والآية تفيد حل الجماع بالليل دون النهار .

(١) الرفت إلى نساءكم : المقصود هنا الجماع .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

(سورة البقرة الآية : ١٨٧)

اجتناب الجماع حال الإحرام :

قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

(سورة البقرة الآية : ١٩٧)

● اجتناب المباشرة الكاملة خلال فترة الحيض :

قال تعالى : ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

(سورة البقرة الآية : ٢٢٢)

والنهي عن القرب في الآية مقصود به المباشرة الكاملة أي الجماع . أما المباشرة الجزئية دون الجماع فطيبة حلال ، وقد سبق أن ذكرنا أدلة ذلك .

● اجتناب المباشرة الكاملة في الدُّبُر :

— عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « اتق الدبر والحیضة » [٩]

[رواه الترمذی]

— عن أمي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « ملعون من أتى امرأته في دبرها .

[رواه أبو داود] [٢]

— عن خزيمة بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ : إن الله لا يستحي من الحق — ثلاث مرات — لاتأتوا النساء في أدبارهن .

[رواه ابن ماجه] [٣، ٤]

— عن سعيد بن يسار قال : قلت لابن عمر : إنا نشترى الجوارى فنَحْمُضُهن قال : وما التحميض ؟ قلت : نأتين في أدبارهن . قال : أف ، أوفعل ذلك مسلم ؟!

[رواه النسائي] [٥]

● كتمان أسرار المباشرة الزوجية :

— عن أمي سعيد الخدري : قال رسول الله ﷺ : إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يُفْضِي إلى امرأته^(١) وتُفْضِي إليه ، ثم ينشر سرها . [رواه مسلم] [٦]

— عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ ، والرجال والنساء يعود ، فقال : لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله ، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ؟! فَأَرَمَ^(٢) القوم ، فقلت : إى والله يا رسول الله إنهن ليفعلن ، وإنهن ليفعلون ، قال : فلا تفعلوا ، فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون .

[رواه أحمد] [٧]

وقد بين ابن القيم بعض الآثار السيئة التي تشمرها الغفلة عن مثل هذا الأدب فقال : : حُرِّمَ الشياح وهو المفاخرة بالجماع لأنه ذريعة إلى

(١) يفضي إلى امرأته : أى يصل إليها بالمباشرة والجماع .

(٢) أرم القوم : أى سكوا ولم يجيوا .

تحريك النفوس والتشبه ، وقد لا يكون عند الرجل من يغنيه من الحلال
فيتخطى إلى الحرام [٨].

● الغيرة على العرض :

إن ممارسة المتعة الحلال خصوصية من خصوصيات الزوجين ، فأى
ممارسة من أية درجة من أحد الزوجين خارج نطاق الزواج ، من الطبيعى ،
بل من الواجب أن تثير غيرة الطرف الآخر ، وهذا أمر فطرى فطر الله
البشر عليه .

والغيرة غيرتان ، غيرة فى رية وهذه غيرة سوية معتدلة ، تعين على
صيانة العرض وحمايته من الابتذال أو الاعتداء ، وهى تعتبر من الأخلاق التى
ينبغى أن يتحلى بها المسلم . وغيرة محظورة لأنها فى غير رية ، فهى مسرفة
مريضة تعذب النفس ، وتشر إساءة الظن بالمؤمنين واتهامهم بالباطل ، وقد
تذهب بالعقل فيكون الاعتداء على الأبرياء ، وفوق ذلك فهى تعطل الانطلاق
النشط فى الحياة . وصدق رسول الله ﷺ :

– فعن جابر بن عتيك : أن النبى ﷺ كان يقول : من الغيرة ما يحب الله ،
ومنها ما يبغض الله ؛ فأما التى يحبها الله فالغيرة فى الرية ، وأما التى يبغضها
الله فالغيرة فى غير رية .

[رواه أبو داود] [٩]

وتشر الغيرة السوية قوة وجراً فى الدفاع عن العرض ، إذا وقع عليه
اعتداء ، والله سبحانه الذى أحب هذه الغيرة للمسلم ، قد أكرمه بجزاء
الشهداء إذا هو قتل فى سبيل الدفاع عن العرض :

– عن سعيد بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : من قُتِلَ دون ماله فهو
شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ،
ومن قتل دون دمه فهو شهيد .

[رواه النسائى] [١٠]

وكما أن الإسراف في الغيرة ووقوعها من غير موجب - أى في غير رية - يعد مرضاً نعوذ بالله تعالى منه ، فكذلك نقص الغيرة عند تحقق موجباتها - أى في الرية - يعد مرضاً أيضاً ، ونقصاً في خلق المسلم والمسلمة وصدق رسول الله ﷺ :

- فعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة ، العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة ، والدُّبُوثُ^(١) .

[رواه النسائي^[١١]]

ثانيا : آداب تعين على اجتناب المتعة الحرام

● اجتناب ذكر تفاصيل جمال المرأة :

- عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال النبي ﷺ : لا تبأشر المرأة المرأة فتنتعها لزوجها كأنه ينظر إليها .

[رواه البخارى^[١٢، ١٣]]

قال ابن القيم : ولا يخفى أن ذلك سد للذريعة ، وحماية عن مفسدة وقوعها في قلبه ، وميله إليها بحضور صورتها في نفسه ، وكم من أحب غيره بالوصف قبل الرؤية^[١٤] .

● صيانة العورة ، فلا يُسمح برؤيتها ولا بلمسها :

(إلا للزوجين)

قال تعالى : ﴿ فَسَوَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ بَيْتِهِمَا ﴾ (سورة الأعراف الآية : ٢٠)

وقال تعالى : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ (سورة طه الآية : ١٢١)

(١) الدبوث : الذى لا يفار على أهله ولا ينجل .

وقال تعالى : ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤَرِّى سَوَاءَ تَكْمُ وَرَيْسًا ﴾

(سورة الأعراف الآية : ٢٦)

وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْمُزُوا الْحِلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّفُوتٍ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَفْذِنُوا كَمَا اسْتَفْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

(سورة النور الآيات : ٥٨ ، ٥٩)

حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

- عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة ، (أى لما أعيد بناء الكعبة) وعليه إزاره ^(١) ، فقال له عباس عمه : يا ابن أخى لو حلت إزارك ، فجعلته على منكبك دون الحجارة . قال : فحله فجعله على منكبه فسقط مغشيا عليه . قال : فما رُئى بعد ذلك اليوم عريانا .

[١٦ ، ١٥] [رواه البخارى ومسلم]

[وهذه رواية مسلم]

- عن المسور بن مخرمة قال : أقبلت بحجر أحمله ثقيل وعلى إزار خفيف ، قال : فانحل إزارى ومعى الحجر ، لم أستطع أن أضعه حتى بلغت به موضعه فقال رسول الله ﷺ : ارجع إلى ثوبك فخذهُ ولا تمشوا عراة .

[١٧] [رواه مسلم]

- عن أنى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضى الرجل إلى الرجل ^(٢) فى ثوب واحد ، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد .

[١٨] [رواه مسلم]

(١) الإزار : ثوب يغطى النصف الأسفل من البدن .

(٢) يفضى الرجل إلى الرجل : أى يباشر بدنه بدنه .

قال النووي : في الحديث تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل ، والمرأة إلى عورة المرأة ، وهذا لا خلاف فيه . وكذلك نظر الرجل إلى عورة المرأة ، والمرأة إلى عورة الرجل حرام بالإجماع . ونبه عليه بنظر الرجل إلى عورة الرجل على نظره إلى عورة المرأة ، وذلك بالتحريم أولى . وهذا التحريم في حق غير الأزواج [١٩] .

● اجتناب إرسال النظر إلى الجنس الآخر :

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ رِّبِّمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [٣٠] وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿

(سورة النور الآيتان : ٣٠ - ٣١)

قال عياض : غرض البصر يجب على كل حال في أمور العورات وأشباهها ، ويجب مرة على حال دون حال فيما ليس بعورة [٢١٠، ٢١١] .

وقال ابن عبد البر : وجائز أن ينظر إلى ذلك منها (أى الوجه والكفين) كل من نظر إليها بغير رية ولا مكروه ، وأما النظر للشهوة فحرام تأملها من فوق ثيابها لشهوة ، فكيف بالنظر إلى وجهها مسفرة ! [٢٢، ٢٣] .

● اجتناب المصافحة بين الجنسين في عامة الأحوال :

مر بنا في الأدب السابق قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ . وإذا كنا أمرنا بالغض من أبصارنا رجالا ونساء لأن البصر وسيلة لإثارة الشهوة ، فالتقبض من أيدينا عن المصافحة في عامة الأحوال أولى ، لأن اللمس أكثر إثارة للشهوة من النظر .

وإذا كان الرسول ﷺ قد تنزه عن مصافحة النساء في المباينة ، فهذا لا يقطع بالتحريم . ثم إن هناك أحاديث تفيد أنه ﷺ سمح لبعض النساء أحيانا بلمس يده . وهذا يدعونا إلى اجتناب المصافحة في عامة الأحوال ، ولكن لا حرج إن وقعت المصافحة في أحوال خاصة تؤمن فيها الفتنة (*) .

(*) انظر تفصيل هذا الموضوع في الجزء الثاني من هذا الكتاب من ص ٨٩ إلى ٩٣ .

● اجتناب هو الجنسين ولعبيهم معا :

قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (سورة الأحزاب الآية : ٣٢)

إن الآية تشير إلى أن موضوع الحديث ينبغي أن يكون في حدود المعروف ولا يتضمن منكرا ، ولهذا قلنا اجتناب مجالات اللهو واللعب ، أى الاختصار على المجالات الجادة ، لأن الجدل بين الرجال والنساء معروف أما اللهو واللعب فمنكر . ولا يتناقى مع جدية المجال فيها تبسُّط . ومثال ذلك ما جاء عن أنى موسى رضى الله عنه ، قال : ... ودخلت أسماء بنت عُمَيْسٍ ... على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة . وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عُمَيْسٍ . قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم ...

[رواه البخارى ومسلم] [٢٤]

● اجتناب المزاحمة بين الجنسين فى الطرق وفى المجالس :

- عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا سلّم (أى فى ختام الصلاة) قام النساء حين يقضى تسليمه ومكث يسيرا قبل أن يقوم . قال ابن شهاب : فأرى والله أعلم أن مكثه لكى ينفذ النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم .

[رواه البخارى] [٢٥]

ويؤكد هذا المعنى قوله ﷺ : « لو تركنا هذا الباب للنساء... » [٢٦]. وكذلك ماورد عن رسول الله ﷺ أنه خرج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء : « استأخرن فليس لكن أن تحقّقن الطريق^(١) ، عليكن بحافات الطريق » [٢٧].

(١) تحقّقن الطريق : تتوسطن الطريق .

وكما تجتنب المزاحمة في الطرق ، تجتنب كذلك في أماكن الاجتماعات العامة ، بتخصيص حيز للنساء في جانب من جوانب مكان الاجتماع ، أو بعمل ترتيب آخر يصون من المزاحمة ، أى من تقارب الأبدان والتقاء الأنفاس .

● اجتناب الخلوة بالجنس الآخر :

— عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم .

[رواه البخارى] [٢٨]

قال الحافظ ابن حجر :... فيه منع الخلوة بالأجنبية وهو إجماع . لكن اختلفوا هل يقوم غير المحرم مقامه في هذا كالنسوة الثقات ؟ والصحيح الجواز لضعف التهمة به [٢٩] .

ويخرج عن مفهوم الخلوة المحظورة ما يأتي :

— الخلوة في حضرة الناس عند الحاجة .

— خلوة الرجلين والثلاثة بالمرأة عند الحاجة .

— خلوة الرجل بمجموعة من النساء .

قال النووي :... وإن أم (الرجل) بأجنبيات وخلا بهن ... قطع الجمهور بالجواز ... ودليله الحديث « لا يدخلن رجل بعد يومى هذا على مُغَيِّبَةٍ ^(١) إلا ومعه رجل أو إثنان » ولأن النساء المجتمعات لا يتمكن الرجل — في الغالب — من مفسدة يبعضهن في حضرتهم [٢٩] .

● اجتناب النساء إثارة شهوة الرجال :

« أ » باللباس الفاضح :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبْرَحْنَ ^(٢) تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(سورة الأحزاب الآية : ٣٣)

(١) مغيبة : من غاب عنها زوجها .

(٢) لا تبرجن : التبرج إظهار الزينة ومحاسن المرأة للرجال .

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

(سورة النور الآية : ٣١)

« ب » بالمشية الخلية :

قال تعالى ﴿وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ .

(سورة النور الآية : ٣١)

« ج » بالصوت الرحيم :

قال تعالى : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ^(١) فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(٢)

(سورة الأحزاب الآية : ٣٢)

ثالثا : آداب تراعى إثر الوقوع في متعة حرام

● الستر على النفس وعلى الغير :

وهذا الأدب يلفتنا إلى مدى سمو شرعنا الكريم وسماحته ، إذ يظل يرعى عباد الله المؤمنين حتى في حال معصيتهم لله ، ويخفف عنهم ويختار لهم الستر والأمان ، في حال انحرافهم عن الصراط المستقيم . صحيح أنه على كل من المسلم والمسلمة أن يتقى الله ويجاهد نفسه حتى يظل دائما في دائرة الحلال بعيدا عن الحرام . ولكن إذا حدث أن وقع في معصية واستمتع بطريق حرام ، سواء أكانت المعصية من اللطم كالنظرة والقبلة واللمسة ، أم كانت من الكبائر أي الزنا ، إذا وقع في شيء من ذلك فينبغي أن يعجل بالتوبة ، وعليه أن يعجل بالتكفير عن ذنبه ، وذلك عن طريق عمل الخير والاستزادة من الحسنات ، فإن الحسنات يذهبن السيئات :

— فعن عبد الله بن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبله ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له . فنزلت ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ

(١) لا تخضعن بالقول : لا تليقن في القول .

(٢) في قلبه مرض : أي ضعف وتشوش للفجور .

(٣) زلفا من الليل : الزلف جمع زلفة وهي الطائفة من الليل .

أَلْحَسَنَتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴿ فقال الرجل : أَلَيْ
هذه يا رسول الله ؟ قال : لمن عمل بها من أمتي .
[رواه مسلم] [٣٠]

وفي الوقت نفسه فإن على المسلم أن يستر على نفسه ، وهذا النوع من
الستر قد حض عليه شرعنا الكريم ، وكذلك حض من رآه أن يستر عليه
ولا يفضحه :

- عن عبد الله قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني عاجلت
امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها مادون أن أمسها ، فأنا هذا فاقض
في ما شئت . فقال له عمر : لقد سترك الله لو سترت نفسك . قال فلم يرد
النبي ﷺ شيئا . فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبي ﷺ رجلا دعاه وتلا
عليه هذه الآية ﴿ أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات
يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ . فقال رجل من القوم :
يا نبى الله هذا له خاصة ؟ قال : بل للناس كافة .
[رواه مسلم] [٣١]

- عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ وهو فى
المسجد فناداه فقال : يا رسول الله ، إني زني ، فأعرض عنه حتى ردد
عليه أربع مرات (وفى رواية مسلم قال رسول الله ﷺ : ويحك ارجع
فاستغفر الله وتب إليه ، فرجع غير بعيد ...) .
[رواه البخارى ومسلم] [٣٢]

- عن سعيد بن المسيب أن رجلا من أسلم جاء إلى أنى بكر الصديق فقال
له : إن الآخر زنى فقال له أبو بكر : هل ذكرت هذا لأحد غيرى ؟
فقال : لا . فقال له أبو بكر : فتب إلى الله واستر بستر الله ، فإن الله
يقبل التوبة عن عباده .

[رواه مالك] [٣٣]

- عن سعيد بن المسيب أنه قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لرجل من
أسلم يقال له هزال : يا هزال لو سترته بردائك لكان خيرا لك .
[رواه مالك] [٣٤]

قال الحافظ ابن حجر : وقع في مرسل سعيد بن المسيب عند مالك والنسائي ... « أن رجلا من أسلم قال لأبي بكر الصديق : إن الآخر زنى ، قال : فنتب إلى الله واستتر بستر الله . ثم أتى عمر كذلك ، فأتى رسول الله ﷺ فأعرض عنه ثلاث مرات ... » ويؤخذ من قضيته أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته ، أن يتوب إلى الله تعالى ويستتر نفسه ولا يذكر ذلك لأحد ، كما أشار إليه أبو بكر وعمر على ما عزم ، وأن من اطلع على ذلك يستتر عليه بما ذكرنا ، ولا يفضحه ولا يرفعه إلى الإمام كما قال الإمام ﷺ في هذه القصة : « لو سترته شوبك لكان خيرا لك » . وبهذا جزم الشافعي رضي الله عنه فقال : أحب لمن أصاب ذنبا فستره الله عليه أن يستتره على نفسه ويتوب . واحتج بقصة ما عزم مع أبي بكر وعمر [٣٥] .

وورد في تفسير الطبري : « أتى رجل عمر فقال : إن ابنة لي كانت وُثِدَت في الجاهلية ، فاستخرجتها قبل أن تموت ، فأدركت الإسلام ، فلما أسلمت أصابت حدا من حدود الله ، فعمدت إلى الشفرة لتذبح بها نفسها ، فأدركتها وقد قطعت بعض أوداجها (الأوداج : عروق تكتنف الحلقوم) فداويتها حتى برئت . ثم إنها أقبلت بتوبة حسنة ، فهي تُحْطَبُ إليّ يا أمير المؤمنين فأخبر من شأنها بالذي كان ؟ فقال عمر : أتخبر بشأنها ؟! تعمد إلى ما ستره الله فتبديه ! والله لئن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا^(١) لأهل الأمصار . بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة » [٣٦] .

وورد في كتاب أحكام النساء لابن الجوزي : « إذا زنت المرأة وجب عليها أن تتوب مما فعلت ، وتتعلل على زوجها فتمتنع من أن يقربها إلى أن تستبرىء نفسها ... وعن الإمام أحمد بن حنبل قال : من فجر بامرأة ذات بعل لم يكن الزوج قد اطلع على ذلك ، فلا تعلم زوجها ، بل تستر على نفسها وتتوب وتستغفر ، ولتهب صداقها لزوجها » [٣٧] .

وينبغي لمن رأى أو علم بوقوع المعصية ، أن ينصح الواقع في الإثم ، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، هذا مع الستر عليه . بل ينبغي أيضا أن يعينه على اجتناب الوقوع في معصية جديدة ، وأن يسر له طريق الحلال إذا كان في مقدوره ذلك .

(١) نكالا : عبرة وعظة .

ومن باب الستر على النفس وعلى الغير ، تزوج الرجل بالمرأة بعد أن يزني بها ، وفي هذا كلام نفيس ورد في المدونة الكبرى للإمام مالك :

قلت : أرأيت الرجل إذا زنى بالمرأة أيصلح له أن يتزوجها ؟ قال مالك : نعم يتزوجها ، ولا يتزوجها حتى يستبرىء رحمها من مائه الفاسد ... عن شعبة مولى ابن عباس أنه سمع رجلا يسأل ابن عباس فقال : كنت أتبع امرأة فأصبت منها ما حرم الله عليّ ، ثم رزق الله التوبة منها فأردت أن أتزوجها ، فقال الناس : إن ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾ . فقال ابن عباس : ليس هذا موضع هذه الآية (*) ، انكحها فما كان فيها من إثم فعليّ . قال ابن وهب : وأخبرني رجال من أهل العلم عن معاذ بن جبل ، وجابر بن عبد الله ، وابن المسيب ، ونافع ، وعبد الله بن مسعود ، وعمر بن عبد العزيز ، وحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، أنهم قالوا : لا بأس أن يتزوجها . قال ابن عباس : كان أوله سفاحا وآخره نكاحا ، ومن تاب تاب الله عليه . وقال جابر وابن المسيب : كان أول أمرهما حراما وآخره حلالا . وقال ابن المسيب : لا بأس به إذا هما تابا وأصلحا وكرها ما كانا عليه . وقرأ ابن مسعود : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ فلم نر به بأساً [٣٨] .

● اجتناب المجاهرة :

— عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل أمتى معافى (١) إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه .

[رواه البخاري ومسلم] [٣٩]

(١) معافى : عرضة للصفح عن زلاته .

(*) قال الطبري في تفسيره : وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب قول من قال في آية : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ ، عنى بالنكاح في هذا الموضع الوطء (أى الوطء ساعة الزنا) ... وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلّمات حرام (نكاحها) على كل مشرك وأن الزاني من المسلمين حرام عليه (نكاح) كل مشركة من عبدة الأوثان .

ورد في فتح الباري : المجاهر الذي أظهر معصيته وكشف ماستر الله عليه فيحدث بها ... الذي يجاهر بالمعصية يكون من جملة المُجَان، والجحانة مذمومة شرعا وعرفا ، فيكون الذي يظهر المعصية قد ارتكب محذورين : إظهار المعصية وتليسه بفعل المجان ... قال ابن بطال : في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحى المؤمنين ، وفيه ضرب من العناد لهم . وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف لأن المعاصى تذل أهلها ... وقد ذكر النووي أن من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به دون ما لم يجاهر به^[٤٠] وقال ابن القيم :... كان المجاهرون خارجين من عافية الله ، وهم يتحدثون بما فعلوه من المعاصى ، فإن السامع تتحرك نفسه إلى التشبه ، وفي ذلك من الفساد المنتشر ما لا يعلمه إلا الله^[٤١].

● اجتناب القذف إلا بعد توافر أربعة شهداء :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾
(سورة النور الآية : ٤)

نزلت هذه الآية بمناسبة حديث الإفك الذى رमित به عائشة رضى الله عنها . ولكن حكم القذف الوارد فى الآية حكم عام ، فقد يظن المسلم أن فى فضح آخر وكشف فسقه الذى رآه بنفسه مصلحة ما . لكن فى هذه الحال هناك أدب يحكمه ، فلا يجوز إعلان ذلك ما لم يتوافر أربعة شهداء ، يرون الفعل رأى العين ، وإلا أقيم عليه هو حد القذف أى ثمانون جلدة .

● اجتناب ترديد الشائعة :

قال تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَوَهِىَ كَمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ١١٥ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَشَرٌ هَذَا بَشَرٌ عَظِيمٌ ﴾
(سورة النور الآيتان ١٥ ، ١٦)

هوامش الفصل الخامس

تنبيه :

(يرجى ملاحظة. أن الجزء والصفحة المذكورين بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح البخارى مرجعهما كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى طبعة مصطفى الحلبي - القاهرة .

أما الجزء والصفحة المذكوران بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح مسلم فمرجعهما الجامع الصحيح للإمام مسلم طبعة (استانبول) .

[١] صحيح سنن الترمذى أبواب فضائل القرآن من سورة البقرة الحديث رقم ٢٣٨١ .

[٢] صحيح سنن أبى داود ، باب فى جامع النكاح الحديث رقم ١٨٩٤ .

[٤،٣] صحيح سنن ابن ماجه كتاب النكاح باب النہى عن إتيان النساء فى أدبارهن الحديث رقم

١٥٦١ .

[٥] روله الخطاى فى غرب الحديث (نقلا عن آداب الزفاف للشيخ ناصر الدين الألبانى ص ٢٧ قال

الشيخ : وسنده صحيح) .

[٦] مسلم كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة ج ٤ ص ١٥٧ .

[٧] نقلا عن آداب الزفاف للشيخ ناصر الدين الألبانى ص ٦٣ (المكتب الإسلامى الطبعة الخامسة) .

[٨] إعلام الموقعين ج ٣ ص ١٥٣ .

[٩] صحيح سنن أبى داود كتاب الجهاد باب فى الخيلاء فى الحرب الحديث رقم ٢٣١٦ .

[١٠] صحيح سنن النسائى كتاب تحريم الدم باب من قاتل دون دينه الحديث رقم ٣٨١٧ .

[١١] صحيح سنن النسائى كتاب الزكاة باب المنان بما أعطى الحديث رقم ٢٤٠٢ .

[١٢] البخارى كتاب النكاح باب ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة ج ١١ ص ٢٤٧ مسلم

كتاب السلام باب منع الخنثى من الدخول على النساء الأجانب ج ٧ ص ١١ .

[١٣] البخارى كتاب النكاح باب لا تبأشر المرأة المرأة فتنتعها لزوجها ج ١١ ص ٢٥٢ .

[١٤] إعلام الموقعين ج ٣ ص ١٤٩ .

- [١٦،١٥] البخارى كتاب الحج باب فضل مكة وبنائها ج٤ ص١٨٤ مسلم كتاب الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة ج١ ص١٨٤ .
- [١٧] مسلم كتاب الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة ج١ ص١٨٤ .
- [١٨] مسلم كتاب الحيض باب تحريم النظر إلى العورات ج١ ص١٨٣ .
- [١٩] شرح صحيح مسلم للنووى ج٤ ص٣٠ .
- [٢١،٢٠] التاج والإكليل مختصر خليل للعبدى المشهور بالمواق ج١ ص٤٩٩ (على هامش كتاب مواهب الجليل لشرح مختصر خليل) .
- [٢٣،٢٢] القمهد لابن عبد البر ج٦ ص٣٦٤ ، ٣٦٥ .
- [٢٤] البخارى كتاب المغازى باب غزوة خيبر ج٩ ص٢٦ مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل جعفر بن أبى طالب وأسماء بنت عميس ج٧ ص١٧٢ .
- [٢٥] البخارى كتاب أبواب صفة الصلاة باب التسليم ج٢ ص٤٦٧ .
- [٢٦] ورد فى صحيح الجامع الصغير تحت رقم ٥١٣٤ .
- [٢٧] ورد فى سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى رقم ٨٥٦ .
- [٢٨] البخارى كتاب النكاح باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو عزم والدخول على المغيبة ج١١ ص٢٤٦ .
- [٢٩] فتح البارى ج٤ ص٤٨٨ .
- [٢٩] المجموع شرح المذهب ج٤ ص١٧٦ .
- [٣٠] مسلم كتاب التوبة باب قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات ج٨ ص١٠١ .
- [٣١] مسلم كتاب التوبة باب قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات ج٨ ص١٠٢ .
- [٣٢] البخارى كتاب المغازى من أهل الكفر والردة باب لا يرحم المجنون والمجنونة ج١٥ ص١٣٢ .
- مسلم كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا ج٥ ص١١٩ .
- [٣٣] الموطأ كتاب الحدود باب ما جاء فى الرجم ج٢ ص٨٢١ .
- [٣٤] الموطأ كتاب الحدود باب ما جاء فى الرجم ج٢ ص٨٢٠ .
- [٣٥] فتح البارى ج٥ ص١٣٣ ، ١٣٥ .
- [٣٦] انظر تفسير آية : والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتينهم من أجورهن ، سورة المائدة الآية : ٥ .
- [٣٧] كتاب أحكام النساء لابن الجوزى ص٦٧ .
- [٣٨] المتنونة الكبرى للإمام مالك ج٢ ص٢٤٩ ، ٢٥٠ .
- [٣٩] البخارى كتاب الأدب باب ستر المؤمن على نفسه ج١٣ ص٩٧ مسلم كتاب الزهد والرقائق باب النهى عن هنك الإنسان ستر نفسه ج٨ ص٢٢٤ .
- [٤٠] فتح البارى ج١٣ ص٩٨ ، ٩٩ .
- [٤١] إعلام الموقعين ج٣ ص١٥٣ .

الفصل السادس

الشرية وفنون الاستمتاع

الشرعة وفنون الاستمتاع

مقدمات :

قبل الشروع في الحديث عن فنون الاستمتاع ، يلزم تجلية بعض الأوهام الباطلة التي راجت في هذا الشأن ، كما يلزم بيان ما يصيب المسلم والمسلمة من ثواب حين ممارسة المتعة الحلال باعتبارها عملا صالحا يثاب المرء عليه . كما يلزم أيضا بيان وجوه التكامل بين كل من عاطفة الحب وبين فنون الاستمتاع .

أولا : أوهام باطلة تحاصر الاستمتاع الطيب وتطارده :

ينبغي أن نزيل غشاوة الضلالة التي أقامها الانحراف عن شرع الله في عصور التخلف الطويلة ، بتأثير عوامل كثيرة منها بعض مدارس التصوف المنحرفة التي تسربت إليها آثار من الرهبانية المبتدعة من ناحية ، ومن فلسفات الشرق القديمة من ناحية . وقد أثمر هذا الانحراف أوهاما وتصورات تلبس ثوب الزهد والتعفف ، لكنه زهد أخرق وتعفف باطل ، فتحقر تلك التصورات من شأن المتعة الجنسية ، وتزهّد فيها وكأن قصدها لا يليق بكرام الرجال وكرائم النساء . وإن كان لابد من المباشرة الزوجية لضرورة النسل ، فلتكن المباشرة على استحياء وعلى حرف ، وبشرط توفر الماء للغسل . وسنحاول فيما يأتي إزالة الشبهات التي ساندت تلك الأوهام .

الوهم الأول : المباشرة الزوجية لطلب الولد فحسب :

إن ارتباط المتعة الجنسية في الشرائع الإلهية بالزواج ، وبتكوين أسرة تنجب بنين وبنات ، قد ساعد على توهم أن المباشرة الزوجية ، ما شرعت إلا لابتغاء النسل وحفظ النوع ، وأن المتعة فيها إنما وضعها الله للتشجيع على تحقيق هذا الهدف وحسب . وقد غفل أولئك عن أن الدافع الجنسي عند الحيوان لا ينشط - في الأعم الأغلب - بل لا يشعر به الحيوان ولا يسعى في ممارسته إلا في موسم معين ، ولغرض محدد هو الإخصاب ، أي لحفظ النوع فحسب ، ولو كان هذا الدافع كذلك بالنسبة للإنسان ، لجعله الله كما هو في الحيوان دون زيادة . وقد يقولون : إن الله إنما أراد بتلك الزيادة - أي اشتها المتعة في غير موسم الإخصاب - نوع ابتلاء للإنسان فينظر أيطيع أم يعصى . وهذا القول كان يمكن أن نعتبره مقبولا ، لو أن أوامر الدين جاءت تحض الإنسان على الصبر على هذا البلاء ، وتأمره أن يكف

عن طلب المتعة بعد تحقق الحمل ، إلى أن تتم الولادة ، وتستعد المرأة لحمل جديد . لكن واقع الحال أن ليس هناك نص واحد في شريعتنا يشير من قريب أو من بعيد إلى هذا الأمر ، بل العكس هو الصحيح ، فالنصوص متكاثرة في القرآن والسنة - كما رأينا وكما سنرى - على السماح بالمباشرة الزوجية بغرض الاستمتاع في كل الظروف ، حتى في ليالي رمضان شهر الصيام والقيام . وقد كانت المباشرة محظورة أول الأمر ، ووقعت عدة مخالفات لهذا الحظر ، ثم أذن الله الرحيم بالمباشرة . قال تعالى : ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ ^(١) إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ^(٢) فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾

(سورة البقرة الآية : ١٨٧)

فهل اختان الصحابة أنفسهم في ليالي رمضان الأولى طلباً للولد ، وهو أمر يمكن تأجيله أياماً معدودات دونما حرج ؟! نحسب أن الخيانة للنفس قد وقعت من صحابة كرام بدافع طلب المتعة ، ونحسب أن الله قد أحل ما كان محظوراً رفقا بعباده ، الذين قد تشتد بهم الرغبة في الاستمتاع ، وفي ظروف يستحيل معها قصد الانجاب ، مثل فترات الحيض والحمل ^(*) . بل بعض النصوص لا يقف عند حد السماح وإنما يخطو نحو الحض والتشجيع ، وبعضها يخطو أكثر من ذلك ، أى نحو الدعوة إلى الاستزادة والتفنن في الاستمتاع . ونكتفى هنا بتدبر نص واحد يضع المتعة الجنسية في مكانها الصحيح . وهو حديث سبقت الإشارة إليه عدة مرات :

- عن أنى ذر أن رسول الله ﷺ قال : وفي بُضْع ^(٣) أحدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر .

[رواه مسلم ^(١)]

لتأمل التوجيه النبوي ، إنه تكريم لممارسة المتعة الحلال واعتبارها من الصالحات التي يثاب المرء على فعلها . ثم لتأمل ثانية صدق الصحابة وحسن إدراكهم ، هم لم يحولوا المباشرة الزوجية عن هدفها الذي يقصدونه - في معظم الأحيان - وهو

(١) الرفث إلى نساءكم : المقصود هنا الجماع (٢) تختانون أنفسكم : تخونون أنفسكم .

(٣) بضع : البضع هنا كتابة عن الجماع .

(*) بل وفي ظروف يقصد عندها قصداً اجتناب الانجاب ؛ كما سبق بيانه تحت عنوان : (إباحة الاستمتاع مع

نحاشي الحمل) انظر ص ١٠٦ .

هدف الاستمتاع ، لم يؤولوا التوجيه النبوى تأويلا بعيدا عن الفطرة ، لم يقولوا : إن الرسول ﷺ يقصد هنا من كان قصده طلب الولد وكثرة الذرية ، لتحقيق مباهاة الرسول ﷺ بأئمة الأئمة الأخرى يوم القيامة كما ورد في الحديث الآتى :
 — فعن معقل بن يسار ان رسول الله ﷺ قال : تزوجوا الولود الودود ، فإنى مكاثركم .

[رواه النسائي] [٢]

بل قالوا : أياقى أحدنا شهوته ... (أى متعته) ... ثم لتأمل مرة ثالثة ، كيف يؤكد الرسول ﷺ أن ميل الإنسان للمتعة الجنسية وطلبه لها من أمور الفطرة ، ومهمة الدين ليست مقاومة هذه الفطرة ، بل تنظيم إشباعها لتكون فى دائرة الحلال الطيب . فإذا تحرى المسلم والمسلمة هذا التنظيم ووقفا عند حدوده ، فقد تقربا إلى الله بعمل صالح ، وفى الوقت نفسه هما يستمتعان أكمل ما يكون الاستمتاع .
 وخلاصة الامر أن الإسلام يقرر أن المباشرة الزوجية هى للمتعة دائما ، ولطلب الولد أحيانا . ولهذا لا نتعجب أن نرى الرسول القدوة ، معلم الناس الخير ، يمضى فى ممارسة المتعة الجنسية على ذاك النحو الذى سنعرض له فى الفصل السابع .

الوهم الثانى : التعفف عن أية مباشرة للمرأة الحائض :

وهذا الوهم مرتبط بالوهم الأول ، بل هو فى رأينا نتيجة حتمية له ، إذ ما دامت المباشرة لا تقصد إلا لطلب الولد ، والحائض غير مهيأة لتلقى بذر الرجل ، فضلا عن حظر الإيلاج مدة الحيض ، فلا داعى إذا للمباشرة الخفيفة ، لأنها ستكون فى هذه الحال مجرد الاستمتاع ، مما ينبغى أن يتعفف عنه الرجل المؤمن والمرأة المؤمنة . وقد ساعد على تثبيت هذا الوهم الحديث الضعيف الآتى :

— عن معاذ بن جبل قال : سألت رسول الله ﷺ عما يحل للرجل من امرأته وهى حائض ؟ فقال : ما فوق الإزار^(١) ، والتعفف عن ذلك أفضل .

[رواه أبو داود] [٣]

(١) الإزار : ثوب يغطى النصف الأسفل من البدن .

وهذا الحديث الضعيف يعارض أحاديث كثيرة صحيحة - سبق أن أوردناها في الفصل الرابع (*) - ونكتفي هنا بالإشارة إلى واحد منها ، ورد فيها قوله ﷺ : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » (١) ، [٤] .

الوهم الثالث : ممارسة المباشرة الزوجية على استحياء :

وهو كسابقه مرتبط بالوهم الأول ، فما دام المقصود هو طلب الولد لا غير ، وهذا يتحقق بقذف بذر الرجل إلى رحم المرأة ، فلتتم المباشرة على استحياء ، أى مع أقل قدر ممكن من كشف العورات وأقل قدر ممكن من رؤيتها . لذا كان الأفضل إن لم يكن الواجب ، أن يتم الأمر - أى أمر المباشرة - في ظلمة الليل ، حيث يكون هذا أعون على عدم جرح حياء الزوجين . وإن وقع الأمر في النهار ، كان الواجب أن يستتر الزوجان ، كل منهما عن نظر صاحبه ، فلا يتجردا من كل ثيابهما ، وأن يفضا من أبصارهما أيضا حتى لا يرى أحدهما عورة الآخر . وفي كل الأحوال ينبغي أن يتم الأمر في ما يشبه الصمت أى في أقل قدر من الكلام . ودعما لهذا التصور راجت أحاديث ضعيفة كثيرة ، منها :

- عن أنى هريرة قال قال الله ﷻ : إذا أتى أحدكم أهله فليستر ، فإنه إذا لم يستر استحييت الملائكة وخرجت ، وحضر الشيطان ، فإذا كان بينهما ولد كان للشيطان فيه نصيب .

[رواه الطبراني] [٥]

- عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : إذا أتى أحدكم أهله فليستر ولا يتجردان تجرد العيرين (٢) .

[رواه الطبراني] [٦]

(*) انظر ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(١) النكاح : المقصود هنا الجماع .

(٢) تجردان تجرد العيرين : يتعريان تعري الحمارين .

— عن عائشة قالت : ما نظرت أو رأيت فرج رسول الله ﷺ قط
[رواه ابن ماجه] [٧]

كما راجت مجموعة أحاديث موضوعة ومنها :

— عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته
فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى .
[رواه ابن عدى] [٨]

— عن أنى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا جامع أحدكم فلا ينظر إلى
الفرج ، فإنه يورث العمى ، ولا يكثر الكلام فإنه يورث الخرس .
[رواه الديلمى] [٩]

ويعارض هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة أحاديث صحيحة (*) نكتفى هنا
بذكر حديث واحد منها :

— عن حكيم عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله عوراتنا مانأتى منها وما نذر ؟
قال : احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك .
[رواه أبو داود] [١٠]

قال ابن حزم : ومن العجيب أن يبيع بعض المتكلمين من أهل الجهل ، وطء
الفرج ويمنع من النظر إليه ، ويكفى من هذا قول الله عز وجل ﴿ والذين هم
لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم فإنهم غير ملومين ﴾
فأمر عز وجل بحفظ الفرج إلا على الزوجين وملك اليمين فلا ملامة في ذلك ، وهذا
عموم في رؤيته ولمسه ومخالطته ، وما نعلم للمخالف تعلقا إلا بأثر سخيف عن
امرأة مجهولة عن أم المؤمنين : « ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط » . وآخر في غاية
السقوط عن أنى بكر بن عياش ، وزهير بن محمد ، كلاهما عن عبد الملك بن أنى
سليمان العزمى ، وهؤلاء ثلاث الأثافي والديار البلاقع ، أحدهم كان يكفى في
سقوط الحديث [١٠].

(*) انظر هذه الأحاديث في ص ١٧٠ ، ١٧١ .

الوهم الرابع : وجوب ختان البنات :

دعماً للتعفف الآخرق وتضييقاً لفرص الاستمتاع ، على كل من الرجل والمرأة ، ساد القول بوجوب ختان البنات في بعض بلاد المسلمين ، قروناً طويلة ، وكأن ختان البنات فريضة من فرائض الإسلام ، وإغفاله يعتبر نقيصة ومعة للفتاة ، كما يعتبر فعله مكرمه لها ، وهذا كله وهم . وتأكيذاً لهذا الوهم شاع الحديث الضعيف الآتي :

— عن شداد بن أوس قال قال رسول الله ﷺ : الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء .
[رواه الطبراني] [١١]

والحقيقة في أمر ختان البنات أنه كان عادة من عادات العرب في الجاهلية . ولما جاء الإسلام وضع لها من الشروط ما يخفف من أثرها على الرجل وعلى المرأة معاً ، ويحفظ حق كل منهما في الاستمتاع :

— عن أم عطية الأنصارية أن امرأة كانت تحتن بالمدينة فقال لها النبي ﷺ : لا تنهكي^(١) ، فإن ذلك أحظي للمرأة وأحب إلى البعل^(٢) . (وفي رواية عند الطبراني [١٢] : فقال لها : أخفضي ولا تنهكي فإنه أنضر للوجه وأحظي عند الزوج) .
[رواه أبو داود] [١٣]

قال الحافظ ابن حجر : أفاد الشيخ أبو عبد الله بن الحاج في المدخل أنه اختلّف في النساء . هل يُخفّضن عموماً أو يفرق بين نساء المشرق فنخفّضن ونساء المغرب فلا نخفّضن ، لعدم الفضلة المشروع قطعها منهن ، بخلاف نساء المشرق...؟ وفي وجه للشافعية : لا يجب في حق النساء وهو الذي أورده صاحب المغنى عن أحمد . وذهب أكثر العلماء وبعض الشافعية إلى أنه ليس بواجب ... على أن الحديث (أي حديث الختان سنة للرجال مكرمه للنساء) لا يثبت لأنه من رواية حجاج بن أرطاة ولا يحتج به^[١٤] .

وقال الشيخ سيد سابق في فقه السنة : أحاديث الأمر بختان المرأة ضعيفة لم يصح منها شيء^[١٥] .

(٢) البعل : الزوج .

(١) لا تنهكي : لا تبالي .

ثانيا : فنون الاستمتاع الحلال عمل صالح يثاب عليه المسلم والمسلمة :

إن المباشرة الزوجية ليست فقط من أجل التنازل وطلب الذرية، بل هي مشروعة - من قبل ومن بعد - للاستمتاع الطيب . وقصد هذا الاستمتاع حتى دون طلب الولد أمر مشروع ، بل أمر مسنون أى سنة من سنن رسولنا ﷺ . وكذلك هو أمر مندوب إليه يؤجر فاعله، لما ورد في الحديث الصحيح الذى سبق ذكره في مفتتح هذا الفصل : « وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » . ثم إن المباشرة الزوجية بمختلف درجاتها من متع الحياة الدنيا ، وصدق الله العظيم فإنه يقول : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْفِكَاءِ وَالْبَيِّنِ وَالْقَنْطَرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْفَكِ^(١) وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١١٤﴾ (سورة آل عمران الآية : ١٤)

ولعل الآية الكريمة تشير إلى أن المتعة الجنسية هي أولى متع الحياة الدنيا، وربما كانت أمتعها جميعا ، ورسولنا ﷺ يلفتنا إلى ذلك :

- فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة .

[رواه مسلم] [١٦]

والرسول الكريم ﷺ نفسه ، قد حجب الله إليه من متاع الدنيا النساء والطيب :

- فعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « حُبَّ إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءَ وَالطِّيبَ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » .

[رواه النسائي] [١٧]

(١) الخيل المسومة : الراعية في المروج والمسارح .

وقبل أن نعرض لتماذج من المتعة الجنسية وفنونها المتعددة ، كما وردت في نصوص الهدى النبوى ، نحب أن نوضح نقطة هامة ، وهى أن هذه التماذج هى القدر الذى تيسر لنا بالنسبة لما ورد في كتب السنة ، التى أشرنا إليها في مقدمة هذا الكتاب ، إلا أنها ليست على سبيل الحصر لِمَا كان الرسول الله ﷺ يفعله أو يأمر به ، فهذا أمر لا سبيل إليه . ذلك أن هذه النصوص لم تقصد تعليمنا جميع فنون الاستمتاع ، بل جاءت لتضع أيدينا على الطريق ، فإن شرع الله إنما جاء - في مجال المعاملات والعلاقات - ليقم المنارات المرشدة ويقدم التحذيرات الضرورية ، لا ليرسم لنا كل تفاصيل الطريق ، فأفعال النبي ﷺ وتقريراته وأوامره هى المنارات ، والنواهى هى التحذيرات . ونحن علينا بعد ذلك أن نسلك بأنفسنا الطريق ، مهتدين بالمنارات ومراعين التحذيرات .

ونحب أن نضيف أن بعضاً من تلك النصوص ، لم يرد فيه أساليب المتعة الجنسية وفنونها إلا عرضاً وبمناسبة ملجئة . ذلك أن تلك الأساليب والفنون من طبيعتها أن يظل الإنسان يكتشفها بفطرته ، كما أنها مما يختلف الناس في تذوقه ، ثم هى قبل ذلك وبعده مما يحتفظ به الإنسان سرّاً بينه وبين زوجته . وإذا كان رسول الله ﷺ قد حذر من أسلوبين اثنين فحسب ، فأمر باجتناب الذُّبُر أبداً واجتناب القُبُل في الحيض ، وإذا كان النبي ﷺ قد بين بعضاً من الأساليب المشروعة ، فالباب ينبغى أن يظل مفتوحاً لكل مسلم ومسلمة في تلمُّس ما يمتعه ويمتّع الطرف الآخر ، وليواصل أهل العلم من ذوى الاختصاص في التشريع وعلم النفس ، في عرض نتائج أبحاثهم لبيان مناطق الامتاع ودرجاتها ، في جسد كل من الرجل والمرأة ، وطرق الإثارة ، وجميع العوامل المساعدة على تحقيق أكمل متعة وأحلاها . ونحسب أن هذا من الأعمال الصالحة التى يثابون عليها ، لأن هذه الأبحاث تعين على إحسان الاستمتاع ، وهو أمر مشروع - بل مسنون - فإن الله قد كتب الإحسان في كل شيء كما علمنا رسولنا ﷺ :

- فعن شداد بن أوس قال قال رسول الله ﷺ : إن الله كتب الإحسان على كل شيء .

[رواه أبو داود] [١٨]

وفضلاً عن ذلك فإن هذا التوجه من الباحثين فيه اقتداء بهدى النبي ﷺ ، فإنه كان يستمتع ، ويحرص على أن يمتّع أزواجه في أوقات متلاحقة ، وبطرق

متعددة سيرد بيانها في الفصل السابع بإذن الله وتوفيقه . ثم أنه ﷺ كان يرشد أصحابه إلى ما تيسر من طرق الاستمتاع إذا جاءت المناسبة .

وهكذا يظل المسلم والمسلمة في سعة من أمرهما ، لينالا من فنون الاستمتاع المشروع ما لذ وطاب ، ويتذوقا منها ما شاء لهما ذوقهما ، ثم إنه لا حرج عليهما إن أرادا الاطلاع على هذه الفنون ، في بعض الكتب التي تعالج هذا الموضوع بأسلوب علمي رصين . وينبغي أن يكونا على بينة أن كل ما عدا المحظورين المذكورين من أساليب الاستمتاع - سواء ما عرفه البشر أو ما سيعرفونه مما لا ضرر فيه - فلا حرج منه ، وذلك بناء على القاعدة الأصولية الجليلة « الأصل في الأمور الإباحة إلا ما ورد الشرع بتحريمه » . ونحب أن ننبه في هذا المقام إلى سنة من سنن الإسلام ، وضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية القوية . ونقصد بذلك « الاعتدال » ، الاعتدال في تناول جميع المباحات . وصدق الله العظيم : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . بل الاعتدال في أداء العبادات وصدق الرسول الكريم إذ قال لعبد الله بن عمرو : « أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟ ... فَلَا تَفْعَلْ ، صُمْ وَأَفْطِرْ ، وَقُمْ وَتَمْ ... » [١٨] .

ثالثا : التفاعل والتكامل بين عاطفة « الحب » وبين فنون المتعة الجنسية :

الحب في الزواج جزء من كل ، فإذا كان الزواج معناه تبادل الحب ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ ، فالحب يتبعه الوفاء والصحبة الطيبة ، والمشاركة الحياتية الكاملة ، والامتداد الحى في الأبناء زهرات الحياة . وهذه المعاني الكريمة تجمعها كلمة واحدة هي « السَّكَنَ » ذلك التعبير البياني القرآني الرائع . والمتعة الجنسية - وهى إحدى ثمرات الزواج - تشملها كل هذه المعاني ، وتسمو وتركو وتحلو بفضلها ، ثم إن هذه المعاني تتوثق وتتأكد بفضل المتعة الجنسية . وهكذا يكون التفاعل الإيجابى المثمر ، بين الجزء والكل ، بين الفرع والأصل . أما الاستمتاع خارج الزواج فهو متعة لحظة أو لحظات ، منقطعة عن الحب وعن الحياة ، وشهوة خالصة تتم بين أى ذكر وأية أنثى ، مهما تباعدت لغاتهم وسحناتهم ، فضلا عن أديانهم وأخلاقهم ، ودون أى تعارف بينهم ، فهى لا تعدو أن تكون شعلة نى عود سرعان ما تنطفئ . إن المباشرة الزوجية نعيم حقا ولكنها مع النعيم مسئولية تليق

بالشرفاء الأقوياء الشجعان . نعم قد يحدث أن يتلأأ الحب حيناً مع قلة اهتمام بفنون المتعة الجنسية ، وقد يحدث أن يزيد الاهتمام بفنون الاستمتاع مع حب فاجر ، لكن هذا خلاف الأصل ، فإن الحالة السوية الواعية الناضجة تطرد فيها عادة العلاقة بين الحب والاستمتاع ، يزدهران معاً ، ويفتران ويهبطان معاً . وعلى ذلك فنحن حين نحض الزوجين على التفتن في الاستمتاع ، نكون ساعين في طريق توثيق عرى الحب بينهما . وصدق الإمام ابن القيم : (وجماع المرأة المحبوبة في النفس ، يَقِلُّ لإضعافه للبدن ، مع كثرة استفراغه للمَنَى . وجماع البغيضة يحل البدن ، ويوهن القوى مع قلة استفراغه) [١٩] .

عوامل مساعدة على كمال الاستمتاع

العامل الأول : الاستفتاح بالدعاء وتسمية الله :

وهو أمر معنوي خالص لكنه نعم الاستفتاح لمتعة طيبة حلال . ونعم الاستفتاح بنية صالحة يتبعها تسمية الله ، ثم دعاء ضارع لله تعالى . أما عن النية الصالحة فحبذا أن يستحضر الزوجان عند المباشرة ، نية الإحصان والاستغناء بالحلال الطيب عن الوقوع في الحرام الخبيث . صحيح أن حديث « وفي بُضْعٍ أحَدُكُمْ صَدَقَةٌ » يشير إلى أن الزوجين مأجوران على كل حال ، ولو لم ينويا شيئاً ، لأنهما يفعلان الحلال الطيب . ولكن إذا كان لفعل الحلال الطيب - ولو بغير نية - ثوابه ، فلاستحضر النية الطيبة مزيد ثواب . وحبذا لو استحضر الزوجان كذلك شكر النعمة التي أنعم الله عليهما بتيسير هذا الحلال الطيب لهما . وأما البسملة والدعاء فقد علمناهما رسول الله ﷺ .

— فعن ابن عباس قال قال النبي ﷺ : أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله باسم الله ، اللهم جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وجنب الشيطان ما رزقنا . ثم قَدَّرَ بينهما في ذلك ، أو قَضَى ولد ، لم يضره الشيطان أبداً .

[رواه البخاري ومسلم] [٢٠]

العامل الثانى : تجمل كل من الزوجين لصاحبه :

إن التجميل بمختلف وسائل الزينة يزيد من الجمال الخلقى ، ويعوض كثيرا من نقصه ، فإله سبحانه الذى وهب الجمال الخلقى ، خلق ويسر وسائل التجميل القديمة والحديثة ، وعلى المسلمة والمسلم أن يسخرها ما يسره الله من تلك الوسائل لتحقيق الاستمتاع الطيب الحلال . ونحن لا نتحدث هنا عن الزينة الظاهرة إنما نتحدث عن الزينة التى هى من خصوصيات الزوجين ، وهذه لا يحدها غير المحظورات الشرعية المحدودة وأهمها ما ورد فى الحديثين الآتين :

— عن عبد الله بن مسعود أن النبى ﷺ قال : « لعن الله الواشمات^(١) والمستوشمات^(٢) والمتنصصات^(٣) والمتفلجات للحسن^(٤) المغيرات خلق الله تعالى » .

[رواه البخارى ومسلم]^[٢١]

— عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « لعن الله الواصلة^(٥) والمستوصلة^(٦) » .
[رواه البخارى]^[٢٢]

وقد سبق عرض هذه المحظورات بالتفصيل فى مبحث الأسرة^(*) . وإذا اجتنبنا هذه المحظورات ، فلا حرج فى التفنن فى التجميل . ونعيد هنا ذكر بعض الشواهد .

(١) الواشمات : جمع واشمة وهى فاعلة الوشم ، وهو أن تغرز ابرة ونحوها فى الشفة أو ظهر الكف أو الجبهة أو غير ذلك من البدن حتى يسيل الدم . ثم تمسحوا هذا الموضع بالكحل وغيره فيخضر لونه . وقد يفعل ذلك على هيئة دوائر ونقوش وكتابة .

(٢) المستوشمات : جمع مستوشمة وهى التى تطلب فعل الوشم بها .

(٣) المتنصصات : جمع متنصصة وهى التى تطلب لإزالة أو تنف شعر الوجه والجبين . ويقال أن النماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترقيعهما أو تسويتها ، والنامصة التى تفعل ذلك .

(٤) المتفلجات للحسن : هن اللاتي يردن أو يفرقن بين أسنانهن الأمامية للزينة وإظهار صغر السن .

(٥) الواصلة : التى تطيل الشعر بوصله بشعر آخر زورا وكذبا .

(٦) المستوصلة : التى تطلب فعل ذلك ويفعل بها .

(*) انظر الجزء الخامس ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ .

● تجمل النساء :

- عن عبد الله بن سلام عن النبي ﷺ : « خير النساء من تسرك إذا أبصرت » .

[رواه الطبراني] [٢٣]

- عن أنى جحيقة عن أبيه قال : « فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء مُتَبَذَّلة^(١) ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك ليس له حاجة في الدنيا ... » .

[رواه البخاري] [٢٤]

- عن عائشة : كانت امرأة عثمان بن مظعون تحتضب وتطيب فتركه ، فدخلت على ... فقلت لها : مالك ؟ فقالت : عثمان لا يريد الدنيا ولا يريد النساء » . وفي رواية عند الطبراني [٢٥] عن أنى موسى الأشعري ... فلقبه النبي ﷺ فقال : « يا عثمان أما لك في أسوة ؟ ... وإن لأهلك عليك حقا ... فأتتهم المرأة بعد ذلك عطرة كأنها عروس فقلن : مَهْ^(٢) قالت : أصابنا ما أصاب الناس » .

[رواه أحمد] [٢٦]

- عن جابر بن عبد الله : ... وقدم عليّ من اليمن ... فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل وليست ثيابا صبيغا واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت : إن أنى أمرني بهذا . (وفي رواية [٢٧] عن أسماء بنت أبي بكر ... فلم يكن معي هَذِيّ فَحَلَلْتُ وكان مع الزبير هدى فلم يحلل قالت : فلبست ثيابي ثم خرجت فجلست إلى الزبير فقال : قومي عني فقلت : أَتَخْشَى أَنْ أَثْبَ عليك !) .

[رواه مسلم] [٢٨]

(١) متبذلة : أى لابسة ثياب البذلة وهى المهنة . والمراد تاركة ثياب الزينة .

(٢) مَهْ : هى هنا كلمة تعجب ، وقد تأتي للزجر .

- عن أنس بن مالك أنه رأى على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بُرد حرير سِيْرَاء^(١) .

[رواه البخارى] [٢٩]

- عن سبيعة رضى الله عنها :... فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب .

[رواه البخارى ومسلم] [٣٠]

- وفي رواية عند أحمد :... اكتحلخت واختضبت وتيأت .

[رواه أحمد] [٣١]

وإذا كانت سبيعة قد تجملت بالكحل والخضاب للخطاب ،
فمحسب أن التجميل للزوج ينبغي أن يكون بأفضل من ذلك وأكثر .

- عن جابر بن عبد الله قال : فقفلنا^(٢) مع النبي ﷺ من غزوة ... فلما
ذهبنا لندخل قال : أمهلوا حتى تدخلوا ليلا (أى عشاء) لكي تمتشط
الشَّعْثَةُ^(٣) ...

[رواه البخارى ومسلم] [٣٢]

- عن عائشة قالت : كنا نخرج مع النبي ﷺ إلى مكة ، فنضمد جباهنا
بالسُّك^(٤) المطيب .

[رواه أبو داود] [٣٣]

- عن أميمة بنت رقيقة أن أزواج النبي ﷺ كن يجعلن عصائب فيها
الْوَرُس^(٥) والزعفران^(٦) فيعصبن أسافل شعورهن عن جباههن .

[رواه الطبرانى] [٣٤]

(١) برد حرير سمراء : كساء مصلع بالحرير .

(٢) قفلنا : رجعنا .

(٣) الشعثة : أى التى اغبر وتلبد أو توسخ شعر رأسها .

(٤) السك المطيب : السك طيب مركب يضاف إلى غيره من الطيب .

(٥) الورس : نبات أصفر طيب الرائحة يصبغ به .

(٦) الزعفران : نبات أصفر اللون يصبغ به ويطيب .

- عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال : « طيب النساء لون لا ريح له . قال سعيد (أحد الرواة) أراه قال : إنما حملوا قوله في طيب النساء على أنها إذا خرجت ، فأما إذا كانت عند زوجها فلتطيب بما شاءت » .
[رواه أبو داود] [٣٥]

- عن أنس قال ...: فجاء (أبو طلحة) فقربت (أم سليم) إليه عشاء فأكل وشرب ، ثم تَصَنَّعت^(١) له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ، فوقع بها^(٢) .

[رواه البخاري ومسلم وهذه رواية مسلم] [٣٦]

● تجمل الرجال :

قال تعالى : ﴿ وهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ .

وورد في تفسير الطبري عن ابن عباس : إني أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تزين لي ، لأن الله تعالى ذكره يقول : ﴿ وهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ .

وإذا كان ابن عباس يزين لامرأته استجابة لهذه الآية ، فنحسب أنه ينبغي كذلك أن يزين لقول الرسول ﷺ : « وإن لأهلك عليك حقا » ، فحق الأهل هنا متعدد الجوانب ومنها حق التجميل ، وتجميل الرجل له من السمات ما يليق بالرجال الكرماء ، وسيد هؤلاء هو رسولنا ﷺ . وفيما يأتي شواهد من هديه في التجميل :

- عن البراء بن عازب قال : رأيت النبي ﷺ في حُلَّة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه .

[رواه البخاري ومسلم] [٣٧]

- عن أنس أن الجَبَّة^(٣) كانت أحب الثياب إلى النبي ﷺ .

[رواه البخاري ومسلم] [٣٨]

(١) تصنعت له : تزينت له .

(٢) وقع بها : أي جامعها .

(٣) الحبة : برد يبنى

ورد في فتح الباري : والحبرة من برود اليمن تصنع من قطن ، وكانت أشرف الثياب عندهم . وقال القرطبي : سميت حبرة لأنها تحبر أى تزين [٣٩].

— عن عائشة أن النبي ﷺ كان يعجبه التيمن ما استطاع ، في تَرْجُلِهِ (١) (وفي رواية [٣٩] . كنت أُرْجُلُ رأس رسول الله ﷺ) .

[رواه البخارى ومسلم] [٤٠]

— عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يسدل شعر ناصيته ثم فَرَّقَ بعد . . . [رواه البخارى ومسلم] [٤١]

— عن عائشة أنها كانت تطيب النبي ﷺ بأطيب ما تجد (وفي رواية لمسلم [٤٢] : بطيب فيه مسك) .

[رواه البخارى ومسلم] [٤٣]

— عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان يستجمر (٢) بالألوة (٣) وبكافور . [رواه مسلم] [٤٤]

العامل الثالث : إزالة الشعر الداخلى (*) :

(أى الاستحداد)

— عن أبى هريرة رضى الله عنه : سمعت النبي ﷺ يقول : « الفطرة خمس الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الآباط » .

[رواه البخارى] [٤٥]

(١) الترجيل : تسريح شعر الرأس واللحية ودهنهما .

(٢) يستجمر : يتبخر .

(٣) الألوة : شجر له عود إذا أحرق سطعت له رائحة جميلة .

(*) المقصود بإزالة الشعر الداخلى هو خلق العانة ، والمراد بالعانة الشعر يكون حول فرج كل من الرجل والمرأة .

- عن جابر بن عبد الله قال : قفلنا مع النبي ﷺ من غزوة ... فلما ذهبنا لندخل قال : أمهلوا حتى تدخلوا ليلا - أى عشاء - لكي تمتشط الشعنة^(١) وتستجد^(٢) المغيبة^(٣) .

[رواه البخارى ومسلم] [٤٦]

قال الحافظ ابن حجر : يتأدى أصل السنة بالإزالة بكل مزيل [٤٧] .

وعلى كل حال - أيا كانت وسيلة الاستحداد - ففي الاستحداد تجمل من جانب كل من المرأة والرجل وتهية الأعضاء الجنسية في صورة نظرة يستمتع بها الزوجان .

العامل الرابع : رعاية الأجزاء الحساسة عند كل من الرجل والمرأة :
بالنسبة للرجل :

- عن أنس بن مالك رضى الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول : الفطرة خمس :
الختان و ... [رواه البخارى] [٤٨]

ويلاحظ هنا أن ختان الرجل يؤدي إلى كشف الحشفة وهى مقدم الذكر ، والحشفة بطبيعتها شديدة الحساسية وتحقق مزيدا من الاستمتاع عند الملامسة .

بالنسبة للمرأة .

إن ختان المرأة بعكس ختان الرجل ، ذلك أن ختان الرجل يشمر مزيدا من الاستمتاع ، أما ختان الأنثى فإنه يشمر نقصا في الاستمتاع ، وقد ثبت ضعف

(١) الشعنة : أى التى اغبر وتلد أو توسع شعر رأسها .

(٢) تستجد : أى تستعمل الحديد وهى الموسى ، وذلك في حلق العانة ، وهى الشعر النابت في أسفل البطن حول الفرج .

(٣) المغيبة : التى غاب عنها زوجها .

الحديث الذى يشير إلى أن الختان مكرومة للنساء . كما وردت أحاديث تحذر الراغبين فى ختان بناتهم من الإنهاك . وقد سبق بحث هذا الأمر عند حديثنا عن الأوهام التى تحاصر الاستمتاع الطيب .

العامل الخامس : الغسل أو الوضوء لمن أراد القود :

— عن أنى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ : إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ . (وزاد ابن خزيمة فى رواية له^[٤٩] : « فإنه أنشط للعود ») .

[رواه مسلم]^[٥٠]

قال الحافظ ابن حجر : استدل ابن خزيمة على أن الأمر بالوضوء للنسب وللوجوب بما رواه من الزيادة « فإنه أنشط للعود » ؛ فإنها تدل على أن الأمر للإرشاد أو للنسب . ويدل أيضاً على أنه لغير الوجوب ما رواه الطحاوى من أن النبى ﷺ كان يجامع ثم يعود ولا يتوضأ^[٥١] .

وقال ابن القيم فى زاد المعاد : وفى الغسل والوضوء بعد الوطء من النشاط ، وطيب النفس ، وإخلاف بعض ما تحلل بالجماع ، وكال الطهر والنظافة ، واجتماع الحار الغريزى إلى داخل الدن بعد انتشاره بالجماع ، وحصول النظافة التى يحبها الله ويغض خلافها ، وهو من أحسن التدبير فى الجماع ، وحفظ الصحة والقوى فيه^[٥٢] .

صور من فنون الاستمتاع :

سبق أن أشرنا أن ما ورد فى السنة من صور هذه الفنون ، إنما هى مجرد أمثلة وردت لمناسبة ما ، وأنها مع قلتها تبين لنا النهج العام للهدى النبوى ، وعليها أن نقتدى بهذا النهج ، سواء عن طريق التجربة والخبرة الدايمة ، أم عن طريق البحث العلمى ، خاصة بعد أن امتد هذا البحث لآفاق بعيدة فى مجال دراسة وتشرح

أعضاء الجسم الإنساني ، ومنها الأجزاء الحساسة التي تساعد على تحقيق المتعة الجنسية . ويمكن تقسيم فنون الاستمتاع إلى ثلاثة مستويات :

المستوى الأول من الاستمتاع : الائتناس بالصحة الزوجية

● الملاعبة والمضاحكة :

- عن جابر رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « تزوجت يا جابر ؟ فقلت : نعم ، فقال : أبكرا أم ثيبا^(١) ؟ قلت : بل ثيبا ، قال : فملا جارية تلاعبها وتلاعبك ، وتضاحكها وتضاحكك ؟ قال : فقلت له : إن عبد الله (يقصد أباه) هلك وترك بنات ، وإنى كرهت أن أجيئن بمثلهن ، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحنهن . فقال : بارك الله لك » .
[رواه البخارى ومسلم] [٥٣]

والملاعبة مجالها فسيح وهى متعددة الأساليب ، فمنها ما يكون بين الزوجين فحسب ، أو مع بعض أولادهما ، وقد تكون أحيانا جلسة سمر بها بعض محارم الزوجة من الذكور ، أو بعض محارم الزوج من الإناث ، أو آخرون أو أخريات ممن تؤمن معهم الفتنة . وقد تكون الألعاب التى تمارس فى هذا السمر ذهنية أدبية أو حركية (بكرة أو بغيرها) . والمهم فى كل هذه الصور توفير الضحك والمرح والسرور والائتناس ، وفيما يأتى نماذج من هذه الملاعبة والمضاحكة ، أحدهما ملاعبة حركية ، والثانى مضاحكة أدبية ، والثالث مشاركة فى مشاهدة لعب يقوم به آخرون :

- عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ فى سفر وهى جارية (قالت : لم أحمل اللحم ولم أبُذَن^(٢)) فقال لأصحابه : تقدموا . ثم قال : تعالى أسابقك ، فسابقته فسبقته على رجل . فلما كان بعد ، خرجت معه فى سفر فقال لأصحابه : تقدموا . ثم قال : تعالى أسابقك . ونسيت الذى كان ، وقد حملت اللحم فقلت : كيف أسابقك يا رسول

(٢) لم أبُذَن : لم آمن .

(١) ثيبا : الثيب من سبق لها الزواج .

الله وأنا على هذه الحال !؟ فقال : تفعلين . فسابقته فسبقني فجعل يضحك . وقال : هذه بتلك السابقة .

[رواه أحمد] [٥٤]

— عن عائشة قالت : جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا .

قالت الأولى : زوجي لحم جمل غَثَّ^(١) على رأس جبل ، لا سهل فَيَرْتَقِي ، ولا سمين فَيُنْتَقِلُ^(٢) .

قالت الثانية : زوجي لا أُبْثُّ^(٣) خبره ، إني أخاف أن لا أذَرَهُ^(٤) ، إن أذكره أذكره عُجْرَهُ وَبُجْرَهُ^(٥) .

قالت الثالثة : زوجي العَشْتَقُ^(٦) إن أنطق أُطَلِّق ، وإن أسكت أُعْلِقُ^(٧) ...

قالت الثامنة : زوجي المسّ مس أرنب^(٨) ، والريح ريح زَرْب^(٩) ...

قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زرع ، فما أبو زرع ! أناس من حُلِيٍّ أذْنِي^(١٠) ، وملاً من شحم عَضْدِي^(١١) ، وَبَجَحْنِي فَبَجَحَتْ

(١) جمل غث : جمل هزيل .

(٢) ولا سمين فينتقل : سمين وصف للحم ، وهو لخراله لا يرغب فيه أحد فينتقل إليه .

(٣) لا أبث : لا أنشر .

(٤) أخاف ألا أذره : أخاف ألا أترك من خبره شيئا أى أنه لطوله وكثرته إن بدأته لم أقدر على تكميله خشية أن يطول الأمر بإيراد جميع معانيه .

(٥) عجره وبجره : عيوبه الظاهرة والباطنة .

(٦) العشتق : الطويل وقد ذمته بالطول لأن الطول في الغالب دليل السفه .

(٧) أعلق : أى أصبح كالمعلقة فلا هى متزوجة ولا هى مطلقة .

(٨) المس من أرنب : كناية عن حسن خلقه ولين عريكته .

(٩) الريح ريح زرب : الزرب نبت طيب الرائحة وهو كناية عن طيب عرقه لكثرة نظافته واستعماله الطيب .

(١٠) أناس من حلي أذني : أناس من النوس وهو حركة كل شيء متدل ، والمعنى ملاً أذني بالحلي .

(١١) ملاً من شحم عضدي : لم ترد العضد وحده ولكنها أرادت الجسد كله لأن العضد إذا سمت سمن سائر الجسد .

إِلَى نَفْسِي^(١) ، وَجَدْنِي فِي أَهْلِ غَنِيمَةٍ بِشَقٍّ^(٢) فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ
صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ^(٣) ، فَعَنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحَ^(٤) ، وَأَرْقُدُ
فَأَنْصَبُ^(٥) ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ^(٦) . أَمْ أُنَى زَرْعٍ ، فَمَا أَمْ أُنَى زَرْعٍ !
عُكُومَهَا رَدَاحٌ^(٧) ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ^(٨) . ابْنُ أُنَى زَرْعٍ ، فَمَا ابْنُ أُنَى زَرْعٍ !
مَضْجِعُهُ كَمَسَلِ شَطْبَةٍ^(٩) ، وَيَشْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفَرَةِ^(١٠) . بِنْتُ أُنَى زَرْعٍ ،
فَمَا بِنْتُ أُنَى زَرْعٍ ! طَوَّعَ أَهْلُهَا ، وَطَوَّعَ أُمُّهَا ، وَمَلَأَ كِسَائُهَا^(١١) ،
وَغَيِظَ جَارَتُهَا^(١٢) . جَارِيَةُ أُنَى زَرْعٍ ، فَمَا جَارِيَةُ أُنَى زَرْعٍ !
لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبِيثًا^(١٣) ، وَلَا تُتَقِّثَ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا^(١٤) ، وَلَا تَعْمَلْ بَيْتَنَا

- (١) بَجَحْنِي فَجَحْتُ إِلَى نَفْسِي : الْمَعْنَى عَظَمَنِي فَعَظَمْتُ إِلَى نَفْسِي .
(٢) وَجَدْنِي فِي أَهْلِ غَنِيمَةٍ بِشَقٍّ : غَنِيمَةٌ تَصْغِيرُ غَنَمٍ وَالْمَعْنَى وَجَدَهُمْ فِي قَلَّةٍ حَالٍ وَضَعْفٍ حَتَّى وَسَعَهُمْ
سَكَنَى شَقَّ الْجَبَلِ أَيْ نَاحِيَتَهُ بِكَسْرِ الشَّيْنِ ، أَوْ شَقَّ فِي الْجَبَلِ يَفْتَحُ الشَّيْنُ كَالْعَارِ .
(٣) فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ : أَهْلُ صَهِيلٍ أَيْ خَيْلٍ وَأَطِيطُ أَيْ إِبِلٍ ، وَأَصْلُ
الصَّهِيلِ صَوْتُ الْخَيْلِ وَأَصْلُ الْأَطِيطِ صَوْتُ أَعْوَادِ الْحَامِلِ وَالرَّحَالِ عَلَى الْجَمَالِ . وَالدَّائِسُ مَنْ دَهَسَ الْقَمْعَ
وَهُوَ دِرَاسٌ . وَأَهْلُ الْعِرَاقِ يَقُولُونَ الدِّيَاسَ وَأَهْلُ مِصْرَ وَالشَّامِ يَقُولُونَ الدِّرَاسَ . وَكَأَنَّهَا أَرَادَتْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
زَرْعٍ . وَمُنَقٍّ مِنَ نَفِيقِ الدَّجَاجِ . وَالْحَاصِلُ أَنَّهَا ذَكَرَتْ أَنَّهُ نَقَلَهَا مِنْ شَطَفِ الْعَيْشِ إِلَى الثَّرْوَةِ الْوَاسِعَةِ مِنَ الْخَيْلِ
وَالْإِبِلِ وَالزَّرْعِ .
(٤) أَقُولُ فَلَا أَقْبَحَ : فَلَا يَقَالُ لِي قَبْحَكَ اللَّهُ . أَوْ لَا يَبْقَحُ قَوْلِي .
(٥) أَرْقُدُ فَأَنْصَبُ : أَيْ أَنَامُ الصَّبِيحَةَ وَهِيَ نَوْمُ أَوَّلِ النَّهَارِ فَلَا أَرْقُظُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهَا مِنْ يَكْفِيهَا مَوْزَنَةٌ بَيْتُهَا
وَمَهْنَةٌ أَهْلُهَا .
(٦) أَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ : التَّقَنَّحُ : الشَّرْبُ بَعْدَ الرِّى وَالْمَعْنَى أَنَّهَا تَشْرَبُ حَتَّى لَا تَجِدَ مَسَاغًا .
(٧) عَكُومَهَا رَدَاحٌ : عَكُومٌ جَمْعُ عَكَمٍ « بِالْكَسْرِ » وَهِيَ الْأَعْدَالُ وَالْأَحْمَالُ الَّتِي تُجْمَعُ فِيهَا الْأَمْتَعَةُ . رَدَاحٌ
أَيْ عَظِيمَةٌ كَثِيرَةٌ الْحَشْوُ ثَقِيلَةٌ .
(٨) بَيْتُهَا فَسَاحٌ : يَقَالُ بَيْتٌ فَسِيحٌ وَفَسَاحٌ أَيْ وَاسِعٌ .
(٩) مَضْجِعُهُ كَمَسَلِ شَطْبَةٍ : الشَّطْبَةُ مَا شَطَبَ مِنَ الْجَرِيدِ وَهُوَ سَعْفُهُ فَيَشُقُّ مِنْهُ قَضْبَانِ رَقَاقٍ تَنْسَجُ مِنْهُ
الْحَصَرُ . وَالْمَعْنَى مَضْجِعُهُ الَّذِي يَنَامُ فِيهِ مِنَ الصَّغَرِ كَقَدَرِ سَلِ شَطْبَةٍ وَاحِدَةٍ وَذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى كَمَالِ الصُّورَةِ
واعتدالها واستوائها .
(١٠) وَيَشْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفَرَةِ : الْجَفَرَةُ الْأَثْنَى مِنْ وَلَدِ الْمُعْزِ إِذَا كَانَ ابْنُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَفُصِّلَ عَنْ أُمِّهِ وَأَخَذَ فِي
الرَّعْيِ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَلَا بَيْنَ بِلِّ بِشَبَعِهِ الْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ .
(١١) مَلَأَ كِسَائُهَا : كَتَابَةُ عَنْ كَمَالِ شَخْصِهَا وَنِعْمَةِ جَسْمِهَا .
(١٢) غَيِظَ جَارَتُهَا : وَالْجَارَةُ تَعْنِي الضَّرَّةَ وَإِنَّمَا تَغِيظُ الضَّرَّةَ بِمَا تَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ مُحَاسِنٍ .
(١٣) لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبِيثًا : لَا تَتَشَرَّهْ وَلَا تَذْبِهِهِ .
(١٤) لَا تَنْقُثْ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا : الْمِيرَةُ هُنَا تَعْنِي الطَّعَامَ الْمُخْزُونَ ، وَالْجَارِيَةُ لَا تَسْرِعُ فِيهِ بِالْحَيَانَةِ وَلَا تَذْبِهُهُ
بِالسَّرْقَةِ .

تعشيشاً^(١) . قالت : خرج أبو زرع والأوطاب ثمخص^(٢) ، فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برماتين^(٣) فطلقني ونكحها . فنكحت بعده رجلاً سرياً^(٤) ، ركب سرياً^(٥) ، وأخذ خطياً^(٦) ، وأراح على نعماً ثرياً^(٧) ، وأعطاني من كل رائحة زوجاً^(٨) ، وقال : كلى أم زرع وميرى أهلك^(٩) . قالت : فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أرى زرع .

قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « كنت لك كأبي زرع لأم زرع » .
[رواه البخارى ومسلم] [٥٥]

قال الحافظ ابن حجر : (قوله كأبي زرع لأم زرع) زاد في رواية الهيثم ابن عدى : « فى الألفة والوفاء لا فى القرقة والجلاء » . وزاد الزبير بن بكار فى آخره : « إلا أنه طلقها وإنى لا أطلقك » . وزاد النسائى فى روايته : « قالت عائشة : يا رسول الله ، بل أنت خير من أبى زرع » . وفى أول رواية الزبير : « بأبى وأمى ، لأنت خير لى من أبى زرع لأم زرع » [٥٥] .

— عن عائشة رضى الله عنها قالت : رأيت النبى ﷺ يسترنى بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأم ، فاقدروا قدر^(١٠) الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو .

[رواه البخارى ومسلم] [٥٦]

(١) لاعتماً ليتنا تعشيشاً : أى أنها مهمة بتنظيف البيت وإلقاء كناسه وإبعادها منه ولا تركها فى جوانبه كأنها الأعشاش .

(٢) الأوطاب ثمخص : الأوطاب جمع وطب وهو وعاء اللبن الذى يمحض فيه حتى يستخرج زبدته ومرادها أنه يكرر بخروجه من منزلها وقت قيام الخدم والعبيد لأشغالهم .

(٣) يلعبان تحت خصرها برماتين : أى أنهما كانا يلعبان فى حضنها أو جنبها ، وفى تشبيه النهدين برماتين إشارة إلى صغر سنهما .

(٤) رجلاً سرياً : أى من سراة الناس وهم كبرائهم فى حسن الصورة والمهبة . والسرى من كل شيء خياره .

(٥) ركب سرياً : السرى الذى يستشفى فى سيره أى يمضى فيه بلا فتور ، وهى تعنى أنه ركب فرساً رصياً .

(٦) وأخذ خطياً : أى ربحاً خطياً فاتحاً والخط موضع بنواحى البحرين تجلب منه الرماح .

(٧) وأراح على نعماً ثرياً : أراح من الرواح والأصل فيه العود مساء وهو يقابل الثدوى الذى يكون صباحاً . والنعم الإبل خاصة ويطلق على جميع المواشى إذا كان فيها إبل . وثريا أى كثيرة . والمعنى أنه خرج غازياً فغنم فأتى بالنعم الكثيرة .

(٨) وأعطاني من كل رائحة زوجاً : الرائحة الآتية من أرمى وقت الرواح آخر النهار ، والمعنى أعطاني اثنين من كل صنف من الحيوان الذى يرعى .

(٩) ميرى أهلك : أى صليهم وأوسعى عليهم بالميرة ، وهى الطعام (١٠) فاقدروا قدر : أى راعوا أمر .

● الملاحظة :

– عن عائشة قالت : كنت أشرب وأنا حائض ثم أناول النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب ، وأتعرّق العرق^(١) وأنا حائض، ثم أناول النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ .

[رواه مسلم] [٥٧]

● المقاربة الحميمة :

– عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره... فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام . فقال : حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء ... وجعل يطعنني في خاصرقي ، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي ...

[رواه البخاري ومسلم] [٥٨]

– عن عائشة ... أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجرى وأنا حائض ثم يقرأ القرآن .

[رواه البخاري ومسلم] [٥٩]

– عن عائشة قالت : كان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق^(٢) والحراب ، فإما سألت النبي ﷺ وإما قال : تشتهين تنظرين ؟ قلت : نعم . فأقامني وراءه خدى على خده وهو يقول : دونكم يا بنى أُرْفِدَة . حتى إذا مللت قال : حسبك ؟ قلت : نعم قال : فاذهبي .

[رواه البخاري ومسلم] [٦٠]

– عن عائشة أنها كانت تُترجل^(٣) رسول الله ﷺ ... (وهو) حيثئذ مجاور^(٤) في المسجد يدنى لها رأسه وهي في حجرتها ..

[رواه البخاري ومسلم] [٦١]

(١) أتعرّق العرق : أخذ اللحم من العرق بأسناني وهو عظم أخذ معظم اللحم منه وبقيت عليه بقية .

(٢) الدرقي : جمع درقة وهي ترس مصنوع من الجلد .

(٣) ترجل : تسوى الشعر وتزيّنه وترحله . (٤) مجاور : أى مقبّل والمراد معتكف .

– عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يغسل جواريه رجله .
[رواه مالك] [٦٢]

المستوى الثاني من الاستمتاع : المتعة الجنسية الخفيفة

● كالقبلة والمعانقة واللمس باليد :

– عن أم سلمة قالت :... كان النبي ﷺ يقبلها وهو صائم .
[رواه البخاري] [٦٣]

– عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : هشتت فقبلت وأنا صائم فبحث رسول الله ﷺ فقلت له : صنعت اليوم أمرا عظيما . قال : ماهو ؟ قلت : قبلت وأنا صائم . فقال ﷺ : أرايت لو مضمضت من الماء ؟ قلت : إذا لا يضر . قال : فنعم (١) .
[رواه ابن حبان] [٦٤]

– عن أبي النضر أن عائشة بنت طلحة أخبرته أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ ، فدخل عليها زوجها هناك – وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق – وهو صائم . فقالت له عائشة : ما يمنعك أن تدنو من أهلكت فتقبلها وتلاعبها ...
[رواه مالك] [٦٥]

المستوى الثالث : المباشرة دون الجماع

● مص اللسان ورشف الشفتين :

– عن جابر بن عبد الله قال : تزوجت ، فقال لي رسول الله ﷺ : ماتزوجت ؟ فقلت : تزوجت ثيباً (٢) ، فقال : مالك وللعذارى ولأعابها ؟
[رواه البخاري] [٦٦]

(١) ضم : أى فكذلك القبلة .

(٢) ثيبا : الثيب من سبق لها الزواج .

قال الحافظ ابن حجر : (قوله : ما لك وللعذاري ولعابها ؟) ضبطه الأكثر بكسر اللام (أى لعابها) وهو مصدر من الملاعبة . ووقع في رواية المستملى بضم اللام والمراد به الريق، وفيه إشارة إلى مص لسانها ورشف شفيتها، وذلك يقع عند الملاعبة والتقبيل ، وليس هو يبعد كما قال القرطبي [٦٧].

— عن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري ، عن أبيه ، عن جده قال قال رسول الله ﷺ : عليكم بالأبكار ، فإنهن أعذب أفواها ، وأنتق^(١) أرحاما ، وأرضى باليسر .

[رواه ابن ماجه] [٦٨]

● التزام الصدر :

— عن زيد بن أسلم أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال : ما يحل لي من امرأتى وهي حائض ؟ فقال رسول الله ﷺ : لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها .

[رواه مالك] [٦٩]

— عن عَمِّ حرام بن حكيم أنه سأل رسول الله ﷺ : ما يحل لي من امرأتى وهي حائض ؟ قال : لك ما فوق الإزار .

[رواه أبو داود] [٧٠]

● مص الثدي :

— عن يحيى بن سعيد أن رجلا سأل أبا موسى الأشعري فقال : إننى مصصت من امرأتى من ثديها لبنا ... فذهب في بطنى فقال أبو موسى : لا أراها إلا قد حرمت عليك . فقال عبد الله بن مسعود : انظر ماذا تفتى به الرجل ؟ فقال أبو موسى : فماذا تقول أنت ؟ فقال عبد الله بن مسعود : لا رضاعة إلا ما كان في الحولين . فقال أبو موسى : لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الخبر^(٢) بين أظهركم .

[رواه مالك] [٧١]

(١) أنتق أرحاما : من تنقت الأنثى كثر ولدها .

(٢) الخبر : العالم .

المستوى الرابع : الجماع :

إن كلا من المستويين السابقين ، يمكن أن يكون له وقته وفرصته المستقلة المناسبة ، ويمكن أن يكون كلاهما مقدمة لهذا المستوى الرابع ، أى مقدمة طيبة للجماع . والرسول ﷺ يعلمنا كيف نتلطف ونحسن التمهيد للمباشرة الزوجية ، ونحسن الأداء بصفة عامة .

– فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال لى رسول الله ﷺ : تزوجت ؟ قلت : نعم ، قال : ... فإذا قدمت فالكيس الكيس .

[رواه البخارى ومسلم] [٧٢]

قال الحافظ ابن حجر : وقوله « فالكيس » بالفتح فيهما على الإغراء ، وقيل على التحذير من ترك الجماع . وقال الخطائى : الكيس هنا بمعنى الحذر ، وقد يكون الكيس بمعنى الرفق وحسن التأني ... وجزم ابن حبان فى صحيحه بعد تخريج هذا الحديث بأن الكيس الجماع ، ويؤيده قوله فى رواية محمد بن إسحاق « فإذا قدمت فاعمل عملاً كيساً » وفيه قال جابر : فدخلنا حين أمسينا فقلت للمرأة : إن رسول الله ﷺ يأمرنى أن أعمل عملاً كيساً ، قالت : سمعا وطاعة فدوئك ، قال : فبت معها حتى أصبحت . أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه ... قال صاحب الأفعال : كاسَ الرجل فى عمله حَذَقٌ [٧٣] .

وهكذا نرى الرسول ﷺ يرشد جابرا الشاب فى أول زواجه إلى الرفق والتأني ، وحسن التأني ، بالملاعبة ونحوها ، واجتناب المفاجأة .

● الجماع من أى اتجاه :

– عن جابر رضى الله عنه قال : كانت اليهود تقول : إذا جامعها من ورائها

جاء الولد أحول ، فنزلت ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أُنَى شَعْمٍ ﴾ .

[رواه البخارى ومسلم] [٧٤]

– عن ابن عباس ، قال : ... إنما كان هذا الحى من الأنصار – وهم أهل

وثن – مع هذا الحى من يهود – وهم أهل كتاب – وكانوا يَرَوْنَ لهم

فضلا عليهم فى العلم ، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم ، وكان من أمر

أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حَرْفٍ ، وذلك أستر ماتكون

(١) أُنَى شَعْمٍ : كيف شَعْم .

المرأة ، فكان هذا الحى من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم ، وكان هذا الحى من قریش يشرحون النساء شرحا منكرا ، ويتلذذون منهن مُقْبِلَات ومُدْبِرَات ومستلقيات ، فلما قدم المهاجرون المدينة ، تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك ، فأنكرته عليه ، وقالت : إنما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبنى ، حتى شري أمرها^(١) ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عز وجل « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » .

[٧٥] [رواه أبو داود]

— عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لما قدم المهاجرون المدينة على الأنصار تزوجوا من نسائهم ، وكان المهاجرون يجيئون^(٢) ، وكانت الأنصار لا تجيى ، فأراد رجل من المهاجرين امرأته على ذلك ، فأبت عليه حتى تسأل رسول الله ﷺ . قالت : فأتته ، فاستحيت أن تسأله ، فسأته أم سلمة ، فنزلت « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » .

[٧٦] [رواه أحمد]

— عن ابن عباس قال : جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله هلكت ، قال : وما أهلكك ؟ قال : حولت رحلى الليلة ، قال : فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئا ، قال : فأنزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ أقبل وأذبر .

[٧٧] [رواه الترمذى]

● رؤية البدن عاريا تماما ولمسه :

— عن ميمونة قالت : وضعت للنبي ﷺ ماء للفعل ، فغسل يده مرتين أو ثلاثا ، ثم أفرغ على شماله فغسل مذاكيره . (وفى رواية^[٧٨] : وغسل فرجه وما أصابه من الأذى) ثم مسح يده بالأرض ، ثم مضض واستنشق

(١) شري أمرها : أى عظم أمرها وتفاقم ، ولج فيه كل منهما ، من شري البقر تابع لمعانه .

(٢) يجيئون : أى يأتون زوجاتهم ومن مكيات على وجوههن .

و غسل وجهه ويديه ، ثم أقاض على جسده ، ثم تحول من مكانه فغسل قدميه .

[رواه البخارى ومسلم] [٧٩]

- عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل بدأ يمينه فصب عليها من الماء فغسلها ، ثم صب الماء على الأذى الذى به يمينه ، وغسل عنه بشماله ، حتى إذا فرغ من ذلك صب على رأسه ... وكنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ونحن جُنُبَان .

[رواه البخارى ومسلم] [٨٠]

قال الحافظ ابن حجر : واستدل الداودى بحديث عائشة « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد » على جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه . ويؤيده ما رواه ابن حبان من طريق سليمان بن موسى : أنه سئل عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته ، فقال : سألت عطاء فقال : سألت عائشة فذكرت هذا الحديث - بمعناه - وهو نص في المسألة ، والله أعلم [٨١] .

- عن حكيم عن أبيه قال : قلت يا رسول الله عوراتنا مانأى منها وما نذر ؟ قال : احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك .

[رواه أبو داود] [٨٢]

قال ابن عروة الحنبلى فى الكواكب : « ومباح لكل واحد من الزوجين النظر إلى جميع بدن صاحبه ولمسه ، حتى الفرج لحديث « احفظ عورتك إلا من زوجتك » ، ولأن الفرج محل له الاستمتاع به ، فجاز النظر إليه ولمسه كبقية البدن » [٨٣] .

الاجتسال معا :

- عن ميمونة أنها كانت تغتسل هى والنبي ﷺ فى إناء واحد .

[رواه مسلم] [٨٤]

- عن أم سلمة قالت : كانت هى ورسول الله ﷺ يغتسلان من إناء واحد (وفى رواية عند النسائى [٨٤] : أن أم سلمة سئلت : أتغتسل المرأة مع الرجل ؟

قالت : نعم إذا كانت كَيْسَةً^(١) . رأيتني ورسول الله ﷺ نغتسل من
مِرْكَن^(٢) واحد) .

[رواه البخارى ومسلم] [٨٥]

— عن عائشة قالت : كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ ... فيبادرنى حتى
أقول دع لى دع لى .

[رواه مسلم] [٨٦]

وهكذا ينجم الزوجان متعة الجماع بمتعة الاغتسال معا ... وأنعم بها من
خاتمة لأكمل فنون المتعة الجنسية التى أنعم الله بها على عباده .



(١) الكَيْسَر : العاقل والفطن والظريف ، الذى يحسن التصرف فى مختلف المواقف .
(٢) المِرْكَن : نوع من الأوعية .

هوامش الفصل السادس

تنبيه :

(يرجى ملاحظة أن الجزء والصفحة المذكورين بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح البخارى مرجعهما كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى طبعة مصطفى الحلبي - القاهرة .
أما الجزء والصفحة المذكوران بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح مسلم فمرجعهما الجامع الصحيح للإمام مسلم طبعة استانبول) .

- [١] مسلم كتاب الصدقة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ج٣ ص٨٢ .
- [٢] صحيح سنن النسائي كتاب النكاح باب كراهية تزويج المقيم الحديث رقم ٣٠٢٦ .
- [٣] سنن أبي داود كتاب الطهارة باب في المذي الحديث رقم ٢١٣ وقال أبو داود : ليس بالقوى . هذا ولم يرد الحديث في صحيح سنن أبي داود .
- [٤] البخارى كتاب الحيض باب مباشرة الحائض ج١ ص٤١٩ مسلم كتاب الحيض باب مباشرة الحائض فوق الإزار ج١ ص١٦٧ .
- [٥] ضعيف الجامع الصغير الحديث رقم ٢٧٨ .
- [٦] ضعيف الجامع الصغير الحديث رقم ٢٧٩ .
- [٧] سنن ابن ماجه كتاب النكاح باب التستر عند الجماع حديث رقم ١٩٢٢ ولم يرد هذا الحديث في صحيح سنن ابن ماجه .
- [٨] ضعيف الجامع الصغير الحديث رقم ٥٥١ .
- [٩] ضعيف الجامع الصغير الحديث رقم ٥٥٢ .
- [١٠] صحيح سنن أبي داود كتاب الحُمَام باب ماجاء في التعرى الحديث رقم ٣٣٩١ .
- [١١] المحلى لابن حزم ج١٠ ص٣٣ .
- [١٢] انظر ضعيف الجامع الصغير الحديث رقم ٢٩٣٧ .
- [١٣] انظر صحيح الجامع الصغير حديث رقم ٢٣٤ (أخرجه الطبركان في الكبير) .
- [١٤] صحيح سنن أبو داود أبواب النوم باب ماجاء في الحتان حديث رقم ٤٣٩١ .
- [١٥] فتح البارى ج١٢ ص٤٦٠ ، ٤٦١ .
- [١٦] فقه السنة ج١ ص٣٣ .
- [١٧] مسلم كتاب الرضاع باب غير متاع الدنيا المرأة الصالحة ج٤ ص١٧٨ .

- [١٧] صحيح سنن النسائي كتاب عشرة النساء باب حب النساء . الحديث رقم ٣٦٨٠ . وانظر صحيح الجامع الصغير ، الحديث رقم ٣١١٩ .
- [١٨] صحيح سنن أبي داود كتاب الأضاحي باب النهي أن تصبر البهائم ، والرفق بالذبيحة الحديث رقم ٢٤٤١ .
- [١٩] البخاري كتاب فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن ج ١٠ ص ٤٧٢ .
- [١٩] زاد المعاد ج ٣ ص ٢٣٩ (طبعة المكتبة القيمة - القاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ - سنة ١٩٨٩ م) .
- [٢٠] البخاري كتاب النكاح باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله ج ١١ ص ١٣٦ مسلم كتاب النكاح باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع ج ٤ ص ١٥٥ .
- [٢١] البخاري كتاب اللباس باب المتفلجات للحسن ج ١٢ ص ٤٩٤ مسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواهمة والنامصة والمتنصصة ج ٦ ص ١٦٦ .
- [٢٢] البخاري كتاب اللباس باب وصل الشعر ج ١٢ ص ٤٩٧ .
- [٢٣] صحيح الجامع الصغير الحديث رقم ٣٢٩٤ .
- [٢٤] البخاري كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ج ٥ ص ١١٢ .
- [٢٥] مجمع الزوائد كتاب النكاح باب حق المرأة على الزوج ج ٤ ص ٣٠١ وقال الحافظ الميمني : رواه الطبراني ورجاله ثقات .
- [٢٦] مجمع الزوائد كتاب النكاح باب حق المرأة على الزوج ج ٤ ص ٣٠١ وقال الحافظ الميمني : رواه أحمد ورجاله ثقات .
- [٢٧] مسلم كتاب الحج باب ما يلزم من طاف بالبيت وسمى من البقاء على الإحرام وترك التحلل ج ٤ ص ٥٥٥ .
- [٢٨] مسلم كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ ج ٤ ص ٤٠٥ .
- [٢٩] البخاري كتاب اللباس باب الحرير للنساء ج ١٢ ص ٤١٦ .
- [٣٠] البخاري كتاب المغازي باب حدثني عبد الله بن محمد الجمعي ج ٨ ص ٣١٣ مسلم كتاب الطلاق باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها ج ٤ ص ٢٠١ .
- [٣١] نقلا عن كتاب حجاب المرأة المسلمة للشيخ ناصر الدين الألباني قال أخرجه الإمام أحمد من طريقين أحدهما صحيح والآخر حسن .
- [٣٢] البخاري كتاب النكاح باب تزويج الثيات ج ١١ ص ٢٢ مسلم كتاب الإمارة باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلا لمن ورد من سفر ج ٦ ص ٥٥٥ .
- [٣٣] صحيح سنن أبي داود كتاب المناسك باب ما يلبس المهرم الحديث رقم ١٦١٥ .
- [٣٤] مجمع الزوائد كتاب الحج باب ما للنساء ليه وما ليس لمن ج ٣ ص ٢٢ وقال الحافظ الميمني : رواه الطبراني في الكبير وفيه حكمة بنت أمية روى عنها ابن جريج ولم يتكلم فيها أحد واحتج بروايتها أبو داود ، وبقي رجاله رجال الصحيح .
- [٣٥] صحيح سنن أبي داود كتاب اللباس باب من كره (أي لبس الحرير) حديث رقم ٣٤١٥ .
- [٣٦] البخاري كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة ج ٣ ص ٤١٢ مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه ج ٧ ص ١٤٥ .

- [٣٧] البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى ﷺ ج ٧ ص ٣٨١ مسلم كتاب الفضائل باب فى صفة النبى ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجها ج ٧ ص ٨٣ .
- [٣٨] البخارى كتاب اللباس باب البرود والخير والشملة ج ١٢ ص ٣٩١ مسلم كتاب اللباس والزينة باب فصل لباس ثياب الحبرة ج ٦ ص ١٤٤ .
- [٣٩] فتح البارى ج ١٢ ص ٣٩١ .
- [٣٩] البخارى كتاب اللباس باب ترجيل الحائض زوجها ج ١٢ ص ٤٩٠ .
- [٤٠] البخارى كتاب اللباس باب الترجيل والتميم فيه ج ١٢ ص ٤٩٠ مسلم كتاب الطهارة باب التيمم فى الطهور وغيره ج ١ ص ١٥٥ .
- [٤١] البخارى كتاب اللباس باب الفرق ج ١٢ ص ٤٨٣ مسلم كتاب الفضائل باب فى مدل النبى ﷺ شعره وفرقه ج ٧ ص ٨٣ .
- [٤٢] مسلم كتاب الحج باب الطيب للمحرم عند الإحرام ج ٤ ص ١٢ .
- [٤٣] البخارى كتاب اللباس باب ما يستحب من الطيب ج ١٢ ص ٤٩٢ مسلم كتاب الحج باب الطيب للمحرم عند الإحرام ج ٤ ص ١١ .
- [٤٤] مسلم كتاب الألفاظ من الأدب باب استعمال المسك ج ٧ ص ٤٨ .
- [٤٥] البخارى كتاب اللباس باب تقليم الأظفار ج ١٢ ص ٤٧٠ .
- [٤٦] البخارى كتاب النكاح باب تزويج النيات ج ١١ ص ٢٢ مسلم كتاب الإمارة باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلا لمن ورد من سفر ج ٦ ص ٥٦ .
- [٤٧] فتح البارى ج ١٢ ص ٤٦٤ .
- [٤٨] البخارى كتاب اللباس باب تقليم الأظفار ج ١٢ ص ٤٧٠ .
- [٤٩] نقلا عن فتح البارى ج ١ ص ٣٩١ .
- [٥٠] مسلم كتاب الحيض باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له وغسل الفرج إذا أراد أن يأكل أو يشرب أو ينام أو يجامع ج ١ ص ١٧١ .
- [٥١] فتح البارى ج ١ ص ٣٩١ .
- [٥٢] زاد المعاد ج ٣ ص ٢٣٨ .
- [٥٣] البخارى كتاب النفقات باب عون المرأة زوجها فى ولده ج ١١ ص ٤٤٢ مسلم كتاب الرضاع باب استحباب نكاح البكر ج ٤ ص ١٧٦ .
- [٥٤] انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى رقم ١٣١ .
- [٥٥] البخارى كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل ج ١١ ص ١٦٤ مسلم كتاب فضائل الصحابة باب ذكر حديث أم زرع ج ٧ ص ١٣٩ .
- [٥٥] فتح البارى ج ١١ ص ١٨٥ .
- [٥٦] البخارى كتاب النكاح باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم فى غير ربة ج ١١ ص ٢٥٠ مسلم كتاب صلاة العيدين باب الرخصة فى اللعب الذى لا معصية فيه فى أيام العيد ج ٣ ص ٢٢ .
- [٥٧] مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سورها والانتكاه فى حجرها وقراءة القرآن فى ج ١ ص ١٦٨ .
- [٥٨] البخارى كتاب التيمم ج ١ ص ٤٤٨ مسلم كتاب التيمم ج ١ ص ١٩١ .
- [٥٩] البخارى كتاب الحيض باب قراءة الرجل فى حجر امرأته وهى حائض ج ١ ص ٤١٧ مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله ج ١ ص ١٦٩ .

- [٦٠] البخارى كتاب العيدين باب الحراب والبرق يوم العيد ج٣ ص٩٥ مسلم كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب ج٣ ص٢٢ .
- [٦١] البخارى كتاب الحيض باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله ج١ ص٤١٧ مسلم كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله ج١ ص١٦٨ .
- [٦٢] الموطأ كتاب الطهارة باب جامع غسل الجنابة ج١ ص٥٢ .
- [٦٣] البخارى كتاب الصوم باب القبلة للصائم ج٥ ص٥٤ .
- [٦٤] موارد الظمان لابن حبان الحديث رقم ٩٠٥ .
- [٦٥] الموطأ كتاب الصيام باب ما جاء في الرخصة في القبلة للصائم ج١ ص٢٩٢ .
- [٦٦] البخارى كتاب النكاح باب نكاح الأبكار ج١١ ص٢٤ .
- [٦٧] فتح البارى ج١١ ص٢٣ .
- [٦٨] صحيح سنن ابن ماجة كتاب النكاح باب تزويج الأبكار الحديث رقم ١٥٠٨ .
- [٦٩] الموطأ كتاب الطهارة باب ما ينخل للرجل من امرأته وهى حائض ج١ ص٥٧ .
- [٧٠] صحيح سنن أبى داود كتاب الطهارة باب في المذى الحديث رقم ١٩٧ .
- [٧١] موطأ مالك كتاب الرضاع باب ما جاء في الرضاعة بعد الكبر ج٢ ص٦٠٧ .
- [٧٢] البخارى كتاب البيوع باب شراء الدواب والحمير ج٥ ص٢٢٤ مسلم كتاب الرضاع باب استحباب نكاح البكر ج٤ ص١٧٧ .
- [٧٣] فتح البارى ج١١ ص٢٥٦ .
- [٧٤] البخارى كتاب التفسير سورة البقرة باب - نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ج٩ ص٢٥٥ مسلم كتاب النكاح باب جواز جماع امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها ج٤ ص١٥٦ .
- [٧٥] صحيح سنن أبى داود كتاب النكاح باب في جامع النكاح الحديث رقم ١٨٩٦ .
- [٧٦] نقلاً عن آداب الزفاف للشيخ ناصر الدين الألبانى ص٢٨ ، وقال الشيخ ناصر : إسناده صحيح على شرط مسلم (الطبعة الخامسة المكتب الإسلامى) .
- [٧٧] صحيح سنن الترمذى أبواب تفسير القرآن ومن سورة البقرة الحديث رقم ٢٣٨١ .
- [٧٨] البخارى كتاب الغسل باب الوضوء قبل الغسل ج١ ص٣٧٦ .
- [٧٩] البخارى كتاب الغسل باب الغسل مرة واحدة ج١ ص٣٨٣ مسلم كتاب الحيض باب صفة غسل الجنابة ج١ ص١٧٥ .
- [٨٠] البخارى كتاب الغسل باب هل يدخلجنب يده في الإناء قبل أن يغسلها ج١ ص٣٨٩ مسلم كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة ج١ ص١٧٦ .
- [٨١] فتح البارى ج١ ص٣٧٨ .
- [٨٢] صحيح سنن أبى داود كتاب الحمام باب ما جاء في التعرى الحديث رقم ٣٣٩١ .
- [٨٣] نقلاً عن آداب الزفاف في السنة المطهرة للشيخ ناصر الدين الألبانى ص٣٥ (الطبعة الخامسة المكتب الإسلامى) .
- [٨٤] مسلم كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة ج١ ص١٧٦ .
- [٨٤] صحيح سنن النسائى كتاب الطهارة باب ذكر اغتسال الرجل والمرأة من نساءه من إناء واحد حديث رقم ٢٣١ .

- [٨٥] البخارى كتاب الصوم باب القيلة للصائم ج٥ ص٤٥ مسلم كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء فى غسل الجنابة ج١ ص١٧٧ .
- [٨٦] مسلم كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء فى غسل الجنابة ج١ ص١٧٦ .

الفصل السابع

هَدَى النَبِي ﷺ فِي الزَّوْاجِ وَالِاسْتِمَاعِ

هَدَى النَّبِيُّ ﷺ فِي الزَّوْجِ وَالِاسْتِمْتَاعِ

تمهيد : لماذا الحساسية المفرطة إزاء المتعة الجنسية في حياته ﷺ ؟

إذا كان لدينا حساسية مفرطة إزاء المتعة الجنسية بصفة عامة ، فهي أشد وأطغى إذا تعلق الأمر بالرسول ﷺ . وهذا كله أمر مؤسف ، وهو مظهر من مظاهر تخلف المسلمين عن فهم دينهم ، والاستمساك بآدابه القويمة من ناحية والرفيعة من ناحية . قويمة لأنها تستقيم بها حياة المسلم والمسلمة ، أى تقوم عليها حياة سوية لا عوج فيها ولا شطط ، ولا إفراط ولا تفريط ، ثم هى آداب رفيعة لأنها كفيلة برفع متبعها إلى أعلى درجات السمو . فلو فهمنا ديننا من نصوصه الثابتة الصحيحة فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لما كان هناك مجال للحساسية المفرطة . وإذا أمكننا أن نستخلص مما ورد فى المقدمات عن تصور الإسلام للسمو الروحى ، أن هذا السمو لا يتعارض مع المتعة الجنسية الحلال ، ثم أمكننا أن نستخلص مما ورد عن الثقافة الجنسية والحياء ، أن الحياء السوى لا يتنافى مع الحديث الجاد عن الأمور الجنسية ، بل يتنافى مع القول الفاحش البذى ومع الفعل الفاجر الدنى . إذا فهمنا هذا وذاك وخلصنا إليهما ، استطعنا أن نعالج موضوع المتعة الجنسية فى حياة الرسول ﷺ بيسر وسهولة ، كما نعالج موضوع العبادة أو الجهاد فى حياته ﷺ سواء بسواء . ورحم الله أسلافنا الأولين ، فقد رأوا من الصدق والأمانة والإحسان أن يحفظوا لنا سنة رسول الله ﷺ فى أمور الجنس ، خلال سلسلة طويلة من الرواة بعضها رجال وبعضها نساء ، تماماً كما حفظوا لنا سنته فى العبادات وجميع المعاملات ، فكلها سنة واجب نقلها ، وكلها علم واجب تبليغه . وإذا كانت السنة النبوية قد بينت لنا - بكل وضوح وجلاء - طريق الخير وطريق الشر ، فما الفرق بين أن يكون الخير أو الشر فى مجال البيوع أو الهبات أو الحدود ، أو فى مجال المتعة الجنسية ؟! . والسنة كما نعلم تشمل ماورد عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، وعلى ذلك فأفعاله فى مجال الاستمتاع جزء من السنة ، وقد حرص رسول الله ﷺ على أن يعلم المسلمين كل شئ يفيدهم فى حياتهم ، وقد وعى المشركون هذا الحرص وصرحوا به :

— فعن سلمان قال : قال لنا المشركون : قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخِزاة^(١) . فقال : أجل إنه نهانا أن يستنجى أحدنا بيمينه أو يستقبل القلة ، ونهى عن الرُّوث^(٢) والعظام . وقال : لا يستنجى أحدكم بدون ثلاثة أحجار .
[رواه مسلم]^[١]

ومما يزيد الحساسية في موضوع الرسول والمتعة الجنسية ، موقف المستشرقين في العصر الحديث ، فقد راحوا يشيرون الغبار الكثيف حول هذا الموضوع . وهم في هذا ينطلقون من تصورهم النصراني المنحرف ، القائم على أن كمال الإنسان الروحي هو باتجاهه إلى الرهبانية ، أى بعده عن شهوات الدنيا ومنها الشهوة الجنسية ، فقالوا: كيف يليق برسول كريم أن يمارس المتعة الجنسية ، بصورة تزيد درجات عن ممارسة الفرد من عامة المسلمين؟! وهم يشيرون بذلك إلى زوجات الرسول ﷺ التسع . وقد سبق يهود العهد النبوي المستشرقين المعاصرين في إثارة مثل هذا الغبار ، ومن ذلك ما نقله ابن جرير الطبري من روايات في تفسير قوله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ . (سورة النساء الآية : ٥٤)

(عن ابن عباس قال : إن أهل الكتاب قالوا : زعم محمد أنه أوتى ما أوتى في تواضع ، وله تسع نسوة ، ليس همه إلا النكاح ! فأى ملك أفضل من هذا ؟ فقال الله ﷻ ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾) .^١

(وعن الضحاك قال : إن اليهود قالوا : ما شأن محمد أعطى النبوة كما يزعم ، وهو جائع عار ، وليس له هم إلا نكاح النساء ، فحسدوه على تزويج الأزواج ، وأحل الله ﷻ لمحمد أن ينكح منهن ما شاء أن ينكح)^[٢] .

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر — محقق كتاب الطبري — في تعليق له على تفسير هذه الآية :

(وقد أسلفت أن مقالة اليهود هذه ، قد تلقفها من بعدهم أهل الضغن على محمد رسول الله ، ولا يزالون يشتمونها في كتبهم ، وقد تعلق بها أشياهم من أهل الضلالة المتعبدین لسادتهم من المستشرقين في زماننا هذا)^[٣] .

(١) الحرامنة : التغوط (أى قضاء الحاجة) .

(٢) الروث : رجيع (أى فضلات) الحيوان ذى الحافر .

وورد في الطبقات الكبرى لابن سعد :

(عن عمر مولى غفرة قال : قالت يهود لما رأَت رسول الله يتزوج النساء : انظروا إلى هذا الذي لا يشبع من الطعام ، ولا والله ماله همة إلا النساء ، وحسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك وقالوا : لو كان نبيا ما رغب في النساء . وكان أشدهم في ذلك حتى بن أخطب . فأكذبهم الله وأخبرهم بفضل الله وسعته على نبيه فقال : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ يعنى بالناس رسول الله ﷺ - ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ [١٣] .

وأحب أن أوضح أنني أقصر حديثي هنا على ما يثيره المستشرقون من حقائق حول هذا الموضوع . أما الأباطيل التي تعود بعضهم إثارتها ، فيكفى في الرد عليها ما صدر عن مسلمين من كتابات ، وأحسب أن لا حاجة لمزيد .

إنه من المؤسف حقا أن نقف نحن المسلمين من أقوال المستشرقين هذا الموقف الخاطيء المتخاذل . وإنه لخطأ مضاعف أضعافا كثيرة ، مرة حين حَكَمُوا تصورهم المنحرف للسمو الروحي ، وقالوا لا يلتقى السمو الروحي مع ممارسة المتعة الجنسية ، فسلمنا لهم بالتصور المنحرف بدلا من تصحيحه . وأخطأنا مرة ثانية حين سقنا نصوصا ضعيفة أو موضوعة ، تدافع عن هذا التصور المنحرف . ومرة ثالثة حين نفينا أن يكون رسولنا الكريم ﷺ محبا للنساء ، وذهبنا نسوغ تعدد أزواجه بمسوغات سياسية واجتماعية - قوية أو واهية - (*) وكأن الرغبة في الاستمتاع الحلال الطيب لا تليق بمقامه الكريم . ومرة رابعة حين اجتهدنا في طمس النصوص الصريحة المتعلقة بالمتعة الجنسية ، وكأننا نحجب بأصابعنا ضوء الشمس !. أما إذا شئنا أن نكون صادقين مع أنفسنا ومع رسولنا ﷺ ، ثم مع نصوص ديننا ، ثم مع الناس جميعا بمختلف مللهم ونحلهم ، فلندع الشمس تلقى بأشعتها أولا على

(*) نحن لا ننفي احتمال وجود مبررات قوية سياسية واجتماعية لتعدد أزواجه ﷺ ، ونقول احتمال لأنه لم يرد أى تصريح بتلك المبررات على لسان الرسول ﷺ ولا لسان أصحابه ، إلا إذا اعتبرنا ما يحف وقائع الزواج من معال الأمور ، مبررات للتعدد . ونحن لا نعددها كذلك بل نعد تحرى معال الأمور مما يصاحب سلوكه ﷺ في جميع المجالات ، ومنها مجال الزواج . وهذا لا ينفي توافر الرغبة الإنسانية السوية في الزواج والاستمتاع . وبما يؤكد توافر تلك الرغبة الإنسانية ، أن الله تعالى يشير إلى أن الإعجاب بالحسن كان من دواعي إقدامه ﷺ على الزواج ، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ﴾ .

مبادئ هذا الدين المتين ، لتعرف ويعرف الناس معنى السمو الروحي ، وأنه هو التقوى وهو الإحسان ، والإنسان التقى المحسن هو الإنسان المطيع لله في كل أمره ، فيأتي ما استطاع مما أمر الله ، وينتهي عن كل ما نهى الله . وصدق رسول الله ﷺ :

— فمن أتى هريرة عن النبي ﷺ قال : « فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » .

[رواه البخارى ومسلم] [٤]

فالمؤمن يطيع الله في أداء شعائر العبادة ، كما يطيعه في السعى وراء معاشه ، وكما يطيعه في تحرى شرعه ، حين يسعى لتحقيق رغباته ، من مأكل ومشرب ومسكن وملبس ، ومن متعة جنسية أيضا . هكذا يطيع الله في كل عمل يعمل به ، وفي كل خطوة يخطوها وفي كل كلمة يقولها . فإذا أطاع المسلم ربه في كل أموره وأحسن الطاعة ، كان من المتقين وكان من المحسنين . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (سورة النحل الآية : ١٢٨)

ولندع الشمس بعد ذلك تلقى بأشعتها على النصوص الصحيحة الموثقة ، المتصلة بالمتعة الجنسية بصفة عامة ، والمتعلق منها برسول الله ﷺ بصفة خاصة ، لنراها نحن المسلمين أولا— فإنه يبدو كأن بعضنا لم يرها— ثم ليراهم معنا الناس جميعا ، فنهتدى نحن بها ، ونقول حين نقول على بينة منها ، ونعمل حين نعمل على ضوئها ، ولنعلمها الناس ويتبينوها بجلاء . قال تعالى : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . (سورة الأنفال الآية : ٤٢)



التوازن بين الزواج والاستمتاع وبين الطموح إلى معالي الأمور

(في حياة الرسول ﷺ)

الطموح الدائم إلى معالي الأمور :

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد وسع على رسوله ببعض الخصوصيات في الزواج والاستمتاع ، أى في مجال المتعة الجنسية ، كما سيتضح لنا بعد قليل ، فإنه سبحانه قد حبا رسوله - مع هذه الخصوصيات - بصفات رفيعة معجزة لا ينعم بها غير أولى العزم من الرسل . ومحور هذه الصفات جميعها الطموح الدائم إلى الكمال ومعالي الأمور .

إن هذا الطموح قد يشارك الرسول الكريم ﷺ فيه فريق من عباد الله الصالحين . ولكن يظل الرسول ﷺ هنا في المقام الرفيع من الطموح ، بحيث لا يدانيه أحد بل يقتدى به كل أحد وصدق الله العظيم : ﴿ وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وصدقت عائشة الصديقة : « كان خلقه القرآن »^[٥] . ومن كان في مكان رسول الله ﷺ لا يسمو طموحه في جانب من جوانب الحياة ويهبط في جانب آخر ، ولا يمتد طموحه ساعة ويتخلف ساعة أخرى . إنما هو طموح عريض دائب يشمل جوانب حياته ﷺ كلها ، ومدى عمره كله . لذا من الطبيعي أن نلمس هذا الطموح يصاحب كل زواج له ﷺ ، بل يصاحب كل تصرفاته مع زوجاته . إن آيات الكتاب العزيز والأحاديث النبوية الشريفة تنص صراحة على أن زواج النبي ﷺ كان زواجا إنسانيا سويا ، أى كان لتحقيق أهداف الزواج الإنسانية المشروعة ، وهي الرغبة في الاستمتاع مع الصحبة المؤنسة ، والمشاركة في الحياة بصفة عامة . أما أن يصحب الزواج السوى أهداف أخرى رفيعة ، فهو أمر مندوب إليه ، وهو الألقى بكرام الرجال ، فما بالك بأكرم الرجال . ولكن هذا كله ، لا يجعلنا نصرف زواج الرسول الكريم عن هدفه المشروع الطيب .

وإننا لتساءل : هل يعنى حب الرجل للنساء ، أن يكون الإنسان حتما أسير شهواته ، هابط الهمة ضعيف المروءة ؟ . نعتقد أن الأمر ليس كذلك ، فالرجال في هذا الأمر أصناف : صنف يغلبه هذا الحب على عقله وقلبه ، حتى

يعضى لايهمه غير تحقيق شهرته ، من أية طريق وبأية صورة . وصنف يملك نفسه ويتحرى في تحقيق شهرته الحلال الطيب . وصنف ثالث لا يقف عند تحرى الحلال ، بل يضيف إلى الحلال سمو المستوى ورفعته ، وكذلك يتحرى الحلال والسمو والرفعة في صناعته وتجارته وعلاقاته مع الناس . وهذا هو شأن رسولنا الكريم ﷺ ، فهو إن كان يحب النساء فحبه للمكرمات أكبر .

إن الإنسان إما أن يشرع له تحقيق شهرته وإما لا يشرع ، فإن شرع التحقيق فليس هناك بُدٌّ من تحرى الحلال أولا ، ثم يكون التفاضل بين الناس فيما يضيفون إلى الحلال من معاني الشرف والسمو . ولا يقال هنا إن في التنزه عن ممارسة الشهوة شرفا وسموا، لأن التنزه هنا يعنى تعاليا على الشرع ، واستدراكا على الشارع . وصدق الشوكاني حيث يقول « لا يشرع التنزه عن فعل الشيء الحلال فليس في ترك الحلال ورع »^[٦] . وهذا ما وقع فيه الرهبان حين ابتدعوا الرهبانية ، وكاد أن يقع فيه بعض الصحابة لولا أن تصدى لهم رسول الله ﷺ ، ونعم التصدى الذى يثد الفتنة في مهدها ، ويقتلع بذور الغلو قبل أن تنبت فضلا عن أن تثمر ، والغلو لا يثمر غير الاعتساف والعنت والكبت^(*) ، بل الانقلاب إلى الضد .

وقبل أن نعرض نماذج من طموح الرسول ﷺ لمعالى الأمور ، سواء عند اختياره لزوجاته أو خلال صحبته هن ، نعرض نموذجين اثنين من توجيه الرسول ﷺ لأصحابه :

أول النموذجين : حَضُّهُ ﷺ على الطموح لمعالى الأمور عند الإقدام على الزواج :

- فعن أنى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : تنكح المرأة لأربع : لماها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك^(١) .

[رواه البخارى ومسلم]^[٧]

(*) انظر حديث الثلاثة الذين استقلوا عبادة رسول الله ﷺ وقال أحدهم : أنا أعزّل النساء فلا أنزوح أبدا ... ص ٢٤ .

(١) تربت يداك : دعاء في الأصل بمعنى صارت يداك على التراب . وهى من الألفاظ التى تطلق ولا يراد بها ظاهرها .

وثاني التهودجين : دعاؤه ﷺ لأحد أصحابه بالبركة حين برز طموحه للمعالي :

- فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ... قال لى رسول الله ﷺ : تزوجت يا جابر ؟ فقلت : نعم ، فقال : أبكرا أم ثيبا^(١) ؟ قلت : بل ثيبا ، قال : فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك ، وتضاحكها وتضاحكك ؟ قال فقلت له : إن عبد الله (يقصد أباه) هلك وترك بنات ، وإنى كرهت أن أجيئن بمثلهن ، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحنهن . فقال : بارك الله لك .

[رواه البخارى ومسلم]^[٨]

غاذج من طموحه ﷺ لمعالي الأمور عند اختيار الزوجات :

وغمر مرورا سريعا على وقائع زواجه ﷺ ، لنلمس ما روعى عند اختيار كل زوجة من معالي الأمور ، لتصاحب هذه المعالي الدافع الفطرى فى الزواج والاستمتاع .

فزواجه ﷺ من عائشة - فضلا عن اصطفاء الله لها لتكون له زوجة - كان يشجع عليه كونها ابنة أبى بكر الصديق ، الذى قال فيه رسول الله ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلا لا اتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخى وصاحبى »^[٩] فزواجه من ابنته إكرام له ، وإكرام الصديق عمل طيب كريم .

وزواجه ﷺ من أم سلمة فيه مواساة لامرأة صالحة ، هاجرت إلى الحبشة ثم إلى المدينة وتحملت فى سبيل ذلك الكثير ، ثم امتثلت لشرع الله فلم تُنح على زوجها يوم مات رغم حبها وتقديرها له :

- فعن أم سلمة قالت : لما مات أبوسلمة قلت : غريب وفى أرض غربة^(٢) لأبكيه بكاء يتحدث عنه ، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه ، إذ أقبلت امرأة من الصعيد^(٣) تريد أن تُسعدنى^(٤) ، فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال : أتريدين

(١) ثيبا : أى سبق لها الزواج .

(٢) فى أرض غربة : أى أنه من أهل مكة ومات بالمدينة .

(٣) الصعيد : عوالى المدينة .

(٤) تسعدنى : تساعدنى فى البكاء والنواح . والإسعاد قيام المرأة مع الأخرى فى النياح ترأسلها (أى تبادلها) ، وهو خاص بهذا المعنى ولا يستعمل إلا فى البكاء والمساعدة عليه .

أن تدخل الشيطان بيتا أخرجه الله منه مرتين فكففت عن البكاء فلم أبك .
[رواه مسلم] ^[١٠]

ثم كانت أم سلمة وفية لزوجها بعد موته : فعنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : « إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أجرني ^(١) في مصيبي وأخلف ^(٢) لي خيرا منها » إلا أخلف الله له خيرا منها . قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خير من أي سلمة ، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ؟ ثم إنى قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ .

[رواه مسلم] ^[١١]

وزواجه ﷺ من حفصة بنت عمر بعد أن مات زوجها ، فيه تكريم لعمر ، الذي كان نصر الإسلام وإعلاء كلمته في مكة - بعد أن كانت مستخفية - على يديه ، ثم كانت مكانته عند رسول الله ﷺ في المرتبة الثانية بعد أي بكر .

وزواجه ﷺ من أم حبيبة ، تلك المرأة التي هاجرت إلى الحبشة مع المهاجرين الأول ، ورغم تنصر زوجها ثبتت هي على دينها وهجرتها .

أما زواجه ﷺ من صفية بنت حيى بن أخطب فيحتاج إلى مزيد تأمل ، حقا إنها كانت جميلة لكنها مع جمالها كانت ابنة سيد بنى قريظة ، وقيل زوجها في غزوة خيبر ، وكانت وقعت في سهم أحد الصحابة ، فكان في اصطفاء الرسول ﷺ لها - وهو إمام المسلمين - نوع من التكريم ، يخفف من آلامها ، ويعوضها عما فقدته . وصدق الصحابي الكريم الذي قال للنبي ﷺ : صفية بنت حيى سيد قريظة والنضير لا تصلح إلا لك ^[١٢] .

وكذلك كان الأمر مع جويرة ، فهي أيضا كانت جميلة لكنها مع جمالها كان أبوها الحارث سيد قومه بنى المصطلق ^[١٣] . وكانت قد وقعت في سهم واحد من

(١) اللهم أجرني في من الأجر وهو الثواب .

(٢) وأخلف لي : ارزقني بديلا أو خلفا مما فقدته .

الصحابة وصرحت بذلك للنبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث ، وإنما كان من أمرى مالا يخفى عليك ، وإنى وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، وإنى كاتبته على نفسى ، فجئتك أسألك في كتابتى . فقال رسول الله ﷺ : فهل لك إلى ما هو خير منه ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : قد فعلت^[١٤] .

فكان في اصطفاء الرسول ﷺ لها - وهو إمام المسلمين - نوع من التكريم ، ورفع لما أصابها من مذلة بسبب وقوعها في الأسر . وشاء الله أن تتزوج هذه المكرمة من رسول الله ﷺ بخاتمة طيبة لهذا الزواج ، قالت عائشة : فسمع الناس أن رسول الله ﷺ ، قد تزوج جويرية ، فأرسلوا ما في أيديهم من السبى ، فأعتقوهم ، وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ . فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، أُعتِق في سببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق^[١٥] .

نموذج من طموحه ﷺ إلى المعالي خلال صحبة الزوجات :

إننا إذا رغبت في تلمس نماذج الطموح إلى المعالي خلال صحبة الرسول ﷺ لزوجاته ، فسوف نجد منها الكثير حتى لا يكاد يخلو سلوك له ﷺ إلا وبنىء عن هذا الطموح . لكننا حرصا على الاختصار ، نكتفى بذكر نموذج واحد فيه البيان الشافي ، وفيه الغناء ، إذ يبلغ هذا النموذج ذروة الكمال :

- فعن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ ، فعرف استئذان خديجة فارتاع^(١) لذلك فقال : اللهم هالة : قالت : فَعِرْتُ فَقُلْتُ : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين^(٢) هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها ! (وفي رواية عند أحمد^[١٦] : فقال رسول الله ﷺ : ما أبدلنى الله خيرا منها ، آمنت بى إذ كفر بى الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بماها إذ حرمنى الناس) .

[١٧] [رواه البخارى ومسلم]

(١) فارتاع : فرح .

(٢) حمراء الشدقين : كُتت بذلك عن سقوط أسنانها حتى لا يبقى داخل فيها إلا اللحم الأحمر من اللثة .

- وعن عائشة قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ومارأتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها . وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء^(١) ، ثم يعثنها في صدائق^(٢) خديجة . فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد (وفي رواية^[١٨] : إني قد رزقت حبها) .

[رواه البخارى ومسلم]^[١٩]

- وعن عائشة أن امرأة أتت النبي ﷺ فقُرِبَ إليه لحم فجعل يناولها . قالت عائشة فقلت : يا رسول الله لا تُعمر يدك^(٣) فقال ﷺ : يا عائشة إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان^[٢٠] .

لتأمل هذه النصوص ثم لتأمل بعدها تلك النصوص التي سبق أن أوردناها عن حب الرسول ﷺ لعائشة^(*) . ومنها ذلك النص الذي يسأل فيه أحد الصحابة : أى الناس أحب إليك ؟ فيقول ﷺ : « عائشة » . إننا سندرك بعد هذا التأمل كيف يخطيء خطأ كبيرا من يظن أن حبه ﷺ لعائشة - تلك المرأة البكر الجميلة المثقفة الذكية - أنساه حبه لخديجة وفضل خديجة ، تلك المرأة الشيب الكبيرة السن . إن النصوص تبين أنه يوم ظنت عائشة الصغيرة الجميلة ، أنها أخذت مكان تلك التي سمها « العجوز » ، صدر عنه ﷺ أقوال وأفعال ، تنبئ عن كل التقدير ، وكل الإعزاز ، وكل الوفاء ، لتلك « العجوز » . وهكذا برز الطموح لمعالى الأمور في أجلى صوره ، ورجح على الإعجاب بالوضاءة والجمال .



(١) يقطعها أعضاء : يقطعها أجزاء .

(٢) صدائق : صديقات .

(٣) لا تعمر يدك : أى لا تجعل يدك يعلق بها ربح اللحم ودمه .

(*) انظر الجزء الخامس ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

نماذج من طموحه ﷺ في مجال العبادة :

• قيام الليل

(١)

قال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الزَّيْلُ﴾ ١ ﴿وَالَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٢ يَضْفَعُهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَزَلَ الْقُرْآنَ أَنْ تَرْتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ٦ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ٧ ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا﴾ ٨ ﴿طَوِيلًا﴾ ٩ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ ١٠ إِلَيْهِ تَبَتُّيلًا ١١ ﴿

(سورة المزمل الآيات : ١ - ٨) .

- عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يصلى إحدى عشرة ركعة - تعنى في الليل - (وفي رواية [٢١]) فلا تسأل عن حسنهن وطولهن) ويسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادى للصلاة .

[رواه البخارى : ٢٢]

- عن عائشة قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش ، فالتحمته فوقعت يدى على بطن قدميه ، وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

[رواه مسلم : ٢٣]

(١) المزمل : أى المتلفف بتيابه ، وذلك حين مجيء الروحى لرسول الله ﷺ له .

(٢) ناشئة الليل : القيام بعد النوم .

(٣) أقوم قبيلاً : أبين قولاً .

(٤) سبحاً طويلاً : تصرفاً فى أشغالك .

(٥) تبتل إليه تبتيلاً : أخلص لله تعالى ، وانقطع إليه فى العبادة بالليل .

– عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تنفطر^(١) قدماه ، فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا ؟ فلما كثر لحمه صلى جالسا ، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع .
[رواه البخارى] [٢٤]

– عن حذيفة قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت : يصلى بها في ركعة ، فمضى فقلت : يركع بها . ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مُتَرَسِّلًا^(٢) ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ . ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربي العظيم ، فكان ركوعه نحوا من قيامه ، ثم قال : سمع الله لمن حمده . ثم قام طويلا قريبا مما ركع ، ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى ، فكان سجوده قريبا من قيامه .
[رواه مسلم] [٢٥]

● زيارة القبور آخر الليل :

– عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله ﷺ (كلما كان ليلتها من رسول الله) يخرج من آخر الليل إلى البقيع^(٣) ، فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأناكم ما توعدون غدا^(٤) ، مؤجلون^(٥) ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد^(٦) .
[رواه مسلم] [٢٦]

(١) تنفطر قدماه : أى تشقق قدماه .

(٢) مترسلا : متمهلا ، يقال ترسل في كلامه وقراءته ومشييه إذا لم يعجل .

(٣) البقيع : مقبرة أهل المدينة .

(٤) أناكم ما توعدون غدا : أى جاءكم ما كنتم توعدون بوقوعه في الغد .

(٥) مؤجلون : أى وأنتم مؤجلون ، والأجل هنا مدة ما بين الموت إلى النشور .

(٦) بقيع الغرقد : البقيع كان ذا شجر يسمى الغرقد وزال الشجر وبقي الاسم .

- عن عائشة قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي ، انقلب^(١) فوضع رداءه^(٢) ، وخلع نعليه فوضعهما عند رجله ، وبسط طرف إزاره^(٣) على فراشه ، فاضطجع فلم يلبث إلّا ريثما ظن أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويدا ، وانتعل رويدا^(٤) ، وفتح الباب فخرج ثم أجافه^(٥) رويدا . فجعلت درعي^(٦) في رأسي ، واختمرت^(٧) وتقنعت ازارى^(٨) ، ثم انطلقت على إثره ، حتى جاء البقيع ، فقام فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر^(٩) فأحضرت ، فسبقته فدخلت . فليس إلّا أن اضطجعت ، فدخل فقال : مالك عائشة حَشِيًّا^(١٠) رابية^(١١)؟! قالت

قلت : لا شيء . قال : لتُخبريني أو ليُخبرني اللطيف الخبير . قالت : قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، فأخبرته . قال : فأنت السواد الذي رأيت أمامي ؟ قلت : نعم . فَلَهَدَنِي^(١٢) في صدري لَهْدَةً أوجعتني . ثم قال : أظننت أن يَحِيفَ^(١٣) الله عليك ورسوله . قلت : مهما يكتم الناس يعلمه الله ، نعم ، قال : فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك ، فأجبتهُ فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك^(١٤) ، وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخشيت أن

(١) انقلب : رجع .

(٢) رداءه : الرداء هو الثوب يستر الجزء الأعلى من الجسم فوق الإزار .

(٣) إزاره : الإزار ثوب يخط بالنصف الأسفل من البدن .

(٤) انتعل رويدا : لبس نعله على مهل .

(٥) أجافه : أوى رد الباب .

(٦) درعي : الدرع قميص المرأة .

(٧) اختمرت : ألقيت على رأسي الخمار .

(٨) تقنعت إزارى : أوى غطيت رأسي وبدني بإزارى .

(٩) أحضر : الإحضار هو العدو فوق الهرولة .

(١٠) حشياً : موجوعة الحشا : وكأنها مصابة بالزهر أو بالنهيج الذي يمرض للمسرّع في مشيه .

(١١) رابية : التي أخذها الربو وهو النهيج وتواتر النفس (أى متفخة الصدر من غنى أو فرع) .

(١٢) لهدني : أى دقني .

(١٣) يحيف الله عليك ورسوله : من الحيف وهو الجور . أى ظننت أن قد ظلمتك يجعل نوبتك لغيرك

(١٤) وضعت ثيابك : خلعت ثيابك .

تستوحشى^(١) فقال : إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم .
 قالت قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولى السلام على أهل
 الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ،
 وإنا إن شاء الله بكم للاحقون .

[رواه مسلم] [٢٧]

صيام التطوع :

- عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى
 نظن أن لا يصوم منه ، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئا . وكان
 لا تشاء تراه من الليل مصليا إلا رأيته ، ولا نائما إلا رأيته .

[رواه البخارى] [٢٨]

- عن أنس رضى الله عنه قال : واصل النبى ﷺ آخر الشهر وواصل أناس
 من الناس ، فبلغ النبى ﷺ فقال : لو مُدِّى الشهر لواصلت وصالا يدع
 المتعمقون^(٢) تعمقهم . إني لست مثلكم ، إني أظل يطعمنى ربي ويسقن
 (وفى رواية^[٢٩] قال : إياكم والوصال مرتين . قيل : إنك تواصل . قال :
 إني أبيت يطعمنى ربي ويسقن ، فاكلفوا من العمل ما تطيقون) .

[رواه البخارى ومسلم] [٣٠]

صلاة الكسوف :

- عن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت : دخلت على عائشة والناس
 يصلون ، قلت : ما شأن الناس ؟ فأشارت برأسها إلى السماء (أى إلى
 كسوف الشمس) فقلت : آية ؟ فأشارت برأسها أى نعم . قالت :
 فأطال رسول الله ﷺ جدا حتى تجلانى الغشى^(٣) (وفى رواية لمسلم عن

(١) تستوحشى : تلحقك وحشة بانفرادك فى ظلمة الليل يقطى .

(٢) يدع المتعمقون تعمقهم : التعمق أى التطمع ، والتعمق البعيد الغور والغالى فى القصد والمشدد فى الأمر .

(٣) تجلانى الغشى : أى أصابتنى حال قربة من الإغماء لطول الوقوف .

جابر^(٣١): في يوم شديد الحر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه فأطال القيام حتى جعلوا يَخْرُونَ^(١) قالت : وإلى جنبى قربة فيها ماء ففتحتها وجعلت أصب منها على رأسي (وفي رواية لمسلم : فأطال القيام حتى رأيتني أريد أن أجلس ، ثم ألفت إلى المرأة الضعيفة فأقول هذه أضعف مني فأقوم . فركع فأطال الركوع ثم رفع رأسه فأطال القيام ، حتى لو أن رجلا جاء خيل إليه أنه لم يركع) فانصرف رسول الله ﷺ وقد تجلت الشمس . فخطب في الناس وحمد الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد . قالت : ولَغِطْ نِسوة^(٢) من الأنصار فانكفأت إليهن^(٣) لأُسكتن .
[رواه البخارى ومسلم]^[٣٢]

نماذج من طموحه ﷺ إلى الكمال في مجال الزهد وخشونة العيش :

● توجيه من الله تعالى لبيه :

(ببالزهد في متاع الدنيا)

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْتَهُمْ^(٤) آزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَتِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾
(سورة طه الآية : ١٣١)

● تكشف النبي ﷺ في المطعم والمشرب :

— عن عائشة رضی الله عنها قالت : ماشبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر^(٥) ثلاث ليال تباعا حتى قبض .
[رواه البخارى ومسلم]^[٣٣]

— عن أبى حازم قال : سألت سهل بن سعد فقلت : هل أكل رسول الله ﷺ الثَّقِيَّ^(٦) ؟ فقال سهل : مارأى رسول الله ﷺ الثَّقِيَّ من حيث ابتعته الله حتى قبضه الله ، قال : فقلت : هل كانت لهم في عهد رسول

(١) يَخْرُونَ : أى يسقطون .
(٢) لَغِطْ نِسوة : أى صوّرن أصواتا مختلطة مبهمّة لا تفهم .
(٣) انكفأت إليهن : توجهت إليهن .
(٤) أزواجاً منهم : أى أصنافاً منهم .
(٥) البر : القمح .
(٦) الثَّقِيُّ : الجيد من الدقيق .

الله مناخل ؟ قال : ما رأى رسول الله ﷺ مُنْخَلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله . قال قلت : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : كنا نطحنه وتنفخه ، فيطير ما طار وما بقي ثَرِينَاهُ^(١) فأكلناه .

[رواه البخارى] [٣٤]

- عن عائشة أم المؤمنين قالت : دخل عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ذات يوم فقال : هل عندكم شيء ؟ فقلنا : لا . قال : فأني صائم . ثم أتانا يوماً آخر فقلنا : يا رسول الله أهْدِيْ لَنَا حَيْسَ^(٢) فقال : أرينيه فلقد أصبحت صائماً ، فأكل .

[رواه مسلم] [٣٥]

- عن أنس رضى الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ أتى بلحم تُصَدَّقُ به على بَرِيرَةَ^(٣) ، فقال : هو عليها صدقة وهو لنا هدية .

[رواه البخارى ومسلم] [٣٦]

• خشونة العيش في بيوت النَّبِيِّ ﷺ :

- عن أُمِّ بَرْدَةَ قال : دخلْتُ على عائشة فأخرجتْ إلينا إزاراً^(٤) غليظاً مما يصنع باليمن ، وكساء من التِّى يسمونها المُلبَّدة^(٥) قال : فأقسمت بالله إن رسول الله ﷺ قُبِضَ^(٦) في هذين الثوبين .

[رواه البخارى ومسلم وهذه رواية مسلم] [٣٧]

- عن عائشة قالت : كان فراش رسول الله ﷺ من أَدَمَ^(٧) وحشوه ليف .

[رواه البخارى ومسلم] [٣٨]

- عن عبد الله قال : نام رسول الله ﷺ على حصير ، فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا : يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وِطَاءً^(٨) ، فقال : مالى وللدينا ، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها .

[رواه الترمذى] [٣٩]

(١) ثَرِينَاهُ : ريشناه بالماء . (٥) المُلبَّدة : المرقعة أو كساء من صوف ملتصق ببعضه ببعض .

(٢) حيس : طعام مصنوع من اللبن المتحجر واتمر والسن (٦) قُبِضَ : مات .

(٣) بَريرة : اسم امرأة كانت أمة ثم أعنت . (٧) أَدَمَ : جلد .

(٤) إزار : ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن . (٨) وِطَاء : مهاد لين لا يؤذى جنب النائم .

— عن عائشة رضى الله عنها قالت : لقد توفى النبي ﷺ وما فى رَفَى من شئ يأكله ذو كبد ، إلا شطر شعير^(١) فى رَف لى ، فأكلت منه حتى طال على .

[رواه البخارى ومسلم] [٤٠]

— عن عمرو بن الحارث قال : مات ترك النبي ﷺ إلا سلاحه وبغلتة البيضاء وأرضا تركها صدقة .

[رواه البخارى] [٤١]

— عن أنس رضى الله عنه أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة سَنَحَة^(٢) ... ولقد سمع النبي ﷺ يقول : ما أمسى عند آل محمد صاع^(٣) بُر ولا صاع حب . وإن عنده لتسع نسوة .

[رواه البخارى] [٤٢]

— عن عائشة رضى الله عنها قالت : توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير .

[رواه البخارى ومسلم] [٤٣]

● تخيير أزواجه ﷺ بين الرضا بالتقشف وبين المفارقة :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ .

(سورة الأحزاب الآيتان : ٢٨ ، ٢٩)

(١) شطر شعير : المراد بالشطر البعض ويقال أرادت نصف وَشَقَّ والوشق شتون صاعا .

(٢) إهالة سَنَحَة : الإهالة ما يؤتى به من الأدهان (جمع دُهْن) والسَّيخ التخمير الريح .

(٣) صاع : الصاع بمكال به وهو أربعة أمداد وللد : ملء الكفين .

- عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا يبابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجما^(١) ساكنا ، قال فقال : لأقولن شيئا أضحكك النبي ﷺ فقال : يا رسول الله لورأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت^(٢) عنقها . فضحك رسول الله ﷺ وقال : هن حولي كما ترى يسألنني النفقة . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده ، فقلن : والله لانسأل رسول الله ﷺ شيئا أبدا ليس عنده . ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين .

[رواه مسلم] [٤٤]

- عن عمر بن الخطاب قال :... صليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ ، فدخل مشربة^(٣) له فاعتزل فيها ... فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير^(٤) ، ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجانبه ، متكئ على وسادة من آدم^(٥) حشوها ليف ، فسلمت عليه ... ثم رفعت بصري في بيته فوالله مارأيت فيه شيئا يرد البصر غير أهبة^(٦) ثلاثة ، فقلت : ادع الله فليوسع على أمتك ، فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله . وكان متكئا فقال : أوفى شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا . فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي . (وفي رواية^[٤٥] : أطلقت نساءك ؟ قال : لا ولكني آليت^(٧) منهن شهرا) فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها ،

(١) واجما : حزينا ممسكا عن الكلام .

(٢) وجأت عنقها : أى طعنت عنقها .

(٣) مشربة : غرفة عالية .

(٤) رمال حصير : نسيج حصير . أى ضلوع الحصير المتداخلة وهى بمنزلة الخيوط فى الثوب .

(٥) وسادة من آدم : أى من جلد .

(٦) أهبة : جمع إهاب ، وهو الجلد قبل الدبغ .

(٧) آليت منهن شهرا : من آلى الرجل من امرأته حلف ألا يجامعها .

فقلت له عائشة : إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا ، وإنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عدا . فقال النبي ﷺ : الشهر تسع وعشرون ، وكان ذلك الشهر تسع وعشرون . قالت عائشة : فأنزلت آية التخيير ، فبدأ بي أول امرأة فقال : إني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرى^(١) أبويك . قالت : قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك . ثم قال : إن الله قال :

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَلِن كُنْتُنَّ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قلت : أفى هذا أستأمر أبوي ؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . ثم خير نساءه ، فقلن مثل ما قالت عائشة .

[رواه البخارى ومسلم] [٤٦]



(١) حتى تستأمرى أبويك : حتى تستشيرى أبويك وتطلبى أمرهما .

الخصوصيات للأنبياء سنة ماضية ومعجزة

ونحب أن نقرر أمرين قبل عرض النصوص المتعلقة بخصوصيات الرسول محمد ﷺ في مجال المتعة الجنسية :

أولهما : أن التوسعة على رسول الله ﷺ - في مجال الزواج والاستمتاع - بمجموعة من الخصوصيات ، إنما تسير في الخط العام للشرعة ، من حيث التوسعة على الناس عامة - وقد سبق أن أوضحناها في فصل تيسير المتعة الجنسية - وتزيد هذه الخصوصيات بما يناسب مقام الأنبياء ، عما هو مشروع لعامة المؤمنين .

وثانيهما : أن مثل هذه الخصوصيات ليست فريدة من نوعها في تاريخ الرسل والأنبياء ، فالله قد منح بعض أنبيائه خصائص يتميزون بها ، فموسى عليه السلام أعطاه الله بسطة^(١) في الجسم ، وسليمان عليه السلام أعطاه الله الملك والسلطان ، حتى على الجن والطير والريح ، هذا إلى جانب قوة جنسية معجزة . وصدق الله العظيم : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾

وتحدثنا السنة عن بعض خصوصيات سليمان عليه السلام : -
- دفعن أوى هريرة عن النبي ﷺ قال : قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : إن شاء الله ، فلم يقل (وفي رواية^[٤٧] : فَنَسِيَ فطاف بهن فلم تأت امرأة منهن بولد إلا واحدة بشق غلام) .

[٤٨] [رواه البخارى ومسلم]

قال الحافظ ابن حجر : وفي الحديث فضل فعل الخير وتعاطى أسبابه ، وأن كثيرا من المباح والملاذ يصير مستحبا بالنية والقصد ... وفيه ما خص به الأنبياء من القوة على الجماع ، الدال ذلك على صحة البنية وقوة الفحولية وكمال الرجولية ، مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم^[٤٩] .

(١) بسطة في الجسم : البسطة هي الزيادة .

و غالب خصوصيات التوسعة على الأنبياء يصاحبها إعجاز يؤكد نبوتهم ،
فليست محض توسعة في متع الدنيا كما يقع لبعض الناس ، أى أنه تميز معجز ..
وهكذا كان ملك سليمان عليه السلام :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى
الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴾ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ
يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ ﴿

(سورة الأنبياء الآيات : ٨١ ، ٨٢)

وقال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ

(سورة النمل الآية : ١٧)

يُوزَعُونَ ﴿ (١)

وهكذا كان الحال مع نبينا محمد ﷺ ، كان يصاحب خصوصياته المتعلقة
بالمتبة الجنسية ، إعجاز يؤكد نبوته :

- فعن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة .
(وفي رواية مسلم : بغسل واحد) وله يومئذ تسع نسوة . (وفي رواية [٤٩] :
قيل لأنس : أو كان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين) .

[رواه البخارى ومسلم] [٤٩ب]

وفى ذلك يقول الحافظ ابن حجر : كان مع كونه ﷺ أخشى الناس لله
وأعلمهم به يكثر التزويج ... ولإظهار المعجزة البالغة في خرق العادة. لكونه كان لا
يجد ما يشبع به من القوت غالبا ، وإن وجد كان يؤثر بأكثره ويصوم كثيرا ويواصل .
[وهو ﷺ قد أمر من لم يقدر على مؤن الزواج بالصوم وأشار إلى أن كثرة الصوم
تكسر الشهوة ، فانخرقت هذه العادة في حقه ﷺ] [٥٠] فكان يطوف على نسائه
في الليلة الواحدة ، ولا يطاق ذلك إلا مع قوة البدن ، وقوة البدن تابعة لما يقوم به من
استعمال المقويات من مأكول ومشروب وهى عنده نادرة أو معدومة ... ولم تشغله
كثرتهم عن عبادة ربه [٥١] .

(١) يُوزَعُونَ : يجمعون ثم يساقون

شواهد تبين ما خص الله به رسوله ﷺ

(في مجال الزواج والمصلحة الجنسية)

وقبل أن نعرض هذه الشواهد نحب أن نبين أن الرسول ﷺ قد قرر بنفسه حبه للنساء في صراحة ووضوح ، ودونما حرج :

- فعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : حُبُّ إِيَّيْ من دنياكم النساء والطيب ، وجُعِلَتْ قرة عيني في الصلاة .

[رواه أحمد] [٥٢]

الشاهد الأول : اصطفاء الله تعالى بعض الزوجات لرسوله :

اصطفاء عائشة :

- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها : أُرِيْتُكِ في المنام مرتين ، أرى أنك في سَرَقَةٍ^(١) من حرير ، ويقول : هذه امرأتك ، فأكشف فإذا هي أنت فأقول : إن يك هذا من عند الله بمضه .

[رواه البخاري ومسلم] [٥٣]

اصطفاء زينب :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

(سورة الأحزاب الآية : ٣٧)

(١) سرقة من حرير : قطعة من أجود الحرير .

– عن أنس قال : جاء زيد بن حارثة يشكو . فجعل النبي ﷺ يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك . قالت عائشة : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً (من الوحي) لكتم هذه .

[رواه البخاري] [٥٤]

قال الحافظ ابن حجر : وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السُّدِّي فساقها سياقاً واضحاً حسناً ولفظه « بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت أمها أُميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجه إياه . ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ بَعْدَ ، أنها من أزواجه ، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها . وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس ، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجته وأن يتقى الله . وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا : تزوج امرأة ابنه وكان قد تبنى زيداً ... والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ... » وقال ابن العري : إنما قال عليه الصلاة والسلام لزيد : « أمسك عليك زوجك » اختباراً لما عنده من الرغبة فيها أو عنها ، فلما أطلعته زيد على ما عنده منها ، من النفرة التي نشأت من تعاضمها عليه ، أذن له في طلاقها [٥٥]

– عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد : فاذكرها عَلَيَّ . قال : فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها . قال : فلما رأيته عظمت في صدري ، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها ، فوليتها ظهرى ، ونكصت على عَقَبِي^(١) فقلت : يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي^(٢) ، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن .

[رواه مسلم] [٥٦]

(١) نكصت على عَقَبِي : رجعت .

(٢) حتى أوامر ربي : حتى أستخيره .

— عن أنس قال : فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ ، تقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات .

[رواه البخارى] [٥٧]

وهكذا اصطفى الله لبيه امرأتين ، يجمعان مع الجمال الخلق الرفيع والهمة العالية ، فأما عن الجمال ، فصدق عمر — خلال حديث له مع ابنته حفصة — إذ وصف عائشة فقال : « لَا يَعْزُّكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ أَوْضَا مِنْكَ » [٥٨] . وفي رواية قال : أعجبتني حسناتها [٥٩] . وصدق أنس إذ ورد قوله عن زينب بنت جحش : « وَكَانَتْ امْرَأَةً قَدْ أُعْطِيََتْ جَمَالًا » [٦٠] وأما عن الخلق الرفيع والهمة العالية ، فقد سبق أن عرضنا معالم شخصية عائشة (*) ومن أهم هذه المعالم : ورعها وصدق روايتها ولو على نفسها ، طموحها إلى المعالي ، زهدا وبذلا سخيا ، ثم استدراكها على الصحابة وقد بلغ عدد استدراكاتها تلك تسعة وخمسين . وكذلك عرضنا معالم شخصية زينب بنت جحش (**) ومن أهمها حرصها على صلاة الاستخارة حين أرسل النبي ﷺ بخطبها لنفسه ، ويكفي شهادة عائشة نفسها حيث قالت : « لَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ ، وَأَتَقَى اللَّهَ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً ، وَأَشَدَّ ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا (١) فِي الْعَمَلِ الَّذِي تُصَدِّقُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » [٦١] . وشاء الله أن تكون عائشة أحب أزواج النبي ﷺ إليه ، وذلك بصريح قوله الذي مر بنا قريبا . أما زينب فكانت في المرتبة الثانية وصدقت عائشة حيث تقول : وزينب هي التي كانت تساميني (٢) من أزواج النبي ﷺ [٦٢] .

الشاهد الثاني : التوسعة في عدد الزوجات مع الإعفاء من بعض الشروط :

قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّاتِ اللَّاتِيَّاتِ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمِكَ وَبَنَاتِ

(*) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب من ص ١٩٧ إلى ص ٢٢٧ .

(**) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب من ص ٢٣٤ إلى ص ٢٣٦ .

(١) ابتذالاً لنفسها : امتناناً لنفسها .

(٢) تساميني : تطارلني في الخطوة أى تطمح إلى الدرجة نفسها من السمو والمكانة عند رسول الله ﷺ

عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ
وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

(سورة الأحزاب الآية : ٥٠)

أما من حيث التوسعة في العدد، فقد مات النبي ﷺ عن تسع نسوة هن :
سودة ، عائشة ، حفصة ، أم سلمة ، زينب ، أم حبيبة ، جويرية ، صفية ،
ميمونة . هذا فضلا عن عدة عروض للزواج ، حال دون إتمامها أسباب لا ترجع
إلى العدد ، ومن هذه العروض :

- عن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت : يا رسول الله انكح أختي بنت أبي
سفيان . قال : وتحين ؟ قلت : نعم ، لست بِمُحَلِّية^(١) وأحب من شاركني في
خير أختي ، فقال النبي ﷺ : إن ذلك لا يحل لي ، قلت : يا رسول الله ،
فوالله إنا لنحدث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سلمة ، قال : بنت أم
سلمة ؟ فقلت : نعم ، قال : فوالله لو لم تكن في حجرى ما حلت لي ، إنها
لأبنة أختي من الرضاعة ، أرضعتني وأبا سلمة ثوية ، فلا تعرضن عليّ بناتكن
ولا أخواتكن .

[رواه البخارى ومسلم] [٦٣]

- عن علي قال قلت : يا رسول الله مالك تنق^(٢) في قریش وتدعنا فقال :
وعندكم شيء ؟ قلت : نعم بنت حمزة . فقال رسول الله ﷺ : إنها لا تحل لي
إنها ابنة أختي من الرضاعة .

[رواه مسلم] [٦٤]

(١) لست بمحلية : أى لست بمفردة بك .

(٢) تنق : أصله تنوق حذف ناءؤه الأولى ، والتنوق المبالغة في اختيار الشيء .

- عن أنس بن مالك قال قيل : يا رسول الله ألا تتزوج في الأنصار ؟ قال : إن في أعينهم شيئا^(١).

[رواه ابن حبان] [٦٥]

- عن أنس أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت له : إن لي ابنة - فذكرت من جهالها - فأثرتك بها . فقال : قد قبلتها . فلم تزل تذكر حتى قالت : لم تُصدع^(٢) قط ، فقال : لا حاجة لي في ابتك .

[رواه أحمد] [٦٦]

كذلك وقع شروع في خطبة عدة نساء ، من ذلك :

- عن أمي هريرة أن النبي ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت : يا رسول الله إني قد كبرت ولى عيال فقال رسول الله ﷺ : خير نساء ركن الإبل نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده .

[رواه مسلم] [٦٧]

- عن ابن عباس أن النبي ﷺ خطب امرأة من قومه يقال لها سودة ، وكان لها خمسة صبيان أو ستة من بعل لها مات فقالت له : ما يمنعني منك إلا أن لا تكون أحب البرية إليّ ، إلا أني أكرمك أن تضغو^(٢) هذه الصبية عند رأسك ، فقال لها : يرحمك الله إن خير نساء ركن أعجاز الإبل صالح نساء قريش .

[رواه أحمد] [٦٨]

- عن جابر أن النبي ﷺ خطب أم مبشر بنت البراء بن معرور فقالت : إني شرطت لزوجي أن لا أتزوج بعده فقال النبي ﷺ : إن هذا لا يصح .

[رواه الطبراني] [٦٩]

هذا وفي الآية نص على توسعة إضافية هي إباحة قبول الرسول ﷺ لامرأة تهب نفسها له دون مهر ، وقد وردت عدة نصوص في السنة تلقي الضوء على هذا الأمر :

(١) لم تصدع قط : لم يصبها الصداع قط .

(٢) تضغو : تصبح .

- فعن عائشة قالت : كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول : أتهب المرأة نفسها ! (وفي رواية^[٧٠]) : كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ .

[رواه البخارى ومسلم]^[٧١]

- وعن سهل بن سعد الساعدي أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله جئت لأهب لك نفسى . فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه^(١) ثم طأطأ رأسه . فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست . [رواه البخارى ومسلم]^[٧٢]

قال الحافظ ابن حجر : (قوله اللاتي وهبن أنفسهن) هذا ظاهر فى أن الواهبة أكثر من واحدة ... وفى حديث عائشة التى وهبت نفسها للنبي ﷺ هى خولة بنت حكيم ... ومن الواهبات أم شريك ، وأخرجته النسائي من طريق عروة ، وعند أبى عبيدة معمر بن المثنى أن من الواهبات فاطمة بنت شرحبيل ، وقيل إن ليلى بنت الحطيم ممن وهبت نفسها له ... وعن ابن عباس ؓ لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له . أخرج الطبري وإسناده حسن . والمراد أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له وإن كان مباحا له ، لأنه راجع إلى إرادته لقوله تعالى ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْحِهَا ﴾^[٧٣، ٧٤] .

(١) صعد النظر إليها وصوبه : أى نظر أعلاها وأسفلها مرارا .

الشاهد الثالث : التوسعة بالحرية في القسم بين الزوجات : (٢)

قال تعالى : ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عَيْنَهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَيَرْضَيْنَكَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾
(سورة الأحزاب الآية : ٥١)

- عن عائشة رضى الله عنها قالت :... فلما أنزل الله تعالى : ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ . قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك .

[رواه البخارى ومسلم] [٧٥]

ورد في فتح البارى : (قال القرطبي : هذا القول من عائشة أبرزه الدلال والغيرة) [٧٦] .

وأقول : هذا حق ولكنه في الوقت نفسه ، يثبت الخصوصية التى خص الله بها نبيه ﷺ .

- عن مُعَاذَةَ عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ فقلت لها : ما كنت تقولين ؟ قالت : كنت أقول له : إن كان ذاك إلیّ ، فإني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحدًا .

[رواه البخارى] [٧٧]

هذا الحديث يوضح أمرين أولهما : أن الرسول الكريم ﷺ حين منحه الله حق الاختيار ، ساوى بين جميع الزوجات في عدم الالتزام بيوم معين إزاء كل منهن ، وهذه المساواة تحققت حتى مع عائشة نفسها مع أنها كانت أحبهن إليه . ثانيهما : أنه ﷺ مع حقه في حرية الاختيار كان يستأذن التى تكون لها النوبة .

(١) تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ : أى تؤخرها عن نوبتها .

(٢) تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ : أى تضمها إليك في غير نوبتها

الشاهد الرابع : تكريم الله تعالى لرسوله بفرض الحجاب على زوجاته (*) :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

(سورة الأحزاب الآية : ٥٣)

كرم الله تعالى رسوله بإضفاء صفة الأمومة على نسائه ، أمومة لجميع المؤمنين ، قال سبحانه : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾

(سورة الأحزاب الآية : ٦)

فميزهن بذلك ميزة معنوية ، ثم كرمه مرة أخرى بأن ميز نساءه على سائر النساء بميزة اجتماعية ، وذلك بفرض الحجاب عليهن فلا يراهن الرجال ولا يرين الرجال ، وينعمن وينعم المؤمنون معهن بطهارة الأمومة الرفيعة ، أى طهارة شبيهة بتلك التى تكون بين الرجال وبين أمهاتهم اللاتى ولدنهم . على أن الحجاب لم يمنع تواصل أمهات المؤمنين مع المجتمع ، ولا محادثتهن الرجال ، وإنما فرض أن تكون المحادثة من وراء حجاب .

الشاهد الخامس : تكريم الله تعالى لرسوله بقصر زوجاته عليه :

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوْجَتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾

(سورة الأحزاب الآية : ٥٣) .

الشاهد السادس : رعاية الله تعالى لردام التوسعة على رسوله :

أ - رفع الحرج عن النبي ﷺ فيما خصه الله به :

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ .

(سورة الأحزاب : ٣٨)

(*) انظر هذا الموضوع بالتفصيل فى الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ١١٢ - ١١٥ .

قال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمُبَحْرَمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ
أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَنِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٢﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي
الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝٣﴾ إِنْ تُؤْتَوْنَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ
اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝

- وعن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها ، فلم تنزل به عائشة وحفصة ، حتى حرّمها على نفسه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ إلى آخر الآية .

قال الحافظ ابن حجر : أخرج النسائي الحديث السابق بسند صحيح^[٧٩] ... ووقع عند سعيد بن منصور بإسناد صحيح إلى مسروق قال : حلف رسول الله ﷺ لحفصة لا يقرب أمته وقال : هي على حرام ، فنزلت الكفارة ليمينه ، وأمر أن لا يحرم ما أحل الله ... وأخرج الضياء في المختارة ... عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ لحفصة : لا تخبري أحدا أن أم إبراهيم عليّ حرام قال : فلم يقربها حتى أخبرت عائشة فأنزل الله ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾^[٨٠] .

وهكذا يأني الله تعالى لإدوام التوسعة على رسوله فينكر عليه تحريم ما أحل الله له . وهكذا أيضا وقع الإنكار على بعض الزوجات لتضييقهن على رسول الله ﷺ . ثم لتأمل كيف وسع الله عليه بعد هذا الإنكار ، وذلك في قوله تعالى :

(۳) ظہر : أعوان له فی نصرہ علیکما .

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ ۝^(١)
تَيَبَّتْ عَلَيْهِنَ سَبِخَتِ^(٢) تَيَبَّتِ^(٣) وَأَبْكَارًا ۝ ﴾
(سورة التحريم الآية : ٥)

فبعد أن وصف سبحانه الزوجات اللاتي سوف ينعم بهن على رسول الله ﷺ ،
بالإسلام والإيمان والتقوى والتوبة والعبادة ، وكلها أوصاف معنوية نفسية توفر
الصحة الصالحة . أضاف سبحانه ما يوفر مع الصحة الصالحة المتعة الطيبة
فقال : ﴿ نيات وأبكارا ۝ ﴾ .

خاتمة للتوسعة في التزويج :

قال تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝
(سورة الأحزاب الآية : ٥٢)

وهكذا شاء الله أن تقف التوسعة في عدد الزوجات عند تسع نسوة ، كما
قضى أيضا ألا يبدل الرسول ﷺ ببعض أزواجه نساء أخريات ، ولو أعجبه
حسنهن . ولعل في ذلك مجازاة لزوجاته التسع على اختيارهن صحبة الرسول ﷺ
مع الزهد في متاع الحياة الدنيا ، كما سبق أن ذكرنا^(*) .

قال الحافظ ابن حجر : اختلف في المنفى في قوله تعالى في الآية ﴿ مِنْ
بَعْدُ ﴾ هل المراد بعد النساء الموجودات عند التخيير ؟... وقد ذهب ابن عباس
ومن وافقه إلى هذا ، وأن ذلك وقع مجازاة لهن على اختيارهن إياه ، نعم الواقع أنه
ﷺ لم يتجدد له تزوج امرأة بعد القصة المذكورة ... [٨١] .

(*) انظر ص ١٩٩ .

(١) قانات : مطيعات .

(٢) سابخات : صائحات .

(٣) نيات : سبق لهن الزواج .

الصحابه رضوان الله عليهم يعون ما خص الله به نبيه :

إذا كان الله سبحانه قد خص نبيه محمد ﷺ ، فوسع عليه في مجال الزواج والاستمتاع ، فإن أصحابه الكرام - وأزواجه أيضا - كانوا يعون هذه الخصوصية ، وهناك عدة شواهد تؤكد هذا الرعى :

- فعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : ذكر للنبي ﷺ امرأة من العرب . فأمر أبا أسيد الساعدي أن يرسل إليها ، فأرسل إليها فقدمت ، فنزلت في أجْم^(١) بنى ساعدة .

[رواه البخارى ومسلم] [٨٢]

وقال الحافظ ابن حجر : وفي رواية لابن سعد أن النعمان بن الجون الكندى أتى النبي ﷺ مسلما فقال : ألا أزوجك أجمل أيم^(٢) في العرب ؟ فتزوجها وبعث معه أبا أسيد الساعدي ، قال أبو أسيد : فأنزلتها في بنى ساعدة فدخل عليها نساء الحى فَرَحَّجْنَ بها وخرجن فذكرن من جمالها [٨٣] .

- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قدمنا خير فلما فتح الله عليه (أى على الرسول ﷺ) الحصن ، ذكر له جمال صفية بنت حيى بن أخطب ... فاصطفأها النبي ﷺ لنفسه (وفي رواية لمسلم^[٨٤]) صارت صفية لِدُخِيَةٍ في مقسمه ، وجعلوا يمدحونها عند رسول الله ﷺ قال ويقولون : مارأينا في السبى مثلها قال : فبعث إلى دحية فأعطاه بها ما أراد)

[رواه البخارى ومسلم] [٨٥]

- عن أم سلمة قالت : أرسل إلى رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعنة يخطبني له ، فقلت : إن لى بنتا وأنا غيور فقال : أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها ، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة .

[رواه مسلم] [٨٦]

(١) أجْم : حصن .

(٢) أيم : الأيم من ليس لها زوج بكرا كانت أو ثيبا .

قال الحافظ ابن حجر : وفي رواية عند أحمد ... قالت (أم سلمة) : فلما وضعت زينب جاءني رسول الله ﷺ فخطبني ... فجعل يأتينا فيقول : أين زناب ؟ حتى جاء عمار بن ياسر فاختلجها^(١) . وقال : هذه تمنع رسول الله ﷺ حاجته [٨٧] .

- عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ أغار على بنى المصطلق ... فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ، وأصاب يومئذ جويرية . [رواه البخارى ومسلم] [٨٨]

- عن عائشة قالت : وقعت جويرية بنت الحارث بن المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، فكاتبته^(٢) على نفسها ، وكانت امرأة ملاحه^(٣) تأخذها العين . قالت عائشة : فجاءت تسأل رسول الله ﷺ في كتابتها ، فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت مكانها ، وعرفت أن رسول الله ﷺ سبى منها مثل الذى رأيت ... فقال رسول الله ﷺ : فهل لك إلى ما هو خير منه ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : قد فعلت . [رواه أبو داود] [٨٩]

- عن عمر بن الخطاب ... وكان لى صاحب من الأنصار إذا غبت أتانى بالخبر . وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر ، ونحن نتخوف ملكا من ملوك غسان ، ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا فقد امتلات صدورنا منه . فإذا صاحبي الأنصارى يندق الباب ، فقال : افتح ، افتح . فقلت . جاء الغسانى ؟ فقال : بل أشد من ذلك ، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه .

[رواه البخارى ومسلم] [٩٠]

قال الحافظ ابن حجر : ... وفي الحديث ما كان الصحابة عليه من محبة الاطلاع على أحوال النبي ﷺ جلّت أو قلّت ، واهتمامهم بما يهتم له ، لإطلاع الأنصارى اعتزاله نساءه - الذى أشعر عنده بأنه طلقهن ، المقتضى وقوع غمه ﷺ بذلك - أعظم من طروق ملك الشام الغسانى بجيوشه المدينة لغزو من بها . وكان

(١) اختلجها : انتزعها .

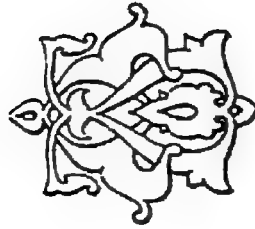
(٢) كاتبته : أى اتفقت مع مالكها على عتقها مقابل مال معلوم وكبت بذلك كتابا .

(٣) ملاحه : حنة النظر .

ذلك بالنظر إلى أن الأنصارى كان يتحقق أن عدوهم ولو طرقتهم مغلوب ومهزوم ، واحتمال خلاف ذلك ضعيف ، بخلاف الذى وقع بما توهمه من التظليق ، الذى يتحقق معه حصول الغم . وكانوا فى الطرف الأقصى من رعاية خاطره ﷺ أن يحصل له تشويش ولو قل ، والقلق لما يقلقه والغضب لما يغضبه ، والهم لما يهمه رضى الله عنهم [٩١] .

وقد مر بنا - خلال عرض الشاهد الثانى على خصوصية التوسعة فى عدد الزوجات - كثير من النصوص الدالة على وعى الصحابة - فضلا عن أزواجه ﷺ - بما خص الله به نبيه . ومن هذه النصوص :

- حديث أم حبيبة قالت : يا رسول الله أنكح أختى ...
- حديث على قال : يا رسول الله مالك تنوق فى قريش وتدعنا ... ؟
- حديث أنس قيل : يا رسول الله ألا تتزوج فى الأنصار ... ؟
- حديث أنس أن امرأة أتت النبی ﷺ فقالت : إن لى ابنة - فذكرت من جمالها - فأثرتك بها ...
- حديث سهل أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت : جئت لأهب لك نفسى ...



صور من ممارسة الرسول ﷺ للمتعة الجنسية

قبل أن نعرض بعض صور ممارسة المتعة الجنسية في حياة رسولنا الكريم ، نود أن نذكر أمرين فيهما عون على توضيح النهج القويم لحياته ﷺ ، وذلك حتى نضع النصوص في موضعها الصحيح :

الأمر الأول : التكامل والتوازن في حياة الرسول ﷺ والقسط في توزيع المسؤوليات في حياته ، وفي تحديد مساحة كل منها ، وصدق الله العظيم : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ . وهذا يعنى وجوب النظرة الشاملة لحياة الرسول ﷺ من كل جوانبها ، وتجنب الوقوف عند جانب واحد - أى تجنب التركيز على جانب واحد - لأن النظرة الأحادية الجانب لن تسفر إلا عن فهم سقيم ، يتبعه انحراف في التصور العام لنهجه ﷺ . وذلك أن من يتتبع صور عبادة الرسول ﷺ يحسب أنه كان متفرغا للعبادة ، ومن يتتبع صور جهاده وغزواته ، يحسب أنه كان لا هم له إلا الغزو وإرسال البعث والسرايا . ومن يتتبع صور تعليمه لأصحابه وتوجيهه لهم ، في كل أمورهم صغيرها وكبيرها ، يحسب أنه كان صارفا كل وقته وجهده للتعليم والتوجيه . ومن يتتبع صور رعايته لأصحابه - يزور صغيرهم وكبيرهم ، ويحيب دعوتهم ، ويطعم جائعهم ، ويعين ضعيفهم ، ويسأل عن غائبهم ويستقبل وافدهم ، ويحنك أطفالهم ، ويعود مريضهم ، ويصلى على ميتهم - يحسب أنه كان لا عمل له إلا هذه الرعاية الحانية . وأخيرا نقول : من يتتبع صور حب الرسول لنسائه ، وتلففه وجميل رعايته لزوجاته واستمئاعه ، يحسب أن قلبه معلق بالنساء ولا شيء وراء ذلك . الخلاصة أننا ونحن نستعرض صور استمئاعه ﷺ ، لابد أن نكون على ذكر من صور ممارسته ﷺ للعبادة والجهاد والتعليم ، وصور رعايته لأصحابه ، هذا فضلا عن تدبير شؤون الدولة الإسلامية الناشئة . وذلك حتى نظل على فهم صحيح مستقيم ولا نتحرف بنا الأهواء ولا الغفلات .

الأمر الثاني : الذى يعين على توضيح نهج حياته ﷺ ، هو أن صاحب المشاعر الفياضة يعبر دائما عن مشاعره بكرم وسخاء ، فإذا اتصلت مشاعره ﷺ بإحدى الزوجات ولبست ثوب الاستمئاع الجنسي ، فهي في حقيقتها ليست متعة

جسدية خالصة ، بل إن المتعة أحد جوانبها ، ويظل هناك جوانب أخرى عديدة مثل الحب والتقدير والتكريم بل والمواساة أيضا ، وكلها مشاعر نبيلة قد يكون التعبير عنها بقبلة مؤنسة ، أو لمسة حانية فحسب .

ونسوق فيما يأتي نصوصا تلقى الضوء على بعض صور ممارسة الرسول ﷺ للمتعة الجنسية ، مع العلم أن معظم هذه النصوص ، قد سبق ذكرها خلال الفصول الماضية . ولكننا نعيد ذكرها هنا مجتمعة - مع الاختصار - لإبراز الهدى النبوى فى الاستمتاع ، وليبين أن هذه الصور مشروعة لجميع المؤمنين ، وليست من خصوصيات الرسول ﷺ . ونحن إنما نعرضها لتأكيد الجانب الإنسانى الفطرى فى سلوك الرسول الكريم ، أى أنه ﷺ يشارك المؤمنين حبهم للنساء ، ويسلك مع نسائه السلوك الفطرى السوى .

● يطوف على نسائه طوافا عابرا بعد صلاة الصبح :

- عن ابن عباس قال : وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح جلس فى مصلاه ، وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس ، ثم يدخل على نسائه امرأة امرأة يسلم عليهن ويدعوهن ، فإذا كان يوم إحداهن كان عندها .
[رواه ابن مردويه] [٩٢]

● يطوف على نسائه طوافا عابرا بعد العصر :

- عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنون من إحداهن .
[رواه البخارى ومسلم] [٩٣]

- عن عائشة قالت :... كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم من مكثه عندنا ، وكان قل يوم ، إلا وهو يطوف علينا جميعا ، فيدنون من كل امرأة من غير ميس (وفى رواية للبيهقى [٩٣] : فيقبل ويلمس مادون الوقاع) حتى يبلغ إلى التى هو يومها ، فيبيت عندها .
[رواه أبو داود] [٩٣ب]

● يلتقى بنسائه كل ليلة عند صاحبة النوبة :

- عن أنس قال : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهى

إلى المرأة الأولى إلا في تسع ، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها ، فكان في بيت عائشة فجاءت زينب فمد يده إليها ، فقالت : هذه زينب . فكف النبي ﷺ يده .

[رواه مسلم] [٩٤]

● يُفَرِّعُ بَيْنَ نِسَائِهِ عِنْدَ السَّفَرِ لِيَصْطَحِبَ بَعْضَهُنَّ

— عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ... قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أفرع^(١) بين أزواجه ، فأيتين خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه ، قالت عائشة : فأفرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب ، فكنيت أحملاً في هودج^(٢) وأنزل فيه .

[رواه البخاري ومسلم] [٩٥]

— عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً أفرع بين نسائه ، فطارت القرعة لعائشة وحفصة ، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث ، فقالت حفصة : ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك تنظرين وأنظري ؟ فقالت : بلى ، فركبت فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم عليها ، ثم سار حتى نزلوا وافتقدته عائشة ، فلما نزلوا جعلت رجلها بين الإذخر^(٣) وتقول : يارب سلط على عقربا أو حية تلدغني ، ولا أستطيع أن أقول له شيئا .

[رواه البخاري ومسلم] [٩٦]

قال الحافظ ابن حجر : (قوله وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث) استدل به المَهْلَبُ على أن القسم لم يكن واجبا على النبي ﷺ ، ولا دلالة فيه لأن عماد القسم الليل في الحضر ، وأما في السفر فعَمَادُ الْقِسْمِ فِيهِ

(١) أفرع : عمل قرعة .

(٢) هودج : مركب من مراكب العرب أعد للنساء ، وهو محمل له قبة تستر بالثياب ويوضع على ظهر البعير .

(٣) الإذخر : حشيش طيب الريح توجد فيه الموام غالبا في البرية .

النزول ، وأما حالة السير فليست منه لاليل ولا نهارا ... (قوله ألا تركيبين الليلة بعيرى ؟) كأن عائشة أجابت إلى ذلك ، لِمَا شوقتها إليه من النظر إلى ما لم تكن هى تنظر ، وهذا مشعر بأنهما لم يكونا حال السير متقاربين ، بل كانت كل واحدة منهما من جهة ، كما جرت العادة من السير قطارين ، وإلا فلو كانتا معا لم تختص إحداهما بنظر ما لم تنظره الأخرى . ويحتمل أن تريد بالنظر وطأة البعير وجودة سيره [١٩٦]

● يقبل ثم يخرج للصلاة :

— عن عائشة أن النبي ﷺ قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ .
[رواه الترمذى] [٩٧]

● يقبل ويأشُر^(١) وهو صائم :

— عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقبل ويأشُر وهو صائم وكان أملككم لإربه .

[رواه البخارى ومسلم] [٩٨]

قال الحافظ ابن حجر : روى النسائي من طريق طلحة بن عبد الله التيمي عن عائشة قالت : أهوى إلى النبي ﷺ ليقبلنى فقلت : إني صائمة ، فقال : وأنا صائم ، فقبلنى [٩٨] .

● يأشُر^(٢) الحائض :

— عن عائشة قالت : كانت إحدانا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله ﷺ أن يأشُرها أمرها أن تنزِر^(٣) في فور حيضتها^(٤) ثم يأشُرها .

[رواه البخارى ومسلم] [٩٩]

(٢، ١) يأشُر : المقصود بالمباشرة هنا الاستمتاع دون جماع .

(٣) تنزِر : تلبس الإزار ، والإزار ما يغطي النصف الأسفل من البدن .

(٤) فور حيضتها : فور الحيض معظم صبيها ، من فوران القدر وغليانها .

● يرى امرأة فيأتى أهله :

– عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى امرأة ، فأتى امرأته زينب وهي تمعس^(١) منيفة^(٢) لها ، ففضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه .

[رواه مسلم] [١٠١، ١٠٠]

● يطوف على نسائه ويأشرفهن^(٣) قيل الإحرام :

– عن عائشة رضى الله عنها قالت : أنا طيبت رسول الله ﷺ ثم طاف في نسائه ثم أصبح محرماً .

[رواه البخارى ومسلم] [١٠٢]

● يأشرف^(٤) بعد التحلل من الإحرام :

– عن عائشة رضى الله عنها قالت : حججنا مع النبی ﷺ فأفطنا يوم النحر ، فحاضت صفية ، فأراد النبي ﷺ منها ما يريد الرجل من أهله . فقلت : يا رسول الله ، إنها حائض . قال : حائضنا هي ؟ قالوا : يا رسول الله ، أفاضت يوم النحر ، قال : اخرجوا .

[رواه البخارى ومسلم] [١٠٣]

● يأشرف^(٥) أحياناً إحدى نسائه ثم يعود :

– عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ يجامع ثم يعود ، ولا يتوضأ .

[رواه الطحاوى] [١٠٤، ١٠٥]

● يأشرف^(٦) أحياناً جميع نسائه في ليلة واحدة :

– عن أبى رافع أن النبي ﷺ طاف ذات يوم على نسائه ، يقتسل عند هذه وعند هذه ...

[رواه أبوداود] [١٠٦]

(١) تمعس : أصل المعس الدلك باليد والمراد هنا تدبغ .

(٢) منيفة : هي قطعة الجلد أول ماتوضع في الدباغ .

(٣) يأشرف : المقصود بالمباشرة هنا الجماع .

• يفصل مع أزواجه بعد المباشرة .

- عن أم سلمة أنها كانت هي ورسول الله ﷺ ، يفتسلان من إناء واحد .
[رواه البخارى ومسلم] [١٠٧]

• أمهات المؤمنين لا يقضين ما عليهن من صيام رمضان إلا في شعبان :

- عن يحيى عن أنى سلمة قال : سمعت عائشة رضى الله عنها تقول : كان يكون على الصوم من رمضان ، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان . قال يحيى : (المانع هو) الشغل بالنبي ﷺ .

[رواه البخارى ومسلم] [١٠٨]

- عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن كانت إحدانا لتفطر في زمان رسول الله ﷺ ، فما تقدر على أن تقضيه مع رسول الله ﷺ (وفى رواية [١٠٩] لمكان رسول الله ﷺ) حتى يأتى شعبان .

[رواه مسلم] [١١٠]

قال النووي فى شرحه لصحيح مسلم : إن كل واحدة من نساءه ﷺ كانت مهية نفسها لرسول الله ﷺ ، لاستمتاعه فى جميع أوقاتها إن أراد ذلك ... وهذا من الأدب وإنما كانت تصومه فى شعبان ، لأنه ﷺ كان يصوم معظم شعبان ، فلا حاجة له فيهن حيثئذ من النهار [١١١] .

• سودة تهب يومها لعائشة :

- عن عائشة رضى الله عنها قالت :... وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها ، غير أن سودة بنت زَمْعَةَ وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ ، تبتغى بذلك رضا رسول الله ﷺ .

[رواه البخارى] [١١٢]

– عن عائشة قالت : ما رأيت امرأة أحب إليَّ أن أكون في مسلاخها^(١) ، من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة^(٢) : قالت فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة ، قالت : يا رسول الله قد جعلت يومى منك لعائشة . فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين ، يومها ويوم سودة .

[رواه مسلم] [١١٣]



(١) في مسلاخها : أى في مثل هديها وطريقتها . والمسلاخ الجلد ، ولا يكون أحد في جلد غيره . فكأنما تمت أن تكون هى استحساناً لفضائلها وأعمالها الصالحة .

(٢) الحدة : شدة الخلق .

هوامش الفصل السابع

تنبيه :

(يرجى ملاحظة أن الجزء والصفحة المذكورين بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح البخارى مرجعهما كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى طبعة مصطفى الحلبى - القاهرة .
أما الجزء والصفحة المذكوران بعد عنوان الكتاب والباب من صحيح مسلم فمرجعهما الجامع الصحيح للإمام مسلم طبعة (استانبول) .

- [١] مسلم كتاب الطهارة باب الاستنابة ج١ ص ١٥٤ .
- [٢] انظر تفسير الطبرى سورة النساء الآية ٥٤ .
- [٣] انظر تفسير الطبرى ج٨ ص ٤٧٩ تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر طبعة دار المعارف القاهرة .
- [٤] الطبقات الكبرى ج٨ ص ٢٠٢ .
- [٥] البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ج١٧ ص ١٩ .
- [٦] مسلم كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر ج٤ ص ١٠٢ .
- [٧] مسلم كتاب صلاة المسافرين باب : صلاة الليل ج٢ ص ١٦٨ .
- [٨] ارشاد الفحول ص ٢٣٦ .
- [٩] البخارى كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين ج١١ ص ٣٦ مسلم كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين ج٤ ص ١٧٥ .
- [١٠] البخارى كتاب النفقات باب عون المرأة زوجها في ولده ج١١ ص ٤٤١ مسلم كتاب الرضاع باب استحباب نكاح البكر ج٤ ص ١٧٥ .
- [١١] البخارى كتاب المناقب باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا ج٨ ص ١٨ .
- [١٢] مسلم كتاب الجنائز باب البكاء على الميت ج٣ ص ٣٩ .
- [١٣] مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة ج٣ ص ٣٧ .
- [١٤] مسلم كتاب النكاح باب فضيلة إعناقته أمته ثم يتزوجها ج٤ ص ١٤٦ .
- [١٥] فتح البارى ج٦ ص ٩٧ .
- [١٦] صحيح سنن أبى داود كتاب العتق باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة الحديث رقم

٣٣٢٧

[١٥] صحيح سنن أبي داود كتاب العتق باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة الحديث رقم

٣٣٢٧ .

[١٦] فتح الباري ج ٨ ص ١٣٧ ، ١٤١ .

[١٧] البخارى كتاب المناقب باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ج ٨ ص ١٤٠ مسلم كتاب

فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ج ٧ ص ١٣٤ .

[١٨] مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ج ٧ ص ١٣٤ .

[١٩] البخارى كتاب المناقب باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ج ٨ ص ١٣٦ مسلم كتاب

فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ج ٧ ص ١٣٣ .

[٢٠] انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى خلال التعليق على الحديث رقم ٢١٦ . والحديث

رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين .

[٢١] البخارى كتاب أبواب التقصير باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره ج ٣ ص ٢٧٥ .

[٢٢] البخارى كتاب التقصير باب طول السجود في قيام الليل ج ٣ ص ٢٤٩ .

[٢٣] مسلم كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود ج ٢ ص ٥١ .

[٢٤] البخارى كتاب التفسير سورة الفتح باب قوله: - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر -

ج ١٠ ص ٢٠٦ .

[٢٥] مسلم كتاب صلاة المسافرين باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ج ٢ ص ١٨٦ .

[٢٦] مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور ج ٣ ص ٦٣ .

[٢٧] مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ج ٣ ص ٦٤ .

[٢٨] البخارى كتاب الصوم باب ما يذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره ج ٥ ص ١١٩ .

[٢٩] البخارى كتاب الصوم باب التكيل لمن أكثر الوصال ج ٥ ص ١٠٩ مسلم كتاب الصيام باب

النهي عن الوصال في الصوم ج ٣ ص ١٣٣ .

[٣٠] البخارى كتاب امته باب ما يجوز من اللغو ج ١٦ ص ٣٥٧ مسلم كتاب الصيام باب النهي عن

الواصل في الصوم ج ٣ ص ١٣٤ .

[٣١] مسلم كتاب صلاة الاستسقاء باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف ج ٣ ص ٣٠ .

[٣٢] البخارى كتاب الجمعة باب من قال في الخطبة بعد التناء أما بعد ج ٣ ص ٥٤ مسلم كتاب صلاة

الاستسقاء باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف ج ٣ ص ٣٣ .

[٣٣] البخارى كتاب الأطعمة باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون ج ١١ ص ٤٨٢ مسلم كتاب

الزهد والرقائق ج ٨ ص ٢١٨ .

[٣٤] البخارى كتاب الأطعمة باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون ج ١١ ص ٤٨١ .

[٣٥] مسلم كتاب الصيام باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال ج ٣ ص ١٥٩ .

[٣٦] البخارى كتاب الزكاة باب إذا تحولت الصدقة ج ٤ ص ٩٩ مسلم كتاب الزكاة باب إباحة الهدية

للنبي ﷺ ولبنى هاشم ج ٣ ص ١٢٠ .

[٣٧] البخارى كتاب اللباس باب الأكسية والخمائل ج ١٢ ص ٣٩٢ مسلم كتاب اللباس والزينة

باب التواضع في اللباس ج ٦ ص ١٤٥ .

[٣٨] البخارى كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه ج ١٤ ص ٧٢ مسلم كتاب

اللباس والزينة باب التواضع في اللباس ج ٦ ص ١٤٥ .

- [٣٩] صحيح سنن الترمذى أبواب الزهد باب ما جاء فى أخذ المال بمحقه الحديث رقم ١٩٣٦ .
- [٤٠] البخارى كتاب الرقاق باب فضل الفقر ١٤ ص ٥٨ مسلم كتاب الزهد والرقائق ج ٨ ص ٢١٨ .
- [٤١] البخارى كتاب فرض الخمس باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد موته ج ٧ ص ١٧ .
- [٤٢] البخارى كتاب البيوع باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة ج ٥ ص ٢٠٦ .
- [٤٣] البخارى كتاب الجهاد باب ما قيل فى درع النبي ﷺ ج ٦ ص ٤٤٠ .
- [٤٤] مسلم كتاب الطلاق باب بيان أن تغير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ج ٤ ص ١٨٧ .
- [٤٥] البخارى كتاب المظالم باب الغرفة والعلية المشرقة ج ٦ ص ٤٢ .
- [٤٦] البخارى كتاب المظالم باب الغرفة والعلية المشرقة ج ٦ ص ٤١ . مسلم كتاب الطلاق باب فى الإيلاء واعتزال النساء وتغيرهن ج ٤ ص ١٨٨ .
- [٤٧] البخارى كتاب كفارات الأيمان باب الاستثناء فى الأيمان ج ١٤ ص ٤٢٠ .
- [٤٨] البخارى كتاب أحاديث الأنبياء باب واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ج ٧ ص ٢٧٠ مسلم كتاب الأيمان باب الاستثناء ج ٥ ص ٨٧ .
- [٤٩] فتح البارى ج ٧ ص ٢٧٢ .
- [٤٩] البخارى كتاب الغسل باب إذا جامع ثم عاد ج ١ ص ٣٩٢ .
- [٤٩] البخارى كتاب الغسل باب الجنب يخرج ويمشى فى السوق ج ١ ص ٤٠٦ مسلم كتاب الحيض باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له ج ١ ص ١٧١ .
- [٥٠] مابين القوسين من فتح البارى ج ١١ ص ١٦ .
- [٥١] فتح البارى ج ١١ ص ١٥ .
- [٥٢] صحيح الجامع الصغير الحديث رقم ٣١١٩ .
- [٥٣] البخارى كتاب المناقب باب تزويج النبي ﷺ عائشة ج ٨ ص ٢٣٥ مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فى فضل عائشة رضى الله تعالى عنها ج ٧ ص ١٣٤ .
- [٥٤] البخارى كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء ج ١٧ ص ١٨٣ .
- [٥٥] فتح البارى ج ١٠ ص ١٤٢ ، ١٤٣ .
- [٥٦] مسلم كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول احجاب ج ٤ ص ١٤٨ .
- [٥٧] البخارى كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء ج ١٧ ص ١٨٣ .
- [٥٨] البخارى كتاب النكاح باب موعظة تزوج ابنته لحال زوجها ج ١١ ص ١٩١ مسلم كتاب الطلاق باب فى الإيلاء واعتزال النساء ج ٤ ص ١٩٣ .
- [٥٩] مسلم كتاب الطلاق باب فى الإيلاء واعتزال النساء ج ٤ ص ١٩٣ .
- [٦٠] فتح البارى ج ١٠ ص ١٤٧ .
- [٦١] مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فى فضل عائشة رضى الله تعالى عنها ج ٧ ص ١٣٦ .
- [٦٢] البخارى كتاب المغازى باب حديث الإفك ج ٨ ص ٤٤٠ مسلم كتاب التوبة باب فى حديث الإفك وقبول توبة القاذف ج ٨ ص ١١٢ .
- [٦٣] البخارى كتاب النكاح باب - وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ج ١١ ص ٦٣ مسلم كتاب الرضاع باب تحريم الربية وأخت الزوجة ج ٤ ص ١٦٥ .
- [٦٤] مسلم كتاب الرضاع باب تحريم ابنة الأخ من الرضاغة ج ٤ ص ١٦٤ .

[٦٥] موارد الظمآن الحديث رقم ١٢٣٦ ص ٣٠٣ .

[٦٦] فتح الباری ج ١٠ ص ١٤٤ .

[٦٧] مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل نساء قريش ج ٧ ص ١٨٢ .

[٦٨] فتح الباری ج ١١ ص ٤٤٠ .

[٦٩] نقلا عن فتح الباری ج ١١ ص ١٢٦ وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه الطبرانی في الصغير بإسناد

حسن .

[٧٠] البخاری كتاب النكاح باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد ؟ ج ١١ ص ٦٨ .

[٧١] البخاری كتاب التفسير سورة الأحزاب باب قوله - ترجى من تشاء منهم وتؤوى إليك من

تشاء ج ١٠ ص ١٤٤ مسلم كتاب النكاح باب جواز هبة نوبتها لضررتها ج ٤ ص ١٧٤ .

[٧٢] البخاری كتاب فضائل القرآن باب القراءة عن ظهر قلب ج ١٠ ص ٤٥٤ مسلم كتاب النكاح

باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم من حديد وغير ذلك ج ٤ ص ١٤٣ .

[٧٤، ٧٣] فتح الباری ج ١٠ ص ١٤٤ .

[٧٥] البخاری كتاب التفسير سورة الأحزاب باب قوله - ترجى من تشاء منهم وتؤوى إليك من

تشاء ج ١٠ ص ١٤٤ مسلم كتاب النكاح باب جواز هبة نوبتها لضررتها ج ٤ ص ١٧٤ .

[٧٦] فتح الباری ج ١١ ص ٦٨ .

[٧٧] البخاری كتاب التفسير سورة الأحزاب باب قوله - ترجى من تشاء منهم وتؤوى إليك من

تشاء - ج ١٠ ص ١٤٥ .

[٧٨] صحيح سنن النسائي كتاب عشرة النساء باب الغيرة الحديث رقم ٣٦٩٥ .

[٧٩] فتح الباری ج ١١ ص ٢٩٢ .

[٨٠] فتح الباری ج ١٠ ص ٢٨٢ .

[٨١] فتح الباری ج ١٠ ص ١٤٥ .

[٨٢] البخاری كتاب الأشربة باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته ج ١٢ ص ٢٠١ مسلم كتاب

الأشربة باب إباحة البيذ الذي لم يشند ج ٦ ص ١٠٣ .

[٨٣] فتح الباری ج ١١ ص ٢٧٣ .

[٨٤] مسلم كتاب النكاح باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها ج ٤ ص ١٤٨ .

[٨٥] البخاری كتاب المغازي باب غزوة خيبر ج ٩ ص ١٩ مسلم كتاب النكاح باب فضيلة إعتاقه أمته

ثم يتزوجها ج ٤ ص ١٤٥ .

[٨٦] مسلم كتاب الجنائز باب ما يقول عند المصيبة ج ٣ ص ٣٧ .

[٨٧] فتح الباری ج ١١ ص ٦٢ .

[٨٨] البخاری كتاب في العتق وفضله باب من ملك من العرب رقيقا فوهب وباع ج ٦ ص ٩٦ مسلم

كتاب الجهاد والسير باب جواز الإغارة على الكفار ج ٥ ص ١٣٩ .

[٨٩] صحيح سنن أبي داود كتاب العتق باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة الحديث رقم

٣٣٢٧ .

[٩٠] البخاری كتاب التفسير سورة التحريم باب - تنهى مرضاة أزواجك ج ١٠ ص ٢٨٤ مسلم

كتاب الطلاق باب في الإيلاء واعتزال النساء ج ٤ ص ١٩١ .

- [٩١] فتح الباری ج ١١ ص ٢٠٤ .
- [٩٢] فتح الباری ج ١١ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
- [٩٣] البخاری کتاب النکاح باب دخول الرجل علی نسائه فی الیوم ج ١١ ص ٢٢٩ مسلم کتاب الطلاق باب وجوب الکفارة علی من حرم امرأته ولم ینو الطلاق ج ٤ ص ١٨٥ .
- [٩٤] فتح الباری ج ١١ ص ٢٢٣ .
- [٩٥] صحیح سنن أبی داود کتاب النکاح باب فی القسمل بین النساء الحدیث رقم ١٨٦٨ .
- [٩٦] مسلم کتاب الرضاع باب القسم بین الزوجات و بیان أن السنة أن تكون لكل واحدة لیلۃ مع یومها ج ٤ ص ١٧٣ .
- [٩٧] البخاری کتاب المغازی باب حدیث الإفک ج ٨ ص ٤٣٦ مسلم کتاب التوبة باب فی حدیث الإفک وقبول توبة القاذف ج ٨ ص ١١٣ .
- [٩٨] البخاری کتاب النکاح باب القرعة بین النساء إذا أراد سفرا ج ١١ ص ٢٢٣ مسلم کتاب فضائل الصحابة باب فی فضل عائشة رضی الله تعالی عنها ج ٧ ص ١٣٨ .
- [٩٩] فتح الباری ج ١١ ص ٢٢٣ .
- [١٠٠] صحیح سنن الترمذی أبواب الطهارة باب ما جاء فی ترک الوضوء من القبلة الحدیث رقم ٧٥ .
- [١٠١] البخاری کتاب الصوم باب المباشرة للصائم ج ٥ ص ٥١ مسلم کتاب الصیام باب بیان أن القبلة فی الصوم لیست بمحرمة علی من لم تحرك شهوته ج ٣ ص ١٣٥ .
- [١٠٢] فتح الباری ج ٥ ص ٥٥ .
- [١٠٣] البخاری کتاب الحيض باب مباشرة الحائض ج ١ ص ٤١٩ مسلم کتاب الحيض باب مباشرة الحائض فوق الإزار ج ١ ص ١٦٧ .
- [١٠٤] مسلم کتاب النکاح باب نذب من رأى امرأة فوقعت فی نفسه إلی أن یأتی امرأته أو جاریته فیراقعها ج ٤ ص ١٢٩ .
- [١٠٥] البخاری کتاب الغسل باب من تطبی ثم اغتسل وبقي أثر الطيب ج ١ ص ٣٩٦ مسلم کتاب الحج باب الطيب للمحرم عند الإحرام ج ٤ ص ١٣ .
- [١٠٦] البخاری کتاب الحج باب الزيارة یوم النحر ج ٤ ص ٣١٦ مسلم کتاب الحج باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض ج ٤ ص ٩٤ .
- [١٠٧] نقلا عن فتح الباری ج ١ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ .
- [١٠٨] صحیح سنن أبی داود کتاب الطهارة باب الوضوء لمن أراد أن يعود . الحدیث رقم ٢٠٣ .
- [١٠٩] البخاری کتاب الصوم باب القبلة للصائم ج ٥ ص ٥٤ مسلم : کتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء فی غسل الجنابة ج ١ ص ١٧٧ .
- [١١٠] البخاری کتاب الصوم باب متى یقضى قضاء رمضان ج ٥ ص ٩٣ مسلم کتاب الصیام باب قضاء رمضان فی شعبان ج ٣ ص ١٥٤ .
- [١١١] مسلم کتاب الصیام باب قضاء رمضان فی شعبان ج ٣ ص ١٥٥ .
- [١١٢] مسلم کتاب الصیام باب قضاء رمضان فی شعبان ج ٣ ص ١٥٥ .
- [١١٣] مسلم شرح النووی ج ٨ ص ٢٢ .
- [١١٤] البخاری کتاب الهبة وفضلها باب هبة المرأة لغير زوجها ج ٦ ص ١٤٧ .
- [١١٥] مسلم کتاب الرضاع باب جواز هبتها نوبتها لغيرها ج ٤ ص ١٧٤ .

الفصل الثامن

نماذج من أقوال الفقهاء

في بعض جوانب الثقافة الجنسية

نماذج من أقوال الفقهاء

في بعض جوانب الثقافة الجنسية

من فوائد الجماع :

قال ابن القيم : في « زاد المعاد » :

(وأما الجماع والباه ، فكان هديه ﷺ فيه أكمل هدى ، يحفظ به الصحة ، ويتم به اللذة وسرور النفس ، ويحصل به مقاصده التي وضع لأجلها ، فإن الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية :

أحدها : حفظ النسل .

الثاني : إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن .

الثالث : قضاء الوطر ، ونيل اللذة ، والتمتع بالنعمة ، وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة ، إذ لا تناسل هناك ، ولا احتقان يستفرغه الإنزال .

وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة ... إذا دام احتقانه (أي المني) أحدث أمراضا رديئة ، منها الوسواس ، والجنون ، والصرع ، وغير ذلك ، وقد يرى استعماله من هذه الأمراض كثيرا ، فإنه إن طال احتباسه ، فسد واستحال إلى كيفية سُمِّية توجب أمراضا رديئة كما ذكرنا ، ولذلك تدفعه الطبيعة بالاحتلام إذا كثر عندها من غير جماع) .

(وقال بعض السلف : ينبغي للرجل أن يتعاهد من نفسه ثلاثا : أن لا يدع المشي ، فإن احتاج إليه يوما قدر عليه ، وينبغي أن لا يدع الأكل ، فإن أمعاه تضيق ، وينبغي أن لا يدع الجماع ، فإن البثر إذا لم تنزح ، ذهب ماؤها . وقال محمد بن زكريا : « من ترك الجماع مدة طويلة ، ضعفت قوى أعصابه ، وانسدت مجاريها ، وتقلص ذكْرُه . قال : ورأيت جماعة تركوه لنوع من التقشف ، فبردت أبدانهم ، وعسرت حركاتهم ، ووقعت عليهم كآبة بلا سبب ، وقلت شهواتهم وهضمهم » . ومن منافع البصر ، وكف النفس ، والقدرة على العفة عن الحرام ، وتحصيل ذلك للمرأة ، فهو ينفع نفسه في دنياه وآخره ، وينفع المرأة . ولذلك كان ﷺ يتعاهده ويحبه ، ويقول : « حُبُّ إلَيَّ

من دنياكم النساء والطيب « وفي كتاب « الزهد » للإمام أحمد في هذا الحديث زيادة لطيفة هي : أصبر عن الطعام والشراب ، ولا أصبر عنهن) .

(وما ينبغي تقديمه على الجماع ملاعبة المرأة ، وتقبيلها ، ومص لسانها ، وكان رسول الله ﷺ يلاعب أهله ، ويقبلها . وروى أبو داود في « سننه » أنه ﷺ كان يقبل عائشة ويمص لسانها . وأحسن أشكال الجماع أن يعلو الرجل المرأة ، مستفرشا لها بعد الملاعبة والقبلة ، وبهذا سميت المرأة فراشا ، كما قال رسول الله ﷺ : الولد للفراش . وقد قال تعالى : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ (البقرة ١٨٧) ، وأكمل اللباس وأسبغه على هذه الحال ، فإن فراش الرجل لباس له ، وكذلك لحاف المرأة لباس لها ، فهذا الشكل الفاضل مأخوذ من هذه الآية ، وبه يحسن موقع استعارة اللباس من كل من الزوجين للآخر . وفيه وجه آخر ، وهو أنها تعطف عليه أحيانا ، فتكون عليه كاللباس ، قال الشاعر .

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثبت فكانت عليه لباسا ^[١]

حق المرأة في المباشرة والاستمتاع :

قال ابن حزم في « المحلى » :

(وفرض على الرجل أن يجامع امرأته التي هي زوجته ، وأدنى ذلك مرة في كل طهر إن قدر على ذلك ، وإلا فهو عاص لله تعالى . برهان ذلك قوله عز وجل ﴿ فإذا طهروا فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ وروينا من طريق أنى عبيد ... عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : إنا لنسير مع عمر بن الخطاب إذ عرضت له امرأة من خزاعة شابة ، فقالت : يا أمير المؤمنين إني امرأة أحب ما تحب النساء من الولد وغيره ، ولى زوج شيخ . ووالله ما برحنا حتى نظرنا إليه يهوى ، شيخ كبير ، فقال لعمر : يا أمير المؤمنين إني لحسن إليها وما آلوها ^(١) فقال له عمر : أتقيم لها طهرها ^(٢) ؟ فقال : نعم . فقال لها عمر : انطلقى مع زوجك ، والله إن فيه لما يجزى ، أو قال يغنى المرأة المسلمة) .

قال أبو محمد (ابن حزم) : ويجبر على ذلك من أى بالأدب ^(٣) لأنه أتى منكرا من العمل ^[٢] .

(١) ما آلوها : ما أقصر وما أبطء عنها .

(٢) أتقيم لها طهرها : يقصد هل تجامعها في كل طهر ولو مرة واحدة . (٣) بالأدب : أى بالتأدب

(وقد سئل عن الرجل إذا صبر على زوجته الشهر والشهرين لا يطؤها فهل عليه إثم أم لا ؟ وهل يطالب الزوج بذلك ؟. فأجاب : يجب على الرجل أن يطأ زوجته بالمعروف ، وهو من أوكد حقها عليه ، أعظم من إطعامها . والوطء الواجب قيل إنه واجب في كل أربعة أشهر مرة . وقيل بقدر حاجتها وقدرته ، كما يطعمها بقدر حاجتها وقدرته . وهذا أصح القولين . والله أعلم [٣]) .

وقال أيضا : (وطؤها واجب عليه عند أكثر العلماء وقد قيل : إنه لا يجب اكتفاء بالباعث الطبيعي . والصواب إنه واجب كما دل عليه الكتاب والسنة والأصول . وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رضى الله عنه لما رآه يكثر الصوم والصلاة : « إن لزوجك عليك حقاً » [٣]) .

وقال أبو حامد الغزالي في « إحياء علوم الدين » :

(إذا قضى الرجل وطره فليتمهل على أهله ، حتى تقضى هي أيضا نهمتها ، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهبج شهوتها ، ثم القعود عنها إيذاء لها . والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان (١) الزوج سابقا إلى الإنزال . والتوافق في وقت الإنزال ألد عندها ، ليشغل الرجل بنفسه عنها ، فإنها ربما تستحي . وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة ، فهو أعدل إذ عدد النساء أربعة ، فجاز التأخير إلى هذا الحد . نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين ، فإن تحصينها واجب عليه ، وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء ، فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها [٤]) .



(١) مهما كان : يقصد كلما كان .

من صور الاستمتاع :

قال أبو بكر بن العربي في « أحكام القرآن » :

(وقد اختلف الناس في جواز نظر الرجل إلى فرج زوجته على قولين : أحدهما : يجوز ، لأنه إذا جاز له التلذذ فالنظر أولى . وقيل : لا يجوز لقول عائشة في ذكر حالها مع رسول الله ﷺ : ما رأيت ذلك منه ، ولا رأى ذلك مني ^(*) . والأول أصح ، وهذا (أى الثانى) محمول على الأدب ؛ فقد قال أصبغ ^(١) من علمائنا : يجوز أن يلحسه بلسانه ^(**)) [٤] .

وقال القرطبي في « الجامع لأحكام القرآن » :

(قال ابن خُوَيْرِمَنْدَاد : أما الزوج فيجوز له أن ينظر إلى سائر الجسد وظاهر الفرج ... وكذلك المرأة يجوز أن تنظر إلى عورة زوجها) [٥] .

وقال الغزالي في « إحياء علوم الدين » :

(وله أن يستمنى بيديها « أى ييدى زوجته ») [٦] .

ورود عن الإمام الشافعى :

(في كتاب « اختلاف الفقهاء » لابن جرير الطبرى) :

(الإتيان في الدبر حتى يبلغ منه مبلغ الإتيان في القبل ، مُحَرَّمٌ . بدلالة الكتاب والسنة . وأما التلذذ بغير إبلاغ الفرج بين الأَلَتَيْنِ وجميع الجسد ، فلا بأس به) [٧] .

(*) سبق أن بينا في بداية الفصل السادس - عند حديثنا عن الأوهام التى تحاصر الاستمتاع الطيب - أن الأحاديث التى تشير إلى اجتناب النظر إلى العرج بين الزوجين إما ضعيفة أو موضوعة ، بل قد أثبتت عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين وقوع رؤية الفرج ، وهذا كاف في الرد على قول ابن العربي : إن نفى الجواز محمول على الأدب .

(١) أصبغ : هو أصبغ بن الفرج من كبار فقهاء المالكية توفى سنة ٢٢٥ هـ . أخذ عن بعض أصحاب مالك كابن القاسم وأشهب وابن وهب ، له كتاب الأصول وشرح الموطأ .

(**) وقد نقل هذا القول لأصبغ ، القرطبي في تفسيره . انظر : تفسير سورة النور : الآية ٣١ .

ومن هذه الأقوال يتبين لنا أن علماءنا الأجلاء قد أدركوا حدود الحرام فوقفوا عندها ، وذكروا صورا متعددة من الاستمتاع يراها البعض غريبة ، ولكنهم رأوا أنه لم يرد في الشرع ما يمنعها فأبقوها على الإباحة . وقد قرروا أنه إذا جاز النظر واللمس لأى جزء من البدن - سواء أكان بدن الرجل أو بدن المرأة - فإنه يجوز أيضا استعمال اللسان للرشف والمص ، فهل يجوز أيضا استعمال الأسنان في العض على وجه الملاعبة ؟ وقد أورد الحافظ ابن حجر رواية لحديث جابر : « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » أخرجه الطبرانى ، وجاء فيها : « وتعضها وتعضك » [٨] .

على أنه تظل أذواق الناس وأمزجتهم هى التى تحكم اختيارهم لأنفسهم ، ولا مجال لأن ينكر أحد على أحد مُحْكَمًا ذوقه ومزاجه ، فيحرم صورة من صور الاستمتاع ؛ فالذوق والمزاج لا حرج فى أن يحكمكما اختيار المرء لنفسه من بين المباحات ، ولكنهما لا يُحْكمان فى تقرير ما يحل وما يحرم .

وهذا يذكرنا باختلاف الذوق والمزاج بين المهاجرين والأنصار فى طريقة المباشرة الزوجية ، كما مر بنا قريبا ، وما نتج عن هذا الاختلاف من نفور الأنصارية من زوجها المهاجر ، حيث كان الأنصار يأتون النساء على حرف ، أما المهاجرون فيأتونهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات . ونعيد ما سبق أن ذكرناه من أنه ينبغى اجتناب المحظور المنصوص وهما الدبر والحیضة . وينبغى أن نكون على بَيِّنَةٍ من معنى اجتناب الدبر والحیضة ، فاجتناب الحیضة - كما مر بنا فى الفصل السابع (إباحة الاستمتاع مع الحائض) - يعنى اجتناب الجماع أثناء الحيض ، أما التلذذ بعيدا عن الفرج فلا حرج . واجتناب الدبر يعنى اجتناب الجماع فى الدبر ، أى الإيلاج فى الدبر ، أما لمس فتحة الدبر فحكمها حكم أى جزء من البدن .

ولذَكرُها بما سبق بيانه ، من أن الاعتدال سنة من سنن الإسلام وضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية القويمة(*) .

(*) انظر ص ١٥٣ .

حول الاستمناء باليد :

قال أبو حامد الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » :

(روى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس، وبقي شاب لم يرح ، فقال له ابن عباس : هل لك من حاجة ؟ قال : نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس ، وأنا الآن أهابك وأجلك . فقال ابن عباس : إن العالم بمنزلة الوالد ، فما كنت أفضيت به إلى أبيك فأفوض إليّ به ، فقال : إني شاب لا زوجة لي ، وربما خشيت العنت على نفسي ، فربما استمنيت بيدي ، فهل في ذلك معصية ؟ فأعرض عنه ابن عباس ، ثم قال : أف وتف ، نكاح الأمة خير منه ، وهو خير من الزنا . فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور ، أذناها نكاح الأمة ، وفيه إرقاق الولد ، وأشد منه الاستمناء باليد ، وأفحش منه الزنا ، ولم يطلق ابن عباس الإباحة في شيء منها ، لأنهما محذوران يفرع إليهما، حذرا من الوقوع في محذور أشد منه، كما يفرع إلى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس ، فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة المطلقة ، ولا في معنى الخير المطلق)^[٩] .

وقال ابن تيمية في « فتاواه » :

(فهذا « أى الاستمناء » حرام عند أكثر العلماء ، وهو أحد الروايتين عن أحمد ، بل قال : أظهرهما ، وفي رواية أنه مكروه . لكن إن اضطر إليه مثل أن يخاف الزنا إن لم يستمن ، أو يخاف المرض ، فهذا فيه قولان مشهوران للعلماء ، وقد رخص في هذه الحال طوائف من السلف والخلف ونهى عنه آخرون)^[١٠] .

وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » :

(وقد أباح الاستمناء طائفة من العلماء ، وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لأجل تسكين الشهوة)^[١١] .

وللشيخ على الطنطاوى في كتابه « صور وخواطر » كلام مفيد في هذا الموضوع ، وذلك خلال رده على أحد الشباب يعانى من غلبة الشهوة الجنسية ، قال - حفظه الله - :

« وإما أن تعتمد إلى ما يسمونه اليوم (الاستمناء) ... وهو وإن كان أقل الثلاثة شرا وأخفها ضرا^(*) ، ولكن إن جاوز حده ركب النفس بالهم ، والجسم

(*) الثلاثة التى يشر إليها هى : (١) الزنا . (٢) التعرض المستمر للإثارة مع الانطواء على النفس وكبت الشهوة . (٣) الاستمناء .

بالسقم ، وجعل صاحبه الشاب كهلا محطما كئيبا مستوحشا ، يفر من الناس ويحين عن لقائهم ، ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها .

ثم قال في هامش الكتاب : « لست أدعو إلى الاستمناء ولكن أقرر حقيقة قررها كثير من كبار الأطباء ووافقوا فيها رأى الفقهاء من الحنفية في الجملة » [١٢]

ونحن بدورنا نوصي الشباب المسلم ، عندما تدفعهم ضرورة النجاة من الفاحشة ، إلى ممارسة الاستمناء ، أن يحرصوا كل الحرص على الاعتدال ، وأن يحذروا كل الحذر من الإسراف ، فأضراره وخيمة ، وليتذكروا ما قاله الشيخ الطنطاوي عن الآثار الخطيرة المفزعة الناجمة عن تجاوز حد الاعتدال . كما نذكر الشباب المسلم بأن هذه الوسيلة لم يرخص فيها إلا قلة من الفقهاء ، وهم قد رخصوا فيها عند الضرورة فحسب ، والضرورة كما يقولون الأصوليون تقدر بقدرها .

حول الإيمان في الذُّبُر ومساوئه :

قال ابن القيم في « زاد المعاد » :

(قال الشافعي : أخبرني عمي محمد بن علي بن شافع قال : أخبرني عبد الله بن علي بن السائب ، عن عمرو بن أحيحة بن الجلاح ، عن خزيمة بن ثابت ، أن رجلا سأل النبي ﷺ عن إتيان النساء في أدبارهن ، فقال : « حلال » ، فلما ولى دعاه فقال : « كيف قلت ، في أي الخرتين ، أو في أي الخرزتين ، أو في أي الخصفتين ، أمن دبرها في قبلها ؟ فنعم . أم من دبرها في دبرها ؟ فلا ، إن الله لا يستحي من الحق ، لا تأتوا النساء في أدبارهن » . قال الربيع : ففيل للشافعي : فما تقول ؟ فقال : عمي ثقة ، وعبد الله بن علي ثقة ، وقد أثني على الأنصاري خيرا ، يعني عمرو بن الجلاح ، وخزيمة ممن لا يشك في ثقته ، فلست أرخص فيه ، بل أنهي عنه . قلت : ومن ها هنا نشأ الغلط على من نقل عنه الإباحة من السلف والأئمة ، فإنهم أباحوا أن يكون الدبر طريقا إلى الوطء في الفرج ، فيطأ من الدبر لا في الدبر ، فاشبهه على السامع « من » ، « في » ولم يظن بينهما فرقا . فهذا الذي أباحه السلف والأئمة ، فغلط عليهم الغالط أقبح الغلط وأفحشه . وقد قال تعالى : ﴿ فَأْتُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ قال مجاهد : سألت ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ فقال : تأتيها من حيث أمرت

أن تعتزلها يعني في الحيض . وقال علي بن أبي طلحة عنه ، يقول : في الفرج ولا تُعذُّه إلى غيره . وقد دلت الآية على تحريم الوطء في دبرها من وجهين : أحدهما : أنه أباح إتيانها في الحرث ، وهو موضع الولد لا في الحُش الذي هو موضع الأذى ، وموضع الحرث هو المراد في قوله ﴿ من حيث أمركم الله ﴾ الآية قال : ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ وإتيانها في قبلها من دبرها مستفاد من الآية أيضا . لأنه قال : أنى شئتم ، أى من أين شئتم ، من أمام أو من خلف . قال ابن عباس : فأتوا حرثكم ، يعني الفرج . وإذا كان الله حرم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض (أيام الحيض) فما الظن بالحُش الذي هو محل الأذى اللازم ، مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل ، والذريعة القريبة جداً من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان . وأيضا ، فللمرأة حق على الزوج في الوطء ، ووطؤها في دبرها يفوت حقها ، ولا يقضى وطرها ، ولا يُحصل مقصودها . وأيضا ، فإن الدبر لم يتبأ لهذا العمل ، ولم يخلق له ، وإنما الذي هُيئ له الفرج ، فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعا . وأيضا ، فإن ذلك مضر بالرجل ، ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء من الفلاسفة وغيرهم ، لأن للفرج خاصية في اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه ، والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء ، ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعى . وأيضا يضر من وجه آخر ، وهو إحواله إلى حركات متعبة جدا لمخالفة للطبيعة . وأيضا ، فإنه محل القدر والتَّجْو^(١) ، فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه . وأيضا ، فإنه يضر بالمرأة جدا ، لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع منافر لها غاية المنافرة ... وأيضا ، فإنه يحيل الطباع عما ركبها الله ، ويخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يُركب الله عليه شيئا من الحيوان ، بل هو طبع منكوس ، وإذا نكس الطبع انتكس القلب ، والعمل ، والهدى ، فيستطيط حيثئذ الخبيث من الأعمال والهيئات ، ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختباره (١٣، ١٤) .

الآثار المترتبة على العجز عن أداء حق الاستمتاع :

من المدونة الكبرى للإمام مالك :

(قلت : أرأيت إن تزوج رجل امرأة فأصابها معيبة ، من أى العيوب يردّها في قول مالك ؟ قال قال مالك : يردّها من الجنون والجذام واليرص والعيب الذى

(١) التجو : ما يخرج من البطن من ريح وغانط .

في الفرج ... قلت : أرأيت إن كان العيب الذي يفرجها إنما هو قَرَن^(١) أو حرق نار أو عيب خفيف أو عَقْل^(٢) ، يقدر معه على الجماع ، أ يكون هذا من عيوب الفرج التي تُرَدُّ بها في النكاح في قول مالك ، أم إنما ذلك العيب عند مالك ، إذا كانت قد خلطت ، أو نحو هذا من عيوب الفرج الذي لا يستطيع الزوج معه الجماع ، مثل العفل الكبير ونحوه من العيوب التي تكون في الفرج ؟ قال قال مالك : قال عمر بن الخطاب : ترد المرأة في النكاح من الجنون والجذام والبرص . قال مالك : وأنا أرى داء الفرج بمنزلة ذلك ، فما كان مما هو عند أهل المعرفة من داء الفرج رُدَّتْ به في رأيي ، وقد يكون من داء الفرج ما يجامع معه الزوج ، ولكنها تُرَدُّ منه ألا ترى أن المجنونة يقدر على جماعها ، وكذلك الجذماء والبرصاء ، ولكنها ترد منه فكذلك عيوب الفرج ... أرأيت إن تزوجته وهو مجبوب أو خصي وهي لا تعلم بذلك ثم علمت ، أ يكون لها الخيار ؟ قال قال مالك : إذا تزوجته وهو خصي ولم تعلم بذلك ، كانت بالخيار إذا علمت ، إن شاءت أقامت معه وإن شاءت فارقت ، فالجبوب أشد^[١٥] .

(قلت أرأيت العَيْن متى يضرب له الأجل ، من يوم تزوجها أو من يوم ترفعه إلى السلطان ؟ قال : من يوم ترفعه إلى السلطان ، وكذلك قال مالك . قلت : أرأيت العين إذا لم يجامع امرأته في السنة ، وفُرِّقَ بينهما بعد السنة ، أ يكون لها الصداق كاملاً أم يكون لها نصف الصداق ؟ قال قال مالك : لها الصداق كله كاملاً إذا أقام معها سنة ، لأنه قد ثَلُمَ له^(٣) ، وقد خلا بها وطال زمانه معها ، وتغير صبغها وخلعت ثيابها ، وتغير جهازهما عن حاله ، فلا أرى له عليها شيئاً . وإن كان فراقه إياها قريباً من دخوله ، رأيت عليه نصف الصداق . قال مالك : وإن ناساً يقولون ليس لها إلا نصف الصداق . قال مالك : ولكن الذي أرى ، إن كان قد طال ذلك وتباعد ، وتلذذ منها وخلا بها ، فإن لها الصداق كاملاً ... عن عمرو بن قيس عن عطاء بن أنى رباح عن ابن المسيب ، أن عمر بن الخطاب قضى في الرجل ينيى بالمرأة فلا يستطيع أن يمسه ، أن يضرب له أجل سنة من يوم يأتيان السلطان ، فإن استقرت فهي أولى بنفسها)^[١٦]

(١) القَرَن : زيادة تكون في فرج المرأة ، إما غدة غليظة أو لحمة ملتصقة أو عظم .

(٢) القَفْل : كتلة مدورة تخرج من فرج المرأة تمنع من سلوك الذكر فيه .

(٣) ثلوم له : المقصود أعطى المهلة اللازمة .

هوامش الفصل الثامن

- [١] زاد المعاد فصل في هديه في الجامع ج٣ ص٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ (المكتبة القبية : - القاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ سنة ١٩٨٩ م) .
- [٢] المحلى لابن حزم ج١٠ ص ٤٠٠ .
- [٣] مجموع فتاوى ابن تيمية ج٢٢ ص ٢٧١ .
- [٤] المرجع السابق ج٢٨ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .
- [٥] إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي كتاب النكاح الباب الثالث في آداب المعاشرة ، آداب الجامع ج٢ ص ٧٤٠ (طبعة دار الفكر - بيروت) .
- [٦] أحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص ١٣٧ .
- [٧] تفسير القرطبي . سورة النور : الآية ٣١ .
- [٨] كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي كتاب آداب النكاح - آداب المعاشرة ، المجلد الثاني ص ٧٤١ (طبعة دار الفكر - بيروت) .
- [٩] كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبري ص ١٢٤ (دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الثانية) .
- [١٠] فتح الباري ج١١ ص ٢٣ (طبعة مصطفى الحلبي)
- [١١] إحياء علوم الدين كتاب آداب النكاح باب الترغيب في النكاح المجلد الثاني ص ٧٠٢ (طبعة الفكر - بيروت) .
- [١٢] مجموع الفتاوى ج٣٤ ص ٢٣ .
- [١٣] فتح الباري ج١١ ص ١٢ .
- [١٤] كتاب صور وخواطير للأستاذ علي الطنطاوي ص ١٦٧ وعنوان المقال « يا ابني » (الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ هـ - سنة ١٩٧٢ م : مؤسسة الرسالة - بيروت) .
- [١٥] زاد المعاد فصل في ما ورد من الأحاديث في النهي عن إثيان الرجل زوجته في دبرها ج٣ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ .
- [١٦] المدونة الكبرى للإمام مالك ج٢ ص ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ (الطبعة الأولى - مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٣ هـ) .
- [١٧] المدونة الكبرى للإمام مالك ج٢ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .